

UNIVERSAL
LIBRARY

OU-234143

UNIVERSAL
LIBRARY

زهة الأنام في محاسن الشام

تأليف

أبي البقاء عبد الله بن محمد البدرى المصري الدمشقي

من علماء القرن التاسع (ولد سنة ٨٤٧)

صاحب الديوان المشهور ، وتاريخ « تبصرة اولى الابصار » و « سحر العيون »

وكم بالشام من شرف وفضل ومرتقب لدى برّ وبحر
بلاد بارك الرحمن فيها فقدّسها على علم وخبر
بها غرر القبائل من معدّ وقحطان ومن سرّوات فهر
اناس يكرمون الجار حتى يحجر عليهم من كل وتر
أحمد بن محمد بن المدبر الكاتب

طبع على نفقة

المكتب العربي - بغداد

لصاحبها : نعمان الأعظمي

وحقوق الطبع محفوظة له

المطبعة السلفية - بمصر

لصاحبها : محب الدين الخطيب وعبد القادر

القاهرة : ١٣٤١

مقدمة الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده * وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

أما بعد فإن من الكتب اللطيفة التي عثرنا عليها بين
مخطوطات بغداد دار السلام هذا الكتاب المسمى :

نزهة الأنام ، في محاسن السام

وقد وجدناه من الكتب الجامعة بين لذة الادب من
منثوره الى منظومه ، وبين ملاح التاريخ من خصوصه الى عمومه .
وفضلاً عما فيه من لذة وفائدة فانه يصلح أن يكون نموذجاً
صحيحاً لروح الأدب في القرن التاسع الهجري
ولما كانت غوطة دمشق — التي استوحى منها المؤلف
موضوع كتابه — من أبدع مجالي الجمال الطبيعي في العالم ، بل
ربما كانت البقعة المتفردة بجمالها في عصر المؤلف ؛ فان ما انطوى
عليه هذا الكتاب من الكلام عليها ، ووصف الشعراء والادباء
لأزهارها وأثمارها ، والاشارة الى ضواحيها ونواحيها ؛ لما يشوق
الاديب الاطلاع عليه

ان المدينة التي اختصها البدرى بكتابه هذا هي اقدم مدينة
ثبت عمرانها على وجه الدهر ، ونقل ياقوت في معجم البلدان قول
ابن بكرا الخوارزمي : جنان الدنيا أربعة ؛ غوطة دمشق ، وصغد
سمرقند ، وشعب بوان ، وجزيرة الابله . قال : وقد رأيتها كلها ،
وأفضلها دمشق

قال ياقوت : وجملة الأمر انه لم توصف الجنة بشيء إلا وفي
دمشق مثله . ومن المحال ان يطلب بها شيء من جليل اعراض
الدنيا ودقيقها الا وهو فيها اوجد من جميع البلاد

ولاحظنا عند العزم نلى طبع الكتاب أن في النسخة البغدادية
نقصاً فسعيناً لاستكمالها من النسخة المخطوطة في دار الكتب
المصرية (رقم ٤٩٤ من كتب التاريخ) وعليهما اعتمادنا في نشره
طالبيين من الله تعالى العون والتوفيق

نعمان الاعظمي

بغداد

صاحب المكتبة العربية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله الذي جعل الشام في وجه الارض شامة خضراء ،
وزان عاطله بحالي عيون تروي قلب الصادي وتشرح له
صدرا . وأجرى ماءها الفضي على ثراء كالذهب ، وحلى به
حصباء در لم يكن فيه من شاب . وأدار من الماء خلاخيل
على سوق أصول الاشجار ، وقلد أجساد فروعها بيواقيت
اثمار توجت رءوسها بأكلیل جواهر الازهار . وأرسل كف
النسيم بمشط المطر فسرح فروع رءوس عرائس الغصون ،
وجملها بحلل ذات اكمام من سندس أخضر ومعصفر
صبغة صنعة من هم له ساجدون

أحمدده حمداً كثيراً حيث أصبح اللوز بأمره على بعضهن
 عاقد ، وبعضهن أنقلها الحمل من الجوز فامست بإرادته بعد
 قيامها تتقاعد . وبعضهن من باسقات النخيل من طرحت
 بقدرته ثمرة الفؤاد . واجرى لطفه في بعضهن حيث ارتخت
 نهودها كالرمان هائلة بحضنهن في كل واد

وأشكره شكراً مزيداً مذكف الطل على طفل
 أمهات السفر جل فيرضعه وهو يشرب ، وأسبل ستره على
 من رفعت كفوفها كورق الكرمة لما امتدت وعليها
 العنب زبب . ومنهن من عمها بالحيا فاحمر خدها كالتفاح ،
 ومنهن من نكست رأسها من الهيبة كالكمثرى فاكسبها
 عرفا طوت شقق نشره أيدي الرياح

سبحانه أوجد بها اجناسا ذات انواع تسقى بماء واحد ،
 وجاد لعليلها من انواء السحاب وشعاع النيرين بصلة وعائد .
 فجعل قطوفها دانية لأحبابه ، وقدس أرضها اذ هي مرتع
 ومربع لأصفياه . وحبهاها لسكنى الانبياء ، واختارها
 موطننا لعباده الاولياء

وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة
عبد تقي يرجو بها في غد التفكه في رياض الجنان مع مزبد
الانعام ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي اخترق
السبع الطباق بنور أضاعت منه قصور بصرى من أرض
الشام . ذوالشرف الاعلى السني الجبهة الواضح الجبين ، الذي
أنزل عليه « وآونياها الى ربوة ذات قرار ومعين »

الاهم فصل وسلم عليه ما دامت الشام عامرة بحديثه
الشريف الماحي لصور الكفر الواهية ، وعلى آله وأصحابه
الذين تعاونوا على البر والتقوى في فتحها ففتحهم من أخذ
شطرها الشرقي عنوة ومنهم من اخذ الشطر الغربي صلحاً
من باب الجابية

وبعد فقد سألتني أيها الاخ الامجد ، والحبیب الاسعد .
العاشق في محاسن الشام على السماع ، والمتشوق المتتوق
الى بديع مرآها المشنف ذكره للاسماع . أن اعلمك بخبرها
لعدم العيان ، وان اقربها اليك بوصف يلذه قلب الهائم
الولهان . وهل أنا إلا قسيمك في الشوق والهيام ، وحليفك

في الحب والغرام

وليس بتزويق اللسان وصوغه

ولكنه ما خالط اللحم والدم

غير اني رُميت منها بعد الوصل بقطيعة صدها،

كاني اذنبت في حالة القرب فادّبتني بهجرها وبعدها

عشنا زماناً وليس الوصل يقنعنا

واليوم أدنى خيال منك يرضينا

أي والله

وما قلت ايه بعدها لمحدث

من الناس الا قال قلبي آها

كيف لا وهو

بلد صحبت به الشيبية والصبا

ولبست ثوب العز وهو جديد

فاذا تمثل في الضمير رأيت

وعليه أغصان الشباب تמיד

أستغفر الله هي مسقط رأسي ، وجمع أهلي وناري .

وملعب خلاني واخواني

سقا الله شاماً كان فيها اجتماعنا
بأحبابنا النائين مغدودقا سكبنا

وروى ثراها من دموعي مسبل
كبحر فاني أستقل لها السحبنا

منازل أحبائي ومربع جيرتي
وأوطان اخواني ومن كان لي ترابا
لعمري لئن شط المزار وأصبحت

منازلهم شرقاً ومنزلنا غربا
فاني على بُعد الديار وقربها
أسرُّ لهم حباً وأبدي لهم حباً
يهيج أشواقي من البرق لامع

ويبعث اشجاني النسيم اذا هباً
ويدكرني ليالات وصل تصرمت

حمام النوى نوحا فأسعده ندبا

ليالي اعطيت البطالة حقها
ورحت بما يقضيه حكم الصبي صبياً
اعاطي الهوى الصحب الكرام وبيننا
أحاديث آداب أرقُّ من الصبها
عسى ما مضى من شملنا أن نعيده
ونصبح في أفق ونسي به شهباً
كيف اخفي ذلك ، وقد سبق في علم الله ما كان حمداً
وشكراً على حب الوطن ، فانه من الايمان
وما عن رضى كانت سليمى بديلةً
بليلى ، ولكن للضرورات أحكام

نعم
شكوت وما الشكوى لمثلي عادة
ولكن تفيض العين عند امتلائها
فأجبتك أيها السائل اذ هيجت عندي من الدموع
بحار الاشتياق . وواسيتك أيها العاشق اذ أتيتك بخبر
المعشوق ولعل الخبر يكون وصله في التلاق ، وقد فصلته

لك في هذه الاوراق . وهو من جملة ما عندي ، وقدمت
 لحضرتك السامية ثروة ما ملكه اللسان من جواهر
 حفظها القلب في صندوق الصدر وأوردتها بخط يدي . وما
 هي الا صباغة من صب ، وقطرة من جفن نازح حب
 وما تناهيت في ثي محاسنها

الا وأكثر مما قلت ما أدع

لعلمي أن محاسن (دمشق) كثيرة لا تستقصى ،
 وأوصاف صفاتها تتضاعف أعدادها ولا تحصى . قصرت
 عن استيفائها أرباب التواريخ المطولة الحسنة ، وحفيت
 سوابق فحول أقلامهم في ميادين الطروس أن يدركوا
 حصر بعضها في مصنفاتهم المدونة . لكن بحمد الله جاءت
 هذه النبذة حذيقة يترنح بها الخاطر ، ويتنزه فيها الناظر *
 ولهذا سميتها

﴿ نزهة الانام * في محاسن الشام ﴾

والله تعالى أسأل أن يعوضنا عن ضيق هذه الدنيا
 الجافية ، بالدخول الى جناته الواسعة الرفيعة ، وان يمتعنا

فيها بفاكهة كثيرة لامقطوعة ولا ممنوعة . ان شاء الله تعالى بكرمه ومنه وأمنه ويمنه

فمن محاسن الشام ماورد فيها من رواية ابي داود في سننه عن عبد الله بن حوالة قال رسول الله ﷺ « انكم ستجندون بعدي أجناداً ثلاثة جنداً الى اليمن . وجنداً الى الشام . وجنداً الى العراق » قال عبد الله « خري لي يا رسول الله » قال « عليك بالشام . فانها خيرة الله في أرضه يجتبي اليها خيرته من عباده . وان الله قد تكفل لي بالشام وأهله » قال أبو ادريس الخولاني ومن تكفل الله به فلا ضيعة عليه . وقال رسول الله ﷺ « ستفتح عليكم الشام فعليكم بمدينة يقال لها (دمشق) هي خير مدائن الشام ، وفسطاط المسلمين بأرض منها يقال لها النوطة .

وقال ابو هريرة رضي الله عنه : « أربع مدائن من مدائن الجنة وأربع مدائن من مدائن النار . فأما مدائن الجنة فمكة والمدينة وبيت المقدس ودمشق ، وأما مدائن النار فالقسطنطينية وطبرية وانطاكية المحترقة وصنعاء »

قال ابو عبد الله السقطي ليس هي صنعاء اليمن وانما هي صنعاء بأرض الروم . وانطاكية المحترقة انما سميت بذلك لان العباس بن الوليد بن عبد الملك أحرقها . وهو من فضائل الشام للربيعي . وهو عند كعب الاحبار أيضاً من طريق آخر . انتهى والحديث المبدأ به رويناه من حديث أبي مسهر عبد الاعلى بن مسهر عن سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن أبي ادريس الخولاني عن عبد الله بن حوالة الازدي رضي الله عنه ، قال شيخ الاسلام وأمير المؤمنين في الحديث شهاب الدين احمد بن حجر رحمه الله تعالى وهو حديث حسن مسلسل بالدمشقيين وهو عن النبي ﷺ قال « انكم ستجندون أجناداً . جنداً بالشام . وجنداً بالعراق . وجنداً باليمن » قال الحوالي « خر لي يا رسول الله » قال « عليكم بالشام فمن أبي فليأحق بيمنه ويسق من غدره فان الله قد تكفل لي بالشام وأهله » فكان أبو ادريس الخولاني اذا حدث بهذا الحديث التفت الى ابن عامر فقال « من تكفل الله تعالى به فلا ضيعة عليه » انتهى والله تعالى أعلم .

ومن محاسن الشام هذا الحديث القدسي الذي ورد فيها عن كعب الاحبار رضي الله عنه قال « انا نجد في كتاب الله تعالى يعني التوراة أن الارض على صفة النسر فالرأس الشام والجناح الايمن الغرب والجناح الأيسر الشرق وهو العراق وخلف العراق أمة يقال لها واق وخلف واق أمة يقال لها واق واق . وخلفها من الأمم ما لا يعلمه الا الله تعالى . والظهر السند وخلف السند الهند . وخلف الهند أمة يقال لها مسند وخلف ذلك من الأمم ما لا يعلمه الا الله تعالى . والذنب اليمن فلا يزال الناس بخير ما لم يقرع الرأس فاذا قرع الرأس هلك الناس »

قال بعض الشراح والمؤرخين والمفسرين انما سميت الشام شاماً لان قوماً من بني كنعان نزلوها فتشاءموا اليها فسميت شاماً لذلك

وقالت طائفة انما سميت شاماً لما تشاءموا لها ^(١) أهل اليمن من بينهم كما يقال تيامنوا وتياسروا فسميت بذلك

(١) كانت في الاصل « لما تشاءموا لها . . الخ »

وقال قوم انما سميت شاماً لأن بني اسرائيل قتلوا بني
 كنعان ونفوا ما بقي منهم فصارت لهم ، ثم وثب الروم على
 بني اسرائيل فقتلوهم وأجلوا من بقي عنها الى العراق الا قليلا
 منهم ، ثم جاءت العرب فقتلت الروم وسبتهم وهرب من
 سلم منهم الى بلاد الروم ، واستمرت بيد أولاد العرب الى
 يومنا هذا

قال الجوهري يذكر ويؤنث ورجل شامي وشام على فعال
 وشامي أيضاً حكاه سيبويه رحمة الله تعالى عليه ولا تقل شأم
 وما جاء في ضرورة الشعر محمول على أنه اقتصر من النسبة على
 ذكر البلد وامرأة شامية وشامية مخففة الياء

ونقلت من خط اللزوي أحمد بن مطرف من الجزء
 الثاني من كتابه المسمى بالترتيب في الاخبار والاعاجيب
 أن في الشام قولين أحدهما أنه يجوز أن يكون مأخوذاً
 من اليد الشومي وهي اليد اليسرى واليمنى اختها فالشومي
 من الشوم واليمنى من اليمن . وقالت العرب :

فأنحى^١ على شؤمى يديه فذادها

باطماً من فرع الذؤابة اسحما

اظاً أفعل من الظما وشؤمى مقصور مهموز ويجوز أن
يكون فعلى من الشوم

ويجوز أن يكون فيه قول ثالث وهو أن يكون
جمع شامة والشامة العلامة . يقال شامة وشام مثل حاجة
وحاج . والرجل أشأم اذا كان ذا شامة وحقيقة الشامة أن
تكون مخالفة للون سائر الجسم . قال الجاحظ وأطلقت
الشامة على النكثة من أي لون كان في أي لون كان
اضعافها . الا ترى قول رسول الله ﷺ لما نزلت « يا أيها
الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم - الى قوله -
ولكن عذاب الله شديد » قال عمران بن الحصين انزلت
هذه الآية وهو في سفر قال « أتدرون أي يوم ذلك » قالوا
« الله ورسوله أعلم » قال « ذلك يوم يقول الله لا آدم ابعث
بعث النار » قال « يارب وما بعث النار » قال « تسعمائة وتسعون
الى النار وواحد الى الجنة » فانشأ المسلمون يبكون : فقال

رسول الله ﷺ « قاربوا وسددوا فإنه لم تكن نبوة قط
 الا كان بين يديها جاهلية فيؤخذ ذلك العدد من الجاهلية
 فان تمت والا كملت من المنافقين . وما مثلكم ومثل الامم
 الا كمثل الرقة في ذراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير »
 ثم قال « اني لارجو أن تكونوا ربع اهل الجنة » فكبروا
 ثم قال « اني لارجو ان أن تكونوا ثلث اهل الجنة » فكبروا
 ثم قال « اني لارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة »
 فكبروا ثم قل ولا أدري قال الثلثين أم لا رواه الترمذي .
 فانظر اليه ﷺ كيف اطلق الشامة وجعلها في جنب البعير .
 والبعير قد يكون ازرق أو أحمر وغير ذلك . وما الغرض
 الا النكتة القليلة من اي لون كانت في جنب البعير من أي
 لون كان . الا تراهم يقولون أرض الشام والشام جمع شامة
 وذهب بعضهم الى تسميته شاما لشامات له يعني
 اختلاف اراضيه في الوان تراها وقد علمت أن بعض تراه
 أبيض وأسود وأحمر وأصفر وبعضها اكدر . ويختلف
 كل لون منها في ذاته بالاشدية والاضغفية اختلافاً كثيراً

فصح أن إطلاق الشامة هاهنا لكونها نكتة في الأرض
 إذ الشام بمجموعه لو كان لوناً واحداً لكان كالنكتة الخفيفة
 الخفية في أديم الأرض. ثم انهم تجاوزوا في استعمال الشامة
 الى ان أطلقوها على غير اللون فأطلقوها على كل شيء قليل
 في نوعه فقالوا: فلان في قومه شامة. اما لمزيتة عندهم
 بالكرم أو بالحلم أو بالشجاعة أو بغير ذلك من الصفات
 الحميدة. ومنه قول ابن الساعاتي :

لولا صدودك يا امامه مابت اندب عهد رامة
 ابكي ليالي غبطة كانت لحد الشام شامة
 فتأمل كيف أطلق الشامة على لياليه التي قطعها بالشام لأنه
 استلذ زمانها واستطاب أوقاتها من بين الليالي كلها. انتهى
 ومن محاسن الشام ما روى عن كعب الاحبار رضي
 الله عنه أنه قال : ما بعث الله نبياً الا من الشام فان لم يكن
 من الشام هاجر الى الشام. وبها رأس يحيى ابن نبي الله زكريا
 عليهما السلام بين الاساطين ^(١) من الجانب الشرقي

(١) كانت في الاصل « الاساطين »

بالجامع الاموي . قبله هود عليه السلام في الجدار القبلي
قبره . انتهى

ومن محاسن الشام بناؤها ودمشقها

قال وهب بن منبه : دمشق بناها العازر غلام ابراهيم
الخليل عليه الصلاة والسلام وكان حبشيا وهبه له عمرو بن
كنعان

وقال أبو الحسن الرازي : رأيت في الكتاب الذي
سماه أبو عبيدة (كتاب فضائل الفرس) أن زيوراسف الملك
بنى مدينة بابل ومدينة دمشق

وفي جزء الدمشقيين ما حكاه أبو الخير العراقي قال كان
في زمان معاوية بن أبي سفيان رجل صالح بدمشق وكان
يقصده الخضر عليه السلام في أوقات للزيارة فبلغ ذلك
معاوية فجاء اليه وقال بلغني أن الخضر يأتيك فأحب أن تجمع
بيني وبينه فقال له نعم فلما جاء الخضر عليه السلام على العادة
قال له الرجل ان معاوية سأله الاجتماع به ^(١) فقال الخضر

(١) كانت في الاصل « بك »

عليه السلام لا سبيل الى ذلك قال معاوية قل له قد اجتمع
على أفضل الخلق وحدثه وجلس معه وهو سيد الأولين
والآخرين عليه السلام ولكن سله عن ابتداء (دمشق) كيف
كان قال الرجل فسأله قال صرت اليها فرأيت موضعها
بحراً تستجمع فيه المياه ثم غبت عنها خمسمائة عام ثم صرت
اليها فرأيتها قد ابتدء فيها بالبناء ونفر يسير بها

ونقل ابن عساكر رحمه الله تعالى في فتوحه قال :
وجدت بخط أبي الفرج الاصفهاني فيما ذكر أنه نقله من
كتاب فيه اخبار الكعبة المشرفة وفضائلها واسماء المدن
والبلدان واخبارها ثم ذكر مولد ^(١) ابراهيم الخليل عليه
السلام على رأس ثلاثة آلاف ومائة وخمسين سنة من جملة
الدهر الذي هو سبعة آلاف سنة وذلك بعد بنيان دمشق
بخمسين سنة . ونقل بعض المؤرخين بخمس سنين . قلت
وهذا يناقض ما تقدم والله سبحانه وتعالى اعلم

وقال صاحب عيون التواريخ ان الذي بناها غلام

(١) في الاصل « مولود »

(الاسكندر) اسمه (دمشقش) وقيل (دمشق)
 وذلك لما رجع (الاسكندر) من المشرق ، وعمل
 السد بين أهل خراسان وبين ياجوج ومأجوج ، وسار
 يريد المغرب ، فلما بلغ الشام وصعد على عقبة (دُمر)
 نظر الى هذا المكان الذي فيه اليوم (دمشق) فوجده
 وادياً يخرج منه نهر جار وغيضة أرز فلما رآها ذو القرنين
 ورأى اجتماع الماء بواديها فأخذ الاسكندر لغلामه (دمشقش)
 فأمره أن ينزل بها وكان أمينه على جميع ملكه فنزل هو
 والاسكندر في موضع القرية المعروفة (بيلا) وهي من
 غيضة الأرز على ثلاثة أميال . وأمره أن يحفر في ذلك
 الموضع حفيرة فلما فعل ذلك أمر أن يرددها بالتراب الذي
 حفر منها فلما رد التراب اليها لم يملأها فقال للغلाम ارحل
 بنا فاني كنت نويت أن أأسس في هذا المكان مدينة
 فبان لي ما يصلح أن يكون ههنا مدينة فانه ما يكفي
 اهلها زرعها فلما رحل الاسكندر عنها وصار الى (البثنية)
 و (حوران) وأشرف على تلك السعة ونظر الى أرضها

الحمراء فأمر بتناوله من ذلك التراب فلما لمسه بيده أعجبه ورأى لونه كالزعفران فأمر بالنزول هناك وإن يحفر حفرة فلما حفرت أمر برد التراب فردوه ففضل منه ثلثه فقال (الاسكندر) للغلام (دمشقش) ارجع الى الموضع الذي به الارز وانزل الوادي واقطع الاشجار التي على حافته وابنها مدينة وسمها باسمك فهناك يصلح أن يكون مدينة وهنا يصلح أن يكون زرعها فانه يجرؤها ويكون منه ميرتها .

يعنى المكان المسمى بحوران والبثنية . فرجع الغلام دمشق الى الغيضة واختط بها المدينة وجعل لها ثلاثة ابواب الأول (باب جيرون) والثاني (باب البريد) والثالث (باب الفراديس) وهذا القدر هو المدينة فاذا غلقت هذه الثلاثة الأبواب فقد اغلقت المدينة وتحصنت . وخارج الابواب مرعى ونبات وأعشاب وما أشبه ذلك . وكان قد بنى له فيها كنيسة يعبد الله تعالى [فيها] وهي الموضع الذى هو الآن الجامع

وقيل إن الذي بنى الكنيسة اليونان . وقيل بل وسعوها ثم وكبروها على ما هي عليه اليوم من الجامع المعمور

بذكر الله تعالى

وسكنها (دمشق) واستمر بها الى أن مات فيها وبه
عرفت وسميت ، غير ان طول الازمنة وتغير الاحوال
واختلاف الالسنه حذفت شينه وسكنت قافه فقليل
(دمشق) وقيل انما اسمه دمشق وبه سميت

وقال الجوهري دمشق المراد به السرعة ويجمع على
دماشق ومنه قول الهذلي :

دماشق يعفقن عفق السعالى

خفاف التوالى طوال الجزور (١)

وناقة دمشق أي سريعة جدا ومثلها حَضَجَر ومنه
قول الزفيان «وصاحبي ذات هباب دمشق»

قال الجوهري و (دمشق) هي قصبة الشام . انتهى
وقل ابو مسهر عبد الأعلى راوي الحديث المتقدم
ان الذي بنى حصن (دمشق) هو الذى حول أبواب (بيت
المقدس) الى مسجدها وجعله على مساحته

(١) لم نجد هذا في (الصحاح) وفيه الاسطر الثلاثة التالية

واليونان هم الذين وضعوا الارصاد وتكلموا على
 حركات الكواكب واتصالاتها ومقارنتها وبنوا (دمشق)
 في طالع سعيد واختاروا هذه البقعة الى جانب الماء الوارد
 بين هذين الجبلين ، وصرفوا أنهاراً تجري الى الاماكن
 المرتفعة والمنخفضة وسلكوا الماء في أبنية الدور بها وبنوا
 هذا المعبد وكانوا يصلون الى القطب الشمالي فكانت محاريبه
 تجاه الشمال وبابه يفتح الى جملة القبلة حيث المحراب اليوم
 كما شاهدنا ذلك عياناً لما تقضوا بعض الحائط القبلي وهو
 بابٌ حسنٌ مبنيٌ بحجارة منحوتة عن يمينه ويساره بابان
 صغيران بالنسبة اليه وكان غربيُّ المعبد قصراً منيفاً جداً
 تحمله هذه الاعمدة التي بباب البريد وشرقيه باب قصر
 جيرون وهي « إرم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلاً في
 البلاد » انتهى

وقال بعض المؤرخين الذي بني (باب جيرون^(١))
 سليمان عليه السلام بنته له الشياطين وكان الذي تكفل

(١) في الاصل « الذي بباب جيرون »

بعمارتها اسمه (جيرون) فسمى به

وقال بعض المؤرخين بناء (عاد) وقيل بل ولده (سعد) كان له ولدان أحدهما اسمه (جيرون) والآخر (بريد) فبنى لهما هذين القصرين على أعمدة وفتح لكل قصر منهما بابا إلى المعبد فسمى كل واحد باسم صاحبه وهو أول من صنع المدينة وأحدث بها البناء وعمل لها الأبواب :

الأول (الباب الصغير) وهو الذي نزل عليه (يزيد بن أبي سفيان) في حصار المسلمين الروم ودخل منه . وسمى بذلك لأنه كان أصغر أبوابها حين بنيت . وقيل يسمى (باب الجابية الصغير) وهو في قبلة البلد

الثاني (باب كيسان) وهو من شرقيّه وينسب إلى (كيسان مولى معاوية) لنزوله عليه قلت وهو الآن مسدود ويليه الثالث وهو (باب شرقيّ) لأنه شرقيّ البلد وعليه نزل (خالد بن الوليد) رضي الله عنه ومنه دخل عنوةً كما في التواريخ المطبوعة

ويليه الرابع وهو (باب توما) من شام البلد ينسب

الى عظيم عن عظماء الروم وسمي باسمه وكان له عليه كنيسة
 ويليه الباب الخامس وهو المسمى (بباب الجنيق)
 منسوب الى رومي اسمه (الجنيق) وبه تعرف (محلة الجنيق)
 كانت خارج البلد تسمى (الفراديس) والفراديس بلغة
 الروم البساتين

ويليه السابع وهو (باب الجابية) منسوب الى (قرية
 الجابية) وكانت في الجاهلية مدينة عظيمة انتهى . وقال
 الحافظ ابن عساكر رحمه الله كان باب الجابية ثلاثة ابواب
 الاوسط منها كبير ومن جانبيه بابان صغيران وكان الباب
 الشرقي بهذه الصفة لكونه مقابله وكان من الثلاثة الابواب
 ثلاثة اسواق ممتدة من الباب الشرقي الى باب الجابية

وكان الأوسط من الأسواق الثلاثة للمشاة من
 الناس ، وأحد السوقين [لمن] يشرق بدابة والآخر لمن
 يغرب بدابة حتى لا يلتقي فيهما راكبان

والأبواب صوروها على الكواكب فزحل على باب
 كيسان وعلى الباب الشرقي صورة الشمس وعلى باب توما

الزهرة وعلى باب الجنيق القمر^(١) وعلى باب الفردائس
عطارد وعلى باب الجاية المشتري وعلى الباب الصغير
المريخ^(٢)

وكان من حكماء اليونان من اتخذ على باب الجاية
صورة انسان مطرق الرأس كالمتفكر ومن أعماله أنه اذا
دخل أحد يريد بدمشق سوءاً أو بأهلها فان ذلك الانسان
يصر لآئنه الباب فيعلم به خدمة الباب وقوامه . انتهى

والمرحوم نور الدين محمود بن زنكي الشهيد افتتح
لها باباً وسماه باب السلام^(٣) وأحدث باب الفرج وسماه
بذلك لما وجد الناس به من الفرج

قال ابن عساكر وكان بقربه باب يسمى باب العمارة
فتح عند عمارة القلعة فسد وأثره باق الى يومنا هذا وأول

(١) في ابن عساكر (١ : ١٦) وباب الفردائس الآخر

المسدود للقمر

(٢) في ابن عساكر الباب الصغير للمشتري وباب الجاية للمريخ

(٣) في الاصل « باب السلامة »

من بني القلعة افسر ابن آوق ولما جدد الملك المعادل أبواب بكر بن أيوب القلعة أذهب باب العمارة . والله أعلم
 ويليه الباب الجديد وهو الآن خاص بالقلعة والذي أحدثه
 الأتراك في دولتهم ثم صحفته العوام بالحديد ^(١) وهو يفتح
 الى القلعة يليه من الغرب باب السر سمي بذلك لكونه
 يفتح الى القلعة أيضاً وكانت الأتراك ينزلون منه سرّاً
 ويطمعون منه ويجوز الخارج منه على جسر من خشب
 من تحته الخندق الدائر بالقلعة ينيف عمقه على مائة ذراع
 بالعملة به يتخزن الماء وينبت البوص وغير ذلك وهو غير
 خندق المدينة

واصطلح في آخر دولة ابن قلاوون أن من يولى نيابة
 دمشق أن يصلي عند هذا الباب ركعتين مستقبل القبلة
 بحيث يبقى الباب على يساره ويقف أجناد القلعة وأرباب
 الوظائف والأتراك في منازلهم على حسب العادة متحملين
 السلاح الى أن يفرغ من صلاته ودعائه فان أريد به شر
 (١) قال ابن عساكر (١٦:١) باب الحديد في سوق الاساكفة

قبض عليه ودخلوا به من ذلك الباب ويقفلون الجسر بينهم وبين أعوانه ، فإن الجسر بلوالب يحيل بينهم . وإن أريد به خير ركب في عزه ووجوه الدولة في خدمته الى أن ينزل بدار العدل التي أنشأها المرحوم نور الدين الشهيد . وهي التي تسمى اليوم بدار السعادة وهي تلي باب السرور وعلى بابها باب النصر فتحه الملك الناصر بن أيوب للمدينة وهذه الخمسة الابواب الحادثة جميعها فيما بين بابي الجابية والفراديس الا باب السلام وفي السور أبواب صغار تفتح عند الحاجة اليها غير ما ذكرنا وغالب هذه الأبواب القديمة بنى عليها منائر نور الدين الشهيد رحمه الله على مساجد وجعل لكل باب باشورة كالسويقة بها حوانيت مملوءة بالبضائع فاذا حصنت المدينة وقفلت الأبواب يستغنى أهل كل باب من هذه الأبواب بما عندهم وهو مقصد جميل . والله أعلم

ومن محاسن الشام افتتاحها على يد الصحابة رضي الله عنهم قال الحافظ ابن عساكر لما فتح الله تعالى على المسلمين

الشام بكامله ومن جملته (دمشق) المحروسة بجميع اعمالها وانزل الله عز وجل رحمته فيها وساق بره اليها كتب أمير المؤمنين ^(١) وهو اذ ذاك أبو عبيدة رضي الله عنه كتاب أمان وأقربا يدي النصارى أربع عشرة كنيسة وأخذ منهم نصف هذه الكنيسة وأخذ منهم التي كانوا يسمونها كنيسة مر يحنا بحكم أن البلد فتحه خالد بن الوليد رضي الله عنه من الباب الشرقي بالسيف وأخذت النصارى الامان من أبي عبيدة وهو على باب الجابية فاختلفوا ثم اتفقوا على أن جعلوا نصف البلد صلحاً ونصفه عنوة فاخذ المسلمون نصف هذه الكنيسة الشرقي فجعله أبو عبيدة رضي الله عنه [مسجداً وكانت قد صارت اليه إمارة الشام فكان أول من صلى فيه أبو عبيدة رضي الله عنه] ^(٢) ثم الصحابة بعده في البقعة التي يقال لها محراب الصحابة رضي الله عنهم ولم يكن

(١) أي الأمير على من شهد هذا الفتح من المؤمنين

(٢) الموضوع بين هاتين الاشارتين [كان ناقصاً من

النسخة البغدادية وأكمل من النسخة المصرية

الجدار مفتوحاً بمحراب مخي وانما كان المسلمون يصلون عند
هذه البقعة المباركة

وكان المسلمون والنصارى يدخلون من باب واحد
وهو باب المعبد الاصيل الذي كان في جهة القبلة مكان المحراب
الكبير الذي هو اليوم حسبما سلف لنا ذكره فينصرف
النصارى الى جهة الغرب لكنيستهم ويأخذ المسلمون
يمينه الى مسجدهم . ولا يستطيع النصارى أن يجهروا بقراءة
كتابهم ولا يضربون بناقوس اجلالاً للصحابة رضي الله
عنهم ومهابة لهم وخوفاً منهم

ولما ولي امارتها معاوية رضي الله عنه بنى دار الامارة
وسماها ﴿ الدار الخضراء ﴾ وسكنها معاوية أربعين سنة
والامر على ذلك . والله أعلم

ومن محاسن الشام ما ورد في فضل مسجدتها . نقل
عن بعض المفسرين في قوله تعالى « والتين والزيتون وطور
سينين وهذا البلد الامين » عن قتاده أنه قال : لقد أقسم
الله تعالى بأربعة مساجد فان التين هو مسجد دمشق

والزيتون مسجد بيت المقدس وطور سينين حيث كلم الله عز وجل موسى عليه السلام والبلد الامين مكة المشرفة وعن يزيد بن ميسرة قال : أربعة أجبل مقدسة بين يدي الله تعالى : طور زيتا ، وطور سيننا ، وطور تيماننا . قال فطور زيتا بيت المقدس ، وطور سيننا طور موسى عليه السلام ، وطور تيماننا مسجد دمشق ، وطور تيماننا مكة المشرفة .

وعن محمد بن شعيب قال : سمعت غير واحد من قدمائنا يذكرون أن التين مسجد دمشق . وأنهم قد أدركوا فيه شجراً من تين قبل أن يبنيه الوليد وعن عمرو بن الدونس الغساني في تفسيره والتين قال : التين مسجد دمشق ، كان بستاناً لهود عليه السلام ، وفيه تين قديم

وعن القاسم بن عبد الرحمن قال : أوحى الله تبارك وتعالى الى جبل قاسيون أن هب ظلك وبركتك لجبل بيت المقدس . قال ففعل . فأوحى الله عز وجل اليه : اما

وقد فعلت فاني سأبني لي في حضنك بيتاً . قال الوليد بن مسلم في حضنك أي وسطك وهو المسجد أعني مسجد دمشق أعبد فيه بعد خراب الدنيا أربعين عاماً ولا تذهب الايام والليالي حتى أرد عليك ظلك وبركتك . قال فهو عند الله بمنزلة المؤمن الضعيف المتضرع

ويقال ان أول من بنى جدران هذا الجامع الاربعة هود عليه السلام ، وكان هود قبل ابراهيم الخليل عليهما السلام بمدة طويلة

وقد جاء في الاخبار ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام قاتل شمالي دمشق عند (بَرْزَة) قوما من أعدائه فظفر بهم وكان مقامه لمقاتلتهم عند قرية برزة وبه سميت عند بروزه . على أعدائه وبها متعبده بسفح الجبل ينسب اليه . وكانت دمشق عامرة إذ ذاك

وعن مسلم بن الوليد قال لما أمر الوليد بن عبد الملك ببناء مسجد دمشق وجدوا في حائط المسجد القبلي لوحاً من حجر منقوش فأتوا به الوليد فلم يجد من يحسن قراءته .

فدلوه على وهب بن منبه فبعث اليه فلما قدم أخبره بموضع ذلك اللوح فقرأه وهب فاذا فيه موعظة^(١) وفي آخرها كتب في زمن سايمان بن داود عليهما السلام . والله سبحانه وتعالى أعلم

ومن محاسن الشام بناء معبدها . قال ابن عساكر : لما صارت الخلافة الى الوليد بن عبد الملك عزم على أخذ بقية هذه الكنيسة وإضافتها الى ما بأيدي المسلمين وجعل الجميع مسجداً واحداً وذلك لتأذي المسلمين بسماع قراءة النصارى في الانجيل ورفع أصواتهم في الصلاة فاحب أن يبعدهم عن المسلمين فطلب النصارى وسألهم أن يخرجوا عن بقية الكنيسة ويعرضهم اقطاعات كثيرة عرضها عليهم وان يقر لهم اربع كنائس لم تدخل في العهد وهي كنيسة مريم وكنيسة المصلبة وكلاهما داخل الباب الشرقي وكنيسة قل الجبل وكنيسة حميد بن درّة^(٢) التي بدرب الصنقل

(١) هذه الموعظة في تاريخ ابن عساكر (١ : ١٩٧)

(٢) قال ابن عساكر (١ : ٢٤٢) : هو حميد بن عمرو بن

فأبوا ذلك أشد الالباء فقال ائتونا بعهدكم الذي بأيديكم في
 زمن الصحابة فقري بحضرة الوليد فاذا كنيسة توما التي
 كانت خارج باب توما لم تدخل في العهد وكانت فيما يقال
 أكبر من كنيسة مريخنا فقال أنا أهدمها وأجعلها مسجداً
 فقالوا بل يتركها أمير المؤمنين وما ذكر من الكنائس
 ونحن نرضى بأن يأخذ بقية كنيسة مريخنا فاقروهم على تلك
 الكنائس وأخذ منهم بقية الكنيسة

ثم امر الوليد بالهدم فجاءت اساقفة النصارى وقساوستهم
 وقد ندموا فقالوا يا أمير المؤمنين إنا نجد في كتبنا أن من
 يهدم هذه الكنيسة يحن فقال أنا أحب أن اجن في الله
 والله لا يهدم فيها أحد قبلي ثم صعد المنارة الغربية وكانت
 صومعة عظيمة فاذا فيها راهب فأمره بالنزول منها فأبى
 الراهب فأخذ بقفاه وحدّره منها ثم وقف على أعلى مكان

مساحق القرشي العامري ، رأمه (درة) بنت أبي هاشم خال
 معاوية بن أبي سفيان ، وهو أبو هاشم بن عتبة بن ربيعة . وكان
 لدرب اقطاعا له فنسبت الكنيسة اليه

منها فوق المذبح الاكبر الذى يسمونه الشاهد وأخذ
 فأساً وضرب أعلى حجر فالتقاها فتبادر الامراء والاجناد الى
 الهدم بالتكبير والتهليل والنصارى تصرخ بالعويل على
 درج باب البريد وجيرون وقد اجتمعوا فامر الوليد صاحب
 الشرط أن يضر بهم وهدم المسامون جميع ما كان من آثارهم
 من المذابح والابنية والحنايا حتى بقى صرحه مربعة

ثم شرع فى بنائه بفكرة جيدة على هذه الصفة الحسنة
 التى لم يشهد مثلها من قبلها ولا من بعدها

واستعمل الوليد فى هذا المسجد خلقاً كثيراً من
 الصناع والمهندسين والمرخين . وكان المستحث على عمارته
 أخوه سايان بن عبد الملك ويقال ان الوليد بعث الى ملك
 الروم يطلب منه صناعا فى الرخام والاحجار وغير ذلك
 ليعمروا هذا المسجد على ما يريد وأرسل يتوعده إن لم يفعل
 ليغزون بلاده بالجيوش وليخربن كل كنيسة فى بلاده حتى
 القيامة التى بالقدس الشريف ويهدم كنيسة الرها وجميع
 آثار الروم . فبعث ملك الروم صناعاً كثيرة جداً وكتب

اليه يقول له ان كان ابوك فهم هذا الذي تصنعه وتركه فانه
لوصمة عليك وان لم يفهمه وفهمته انت فانه لوصمة عليه .
فاراد ان يكتب اليه الجواب واذا بالفرزدق الشاعر دخل
عليه فاخبره بما كتبه ملك الروم فقال يا امير المؤمنين انت
جعلت اخاك سليمان هو القائم بأمر العماراة والجواب
بنص القرآن « ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً »
فاجب ذلك الوليد وارسل به جواباً لملك الروم

ولما اراد الوليد ان يبني القبة التي في وسط الرواقات
التي يقال لها قبة النسر (قلت وهو اسم حادث على ما ظن
كان العوام شبهوها بالنسر في شكله لأن الرواقات
عن يمينها وشمالها كالاجنحة لها) حفر لأركانها حتى
وصل الى الماء وشربوا منه ماء عذباً زلالاً ثم وضعوا فيه
جراز الكرم وبنوا فوقها بالحجارة فلما ارتفعت الاركان
عقدوا عليها القبة فسقطت . فقال الوليد وقد أعياه أمرها
لبعض المهندسين اريد أن تبني لي أنت هذه القبة . فقال
علي أن تعطيني عهد الله وميثاقه أن لا يبني فيها أحد غيري

وان لا يعارضني فيما أرومه . ففعل ذلك . وبني الاركان ثم سترها بالبواري والحصر واختفى سنة لا يعلم الوليد أين ذهب ولا يستطيع أن يدع أحداً يتمها . فلما كان بعد العام حضر على الوليد فقال له : كيف حتى عطلت البناء . قال لا امر خفي على أمير المؤمنين وعلى البنائين ثم قال يا أمير المؤمنين احضر معي حتى أوقفك على ذلك فلما حضر الوليد وكشف الحصر والبواري عن الاركان فاذا هي هبطت بعد ارتفاعها حتى ساوت الارض . فأعجب الوليد و [رجال] الدولة وخلع عليه . ثم أكمل بناءها وعقدها على الهيئة المعلومة الآن وأراد الوليد أن يجعل بيضة القبة من ذهب خالص ليعظم بذلك شأن المسجد فقال له بعض المعاملين : انك لا تقدر على ذلك . فضربه خمسين سوطاً وقال له ويلك أنا أعجز عن ذلك . فقال له المهندس الذي بناها : صدق يا أمير المؤمنين وأنا اوضحه لك . فأمر أن يسبك له لبنة على القدر الذي يطلبه . فلما أحضرها قال أمير المؤمنين : احسبوا القدر الذي دخل فيها . فوجدوه عدة من الالوف فقال : يا أمير

المؤمنين اريد مثل هذه كذا وكذا الف لبنة فان كان
عندك ما يكفي عملناه . فلما تحقق الوليد صحة قوله أطلق
المضروب ورسم له بخمسين ديناراً واعتذر اليه
ولما سقف الوليد الجامع جعلوا أسقفه جملونات وباطنها
مسطحاً مقرنصاً بالذهب . فقال له بعض أهله : أتعبت
الناس بعدك بتبليس سطح هذا الجامع في كل عام . فأمر
الوليد أن يجمع ما في بلده وباقي معاملته من الرصاص ليجعله
عوض الطين ويكون أخف على السقف ، فجمع ذلك . فلم
يكفه . ثم بلغ الوليد ان امرأة عندها من الرصاص
القناطير المقلطرة ورثته من ابيها ، فساوموها في بيعه
فأبت وقالت : لا ابيعه الا بثقله فضة . فقال لهم : نشتره
لحاجتنا بزننه فضة . فلما اخبروها ان امير المؤمنين سمح
لك بزنة ما قلت . قالت : حيث كان صادقا في حب الله فانا
احب ان يكون لي في هذا الجامع شيء في حب الله خذوه
باجمعه ، فكفاه وفضل . وذكر بعض المؤرخين ان هدم
المرأة كانت اسرائيلية

وقال ابن عساكر اشترى الوليد هذين العمودين تحت
 قبة النسر من خالد بن يزيد بن معاوية بألف وخمسمائة دينار
 قال وكان في مسجد دمشق اثنا عشر ألف مرخم
 واشترى لوحين [من] رخام فستق من الاسكندرية
 بمائة اشرفي ونقلهما ووضعهما على محل الغار التي فيها رأس
 يحيى بن زكريا عليهما السلام . وقيل انهما كانا في عرش
 بلقيس مع الستة الشبايك التي في مشهد المؤذنين على الباب
 والمشهد الذي تجاهه

وعن يزيد بن واقد قال وكلني الوليد على العمال في بناء
 الجامع فوجدنا فيه مغارة فعرّفنا الوليد . فلما كان الليل
 وافى وبين يديه الشمع فنزل فاذا هي كنيسة لطيفة ثلاثة
 اذرع في ثلاثة اذرع واذا فيها صندوق ففتح الصندوق فاذا
 فيه سبط وفي السبط رأس يحيى بن زكريا . فأمر الوليد
 برده الى مكانه وقال : اجعلوا العمود الذي فوقه معينا بين
 الاعمدة . فجعلوا عليه عموداً مسطاً الرأس

وذكر بعض المؤرخين ان ارض الجامع كانت مفروشة

بالفصوص المزمكة بالذهب المسماة بالفسيّفساء . وان الرخام كان في جدرانها سبع وزرات . ومن فوقه صفات البلاد والقرى وما فيهما من العجائب . وان الكعبة المشرفة وضع صفاتها فوق المحراب . ثم فرق البلاد يميناً وشمالاً وما بينهما من الاشجار المثمرة والمزهرة وغير ذلك . وجعل سلاسل المصاييح من نحاس محلى بالذهب . ورتب له من الشموع ما يوقد منه في اماكن مختصة . واصطنع في صحنه صفة مجامر على اعمدة برسم البخور ووكّل بذلك خدمة لا يفترون ليلاً ولا نهاراً حتى كان يُشتم روائح البخور من مسيرة فرسخين وسبك له سرجاً من نحاس كلّ سراج يوضع فيه قنطار زيت وجعل على كلّ باب سراجاً . وجعل في محراب الصحابة رضي الله عنهم اجمعين حجر بلور ، وقيل بل درّة لا قيمة لها وكانت اذا طفت المصاييح يقوم نورها مكانها وان الامين بن الرشيد ارسل الى صاحب دمشق ان يُسيرها اليه فاختمها وسيرها اليه ، وقيل انه لما رآها امر بردها . وقال اخاف ابن عساكر ثم ذهبت بعد ذلك فجعل مكانها

برنية من زجاجٍ وقد رأيتها ، ثم انكسرت بعد مدة فلم
يوضع مكانها شيء

وبنى الوليد المنارة التي يقال لها (العروس) وجعل عدّة
من المصاييح توقد عليها في كلّ ليلة ورتّب لها ثلاث نوب
كل نوبة اربعون مؤذناً وهي باقية الى يومنا هذا . واما
(الغربية) و (الشرقية) فهما على ما كانتا عليه من غير عمل
ادوار ودرازين ، وهما من بناء اليونان كالصوامع لضرب
النواقيس والرّصد . وقال بعض المؤرّخين انّ الشرقية
احترقت في سنة اربعين وسبعائة فنقضت وجدّدت من
اموال النصارى لكونهم اتهموا بحرقها واقرّ بعضهم
بذلك فقامت على احسن الاشكال . وقال بعض العلماء في
المنارة الشرقية البيضاء التي ينزل عليها عيسى بن مريم عليه
السلام في آخر الزمان بعد خروج الدجال كما ثبت في صحيح
مسلم عن النّوّاس بن سميان والله أعلم

ويقال انه كان في الركنين الشماليين صومعتان كالمقابلة

فهدمهما الوليد ، وجعل من بعض آلهما قبتان على اعمدة في
صحن الجامع ، وجعل فيهما خلوتان من فوق الاعمدة وادع
بهما كتب اوقاف هذا الجامع ومصاريفه ، ويقفل عليهما
بالاقفال الحديد المانعة (١)

وكانت فيه طلسمات اصطنعتها اليونان لعدم دخول
الحشرات كالحية والعقرب والخنفس والعناكب وغير ذلك
من الطيور كالحمام والعصافير والوطايط وما اشبه ذلك .
قال ابن عساكر : وذهب بعض طلسماته . قات : بل كلها

(١) توجد الى الآن في الشمال الغربي من صحن المسجد قبة
على اعمدة فتحت في أواخر عهد السلطان عبد الحميد بطلب من
الحكومة الألمانية بناء على اقتراح بعض مستشرقيه . وكان من
العلماء الذين حضروا فتحها باسم الحكومة العثمانية شيخنا المرحوم
الشيخ طاهر الجزائري ، فوجد فيها بعض الصكوك والوقفات
والمصاحف وامثال ذلك من المكتوبات القديمة . أما الشمال
الشرقي من صحن المسجد ففيه الآن قبة الساعات وهي على
جدران لاعلى اعمدة

بسبب الحِن التي توالى وتعددت على دمشق آخرها محنة
تمرلنك

وقال عمرو بن مهاجر الانصاري رحمه الله : ضبط
الكتاب ما انفق على الكوة التي في قبلة المسجد فكانت
سبعين الف دينار . وقال ابو قصي : انفق في عمارة مسجد
دمشق خمسة آلاف الف دينار وستمائة الف دينار . فلما بلغ
امير المؤمنين الوليد ان عمرو بن مهاجر والناس قالوا
« أنفد الوليد بيت مال المسلمين في غير حقه وكان يعمر
هذا الجامع ببعض ذلك » جمع الناس ، ونودي بالصلاة
جامعة ، ثم صعد المنبر وحمد الله واثنى عليه فقال « يا ايها
الناس ، قد بلغني عنكم أنكم قلتم بأنني انفقت بيت مال المسلمين
في غير موضعه بغير حق » فأطرقت الناس ثم قال « يا عمرو
- يعني ابن مهاجر - قم فأحضر اموال بيت المال » فحمل
على البغال . وبسطت الأنطاع تحت القبة وصب عليها
المال ذهباً وفضة حتى كان الرجل لا يرى الآخر وجيء
بالقباين ووزنت فاذا هي تكفي الناس ثلاث سنين مستقبلة

وفي رواية سبع سنين مستقبلة لو لم يدخل الناس شيء
بالكلية ففرح الناس وهللوا وكبروا وحمدوا الله وأثنوا على
أمير المؤمنين ودعوا له وشكروه على ذلك . ثم قال الوليد
« يا أهل دمشق انكم تفخرون على الناس بأربع : بهوائكم
ومائكم ، وفا كهتكم ، وحمائمكم ؛ فاحببت أن أزيدكم خامسة
وهي هذا المعبد » فحمدوا الله تعالى وانصرفوا شاكرين
له . انتهى

ومن محاسن الشام ما وصف جامعها به بدر الدين حسن
ابن حبيب الحلبي في كتاب سماه (تشنيف المسامع في وصف
الجامع) قال : واما دمشق فانها في وجنة الدنيا كالشامة ،
وزينة البلاد كريش الطاوس أو طوق الحمامة . وفي دائرة
الاقطار كالنقطة المعلمة ، وفي جيش الامصار كالملك الذي
ينطق بالحكمة . وفي قلادة الاقليم كالواسطة ، وفي سماء
الخلل كالشمس التي بدت أشعتها في الوجوه باسطة . وهي
البروة المباركة ، والغوطة التي جات عن المائلة والمشاركة .

والمعدودة من جملة مدائن الجنة، والمأهولة بالأهلة من أرباب
الكتاب والسنة . والمعروفة بإرم ذات العماد ، والموصوفة
بلم يخلق مثلها في البلاد. وأما جامعها ففيه أقول :

يا جامعاً في دمشق في حسنه قد تفرّد
لم تُطرب الناس طراً ألا لأنك معبد^(١)
وقلت أيضاً :

معبد الشام يجمع الناس طراً
واليه شوقاً تميل النفوس
كيف لا يجمع الوري وهوييت
فيه تجلى على الدوام العروس^(٢)
وقلت :

ياراغبا في غير جامع (جَلَّق)
هل يستوي الممنوع والممنوح

(١) فيه تورية باسم (معبد) الموسيقى العربي الشهير

(٢) فيه تورية باسم (منارة العروس) التي مر ذكرها

اقصر عناك وفي غلوك لا تزدد

إن الزيادة بابها مفتوح (١)

قلت : وهذا الباب المفتوح في بيت ابن حبيب سرقه
من بيتي الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة لكن ركبته في
محله أحسن تركيب وهما :

أرى الحسن مجموعا بجامع (جلق)

وفي صدره معنى الملاحاة مشروح

فإن يتغالى في الجوامع معشر

فقل لهم باب الزيادة مفتوح

ونقلت من خط الشيخ صلاح الدين الصفدى

قوله فيه :

تقول (دمشق) اذ تفاخر غيرها

بعبدها الزاهي البديع المشيد

جرى لتناهي حسنه كل معبد

وما قصبات السبق الا لمعبد

(١) فيه تورية باسم (باب الزيادة) الذى مر ذكره

والأصل في ذلك قول الشيخ برهان الدين القيراطي
رحمه الله :

سقى بدمشق الغيثُ جامعَ نسكها
وروضاً به غنى الحمام المغرّد
إذا ما زهى في العين من ذاك معبد
لذكر حلا في السمع من ذاك معبد
ومن معانيه البديعة قوله فيه :

الجامع الأموي اضحى حسنه
حسناً عليه في البرية أجمعاً
حلوه اذ حلوه فانظر صحنه
تلقاه أصبح للحلاوة مجمعا
ومن تحريره البديع قوله فيه :

(دمشق) في الحسن لها منصب
عال وذكر في الورد شائع
نخل من قاس بها غيرها
وقل له ذا الجامع المانع

ومن محاسنه قوله في الساعات رحمه الله تعالى :
 في الجامع الأموي الحسن مجتمع
 وبابه فيه للأحداق لذاتُ
 دقائق الحسن يحويها له درج
 فحبذا منه بالساعات ساعات
 وحبذا معبدكم أطربت اذناً
 فيه من الذكر نغمت وأصوات
 جلا العروس على الراي فطلعتها
 تزفها من بدور التم طارات
 ومن لطائفه قوله فيه وفي (النسر) تغمده الله برحمته :
 يقول لنا نسر بجامع (خلق)
 أنا الطائر المحكي والآخر الصدى
 وقد أطرب الاسماع مطرب جنكها
 وغنى به من لا يغنى مفردا

ومن محاسن الشام ما وصفها [به] الشيخ بدر الدين
 محمد الدياميئي الاسكندري المالكي قال: « فتأملها المملوك

فاذا هي جنة ذات ربوة قرار ومعين ، وبلدة تبعث محاسنها
 الفكر على حسن الوصف وتعين . وحسبها بالجامع الفارق
 بينها وبين سواها ، والانهار التي اذا ذكرت قبّل الحبل
 فما أجراها ، واذا سُمع حديثُ الخصب فما أرواها . وما أقول
 ومتنزهات مصر عارية عن المحاسن وهذه ذات الكسوة^(١) ،
 وان النيل ما احترق^(٢) إلاّ من الاسف حيث لم يسعده
 الدهر بالصعود الى تلك الربوة . وما أظنه احمرّاً إلاّ خجلاً
 من صفاء أنهارها ، ولا ناله الكسر الا لتألمه بالانقطاع
 عن الوصول الى سقي أزهارها . فلو رأى العاشق جبهتها
 لسلا بمصر معشوقه ، ونسى ظهور جوانبه المنحنية بقامات
 غصونه المشوقة . ولو تطاولت المجنونة الى المفاخرة
 لتأخرت الى خلفها مستحيية ، وأحجمت عن الاقدام حين
 تحرّكت لها بدمشق الساسلة . وحق لمصر ألاّ يجري حديث

(١) فيه تورية بقرية (الكسوة) وهي ضاحية جنوبى دمشق؛
 سميت باسم كسوة المحمل الذي كان يسافر منها الى مكة المكرمة
 كل عام (٢) فيه اشارة الى (تحريق النيل) ايام انخفاضه

المفاخرة في وهما، وأن تتقي شر المنازعة قبل أن تصاب
 من هذه البلدة بسهمها . فسقى الله متنزهاتها التي طرب
 المملوك برؤية جنكها ولطالما اهتزت له المعاطف على
 السماع ، ورأى بها كل نهر ذاب عنه الجليد فانهقد على
 حلاوة شكره الاجماع »

وما أحسن قول الشيخ برهان الدين القيراطي :
 ما فيه إلا جوسق أوروبية

أوجدول أو بلبل أو ررب

وكان ذاك النهر فيه معصم

بيد النسيم منقش ومكتب

وإذا تكسر ماؤه أبصرته

في الحال بين رياضه يتشعب

وشدت على العيدان ورق أطربت

بغنائها من غاب عنه المطرب

فالورق تنشد والنسيم بها فكم

اضحى له من بيننا متطلب

ولكم طربت على السماع بجنكها
وغدا بربوتها اللسان يشبب
فمتى أزور معالمها ابوابها
بسماعها كتب الكرام تبوب

ومن محاسن الشام ما وصف جامعيها به العلامة اليعقوبي
قال « مدينة دمشق جليلة قديمة . وهي مدينة الشام ، في
الجاهلية وفي الاسلام . وليس لها نظير في جميع بلاد الشام
في انهارها ومبانيها وكثرة عمارتها . افتتحت في خلافة
عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة اربع عشرة وبانيها اسمه
دمشق بن عمرو بن كنعان . وقيل دمشق بن قاني بن مالك
ابن أرغش بن سام بن نوح عليه السلام . وقيل سعد بن
عاد ، وبني فيها قصرين لولديه بريد وجيرون ، ومما بني
دمشق سماها إرم وعلى هذا نقلت الاخبار ان إرم ذات
العماد هي دمشق ، يقال انه كان فيها اربعة الف عمود .
واما جامعها فليس في مدائن الاسلام احسن منه ، بناه
الوليد في خلافته بالرخام والذهب سنة ثمان وثمانين ، فرش

بالرخام الابيض المختم بالارزق ، وسقفه لاختشب فيه ،
 مذهب^١ كله من اعلاه الى اسفله ، وبه ثلاثة منابر » انتهى
 ومن محاسن الشام وصف الاستاذ ابن جبير لجامعها .
 نقلت من خط الشريشي قال : أملى عليّ شيخنا ابن جبير في
 وصف جامع دمشق ما صورته قال « الجامع الاموي من
 اشهر جوامع الاسلام حسناً واتقان بناء ، وغرابة صنعة ،
 واحتفال تنميق وتزيين . ومن عجيب ، شأنه انه لا ينسج فيه
 عنكبوت ، ولا تدخله ولا تلم به الطير المعروفة بالخطاف
 ووجه الوليد الى ملك الروم بالقسطنطينية فامر باشخاص
 اثني عشر الف صانع من جميع بلادهم وتقدم اليه بالوعيد في
 ذلك ان توقف . فامثل امره مدعنا فشرع في بنائه وبلغت
 الغاية في التأنيق فيه [وانزلت جدره كلها] بالفصوص الملونة
 المذهبة المعروفة بالفسيفساء ومثلت به الاشجار مفرعة
 الاغصان بانواع الازهار ، فجاء يغشى العيوت وميضاً
 وبصيصاً

وبلغت النفقة عليه احد عشر الف الف دينار

ومائتي الف دينار

وكان ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه لما دخلها
صالح النصراني بان اخذ نصف الكنيسة الشرقي فصيره
مسجداً وبقى النصف الغربي للنصارى فاخذه الوليد وادخله
في الجامع بعد ان ارغبهم في التعويض عنه فأبوا فاخذه
قسراً . وكانوا يزعمون ان من يهدم كنيستهم يحن ، فبادر
الوليد وقال أنا أول من يحن في حب الله وبدأ الهدم بيده
فتبادر المسامون للهدم ثم ارضاهم عمر بن عبد العزيز في
خلافته عن الكنيسة بمال عظيم

وطول هذا الجامع من الشرق الى الغرب مائتا خطوة
وهي ثلاثمائة ذراع وذرعه في السعة من القبلة الى الشمال مائة
وخمس وثلاثون خطوة وهي مائتا ذراع وتكسيه من
المرجع الغربي اربعة وعشرون مرجعا وهو تكسير مسجد
النبي ﷺ غير ان طوله في مسجد رسول الله ﷺ من
القبلة [الى الشمال] . وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاث مستطيلة
من الشرق الى الغرب سعة كل بلاطة منها ثمانى عشرة

خطوة [والخطوة] ذراع ونصف وقامت البلاطات على ثمانية وستين عموداً منها [اربع وخمسون سارية و [ثمانى ارجل واربع] ارجل مرخمة ابدع ترخيم ، مرصعة بفصوص من الرخام ملونة ، قد نظمت خواتيم وصورت [يتخللها اثنتان مرخمة ملصقة في الجدار الذي يلي الصحن واربعة محاريب واشكال غريبة قامت في البلاط الأوسط دور كل رجل منها اثنان وسبعون شبراً ويستدير بالصحن بلاط من ثلاث جهات سعتة عشر خطوات عدد قوائمه سبع وأربعون منها اربعة عشر رجلاً والباقي سواد

وسقف الجامع كله من خارج ألواح من رصاص واعظمها ما فيه قبة الرصاص المتصلة بالمحراب هي قائمة في الهواء عظيمة الاستدارة وقد استقل بها هيكل عظيم وهو غارب لها ^(١) يتصل من المحراب الى الصحن والقبة

(١) كانت في الاصل « وهو عمودها » فصححناها من رحلة ابن جبير ومنها أخذنا الزيادات التي أدخلناها في هذه القطعة بين هاتين الاشارتين []

قد اقيمت في الهواء فاذا استقبلتها أبصرت مرأى عظيما
هائلا

ومن أي جهة استقبلت البلد ترى القبة في الهواء
كأنها معلقة في الجو وعدد شمسيتها الزجاجية الملونة المذهبة
أربع وسبعون فاذا قابلتها الشمس واتصل شعاعها انعكس
الشعاع الى كل لون منها واتصل ذلك بالجدار القبلي
وتتصل بالابصار منها أشعة ملونة هائلة لا تبلغ العبارة
بعض صورها

ومحرابه من أعجب المحاريب الاسلامية حسناً وغرابة
صنعة يتقد ذهباً كله قد قامت في وسطه محاريب صفار
متصلة بجدار تحفها اسـورة مفتولات قبلي الاجدرة
كأنها مخروطة بعضها أحمر كأنها مرجان ولم ير شيء
أجمل منها

وفيه ثلاث مقاصير : مقصورة معاوية رضي الله عنه
وهي مقصورة وضعت في الاسلام طولها اربعة وأربعون
شبراً وعرضها نصف الطول . ويلها جهة الغرب المقصورة

التي احدثت عند زيادة الكنيسة فيه وهي أكبر . والثالثة
 بالجانب الغربي تجتمع السادة الحنفية فيها للتدريس
 وله أربعة أبواب باب قبلي يعرف بباب الزيادة وباب
 شمالي يعرف بباب الناطفيين وباب غربي يعرف بباب البريد
 وباب شرقي يعرف بباب جيرون وهو أعظمها . وله وللغربي
 [وللشمالي أيضاً] دهاليز متسعة يفضي كل دهليز منها الى
 باب عظيم كانت كلها مداخل الى الكنيسة فبقيت على
 حالها

وفي صحنه من عجائب الابنية والقباب والصوامع
 الثلاث والمياه المدبرة ما يحير العقول وتكّلّ عنده الافهام
 وهذا الصحن من أجمل المناظر وأحسنها وفيه يجتمع أهل
 البلد و[هو] متفرجهم كل عشية تراعى فيه ذاهبين راجعين
 من باب البريد الى باب جيرون لا يزالون على هذا الحال
 الى انقضاء العشاء الآخرة منهم من يتحدث مع صاحبه
 ومنهم من يقرأ . فهذا دأبهم بالعشي والغداة ، والاحفل
 بالعشى . وأهل البطالة يسمونهم الحراثين »

وما أحسن قول الشاب الظريف محمد بن العفيف
 في غلام يمشي في صحن الجامع :
 تمشي بصحن الجامع الشادن الذي
 على قدمه أغصان بان النقي تثني
 فقلت وقد لاحت عليه حلاوة

الافانظروا هذي الخلاوة في الصحن
 وقال ابن جبير « وللجامع الاموي اربع سقايات في
 كل جهة

سقاية باب جيرون ، وباب جيرون مفروش بالبلاط
 الطويل العريض وهو خمسة ابواب مقوسة لها ستة أعمدة.
 وفي جهة اليسار منه مشهد كبير كان فيه رأس الحسين
 رضي الله عنه قبل أن ينقل الى القاهرة. وبازائه مسجد
 صغير لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه . قد انتظمت
 أمام البلاط أدراج ينحدر عليها الى الدهليز وهو كالخندق
 العظيم يتصل الى باب عظيم الارتفاع ينحسر الطرف
 دونه سموأ قد حفته أعمدة كالجزوع طولاً وكالاتواد

ضخامة . وبجانبى هذا الدهليز أعمدة قامت عليها شوارع
مستديرة فيها حوانيت العطارين وغيرهم وعليها شوارع
مستطيلة فيها الحجر والبيوت . وفي وسط الدهليز حوض
بانبوب صفر يزعج الماء بقوة فيرتفع الى اطواء أزيد من
القامة وحوله أنابيب صغار ترمي الماء علواً فيخرج عنها
كقضببان اللجين وكأنها أغصان تلك الدوحة المائية
ومنظرها ابداع من أن يوصف

وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط
الذي أمامه شبه غرفة لهاهيئة طاق كبيرة مستديرة فيها
طيقان من صفر وقد فتحت أبواباً صغاراً على عدد ساعات
النهار ودبرت تدبيراً هندسياً فعند انقضاء ساعة من النهار
تسقط صنجتان من صفر من في بازين من صفر قائمين
على طاستين من صفر مثقوبتين فتبصر البازين يمدان
اعناقهما بالبندقتين ^(١) الى الطاستين ويقذفانها بسرعة

(١) كانت في الاصل « بالصيحتين » المحرفة عن « الصنجتين »

وتدبير عجيب تتخيله الازدهان سحراً فعند وقوعهما يسمع
 لهما دوي فيعودان من الاثقاب الى داخل الجدار الى الغرفة
 وينتاق الباب لاجين بلوح صفر فلا يزال كذلك حتى
 تنقضى الساعات فتتغلق الابواب كلها ثم تعود الى حالاتها
 الاولى

ولها بالليل تدبير آخر وذلك ان في القوس المنعطف
 على الطيقان المذكورة اثنتي عشرة دائرة من النحاس مخرمة
 في كل دائرة زجاجة وخاف الزجاجة مصباح يدور به الماء
 على ترتيب مقدار الساعة فإذا انقضت عم الزجاجة ضوء
 المصباح وأفاض على الدائرة شعاعاً فلاحت دائرة مضاءة ثم
 ينتقل الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل وقد وكل بها
 من يدبر شأنها فيعيد فتح الابواب ويسرح الصنج الى
 موضعها وهي التي تسمى الميقاتية ^(١) »

فصححناها من رحلة ابن جبير . وفيما نقل هنا عن ابن جبير
 اختصار وتلخيص في مواضع كثيرة .
 (١) في رحلة ابن جبير « وهي التي يسميها الناس المنجاة » .

انتهى كلام ابن جبير والله أعلم

ومن محاسن الشام قلعتها وحسن بنائها واتساعها فانها
قدر مدينة . وبها ضريح السيد الجليل ابي الدرداء رضي الله
عنه . وبها جامع وخطبة كالمدينة فانها بفرد خطبة لا غير
وخارج المدينة الخطب الكثيرة يعسر الآن علينا تعدادها .
وبها حمام وطاحون وبعض حوانيت لبيع البضائع . وبها دار
الضرب التي تضرب فيها النقود . وبها الدور والحواصل
وبها الطارمة التي ليس على وجه الأرض أحسن منها كأنها
افرغت بقالب من شمع ينظر الرأي اعلاها فيحسن نظره
وان طال مرآه

وهي تسامت رءوس الجبال . يقال ان تمرلنك لما ان
حاصرها وعجز عنها امر أن ينقب تحتها وتقطع الاشجار
وتعلق بها حتى اذا انتهى تعليقها اطلق النار فيما تحتها من
الاخشاب وظن انها تفسخ بذلك وتسقط شذر مذر
فيلبغ مراده من أخذ القلعة . فلما عمت النار فيما تحتها بركت
بصوت أزعج الوجود كما يبرك الاسد فمن ثم سموها

بالاسد المبارك وهي الآن على الثلثين من علوها
وبالقلعة آبار ومجار للماء ومصارف بحيث اذا وقع
الحصار وقطع عنهم الماء تقوم الآبار مقامه
وبها يمر نهر بانياس وينقسم فيها قسمين يستمر
احدهما على حاله طاهراً للمنافع والاستعمال والاخر تنسحب
عليه الاوساخ والقاذورات وهو المسمى بقليط يمر تحت
الارض بنحو من قائمتين لتشعب الماء الطاهر فوقه يميناً
وشمالاً ، حتى في بعض الاراضي يبلغ سبعة مجار من الماء
العذب ليس لاحدها اختلاط بالآخر

ومصارفهم تسقط على نهر قليط ويمر في المدينة الى أن
يخرج من الباب الصغير ويتصل بمحلة المراز فيضمحل
فيما يليها من الاراضي التي تزرع السكر سنة والفصة والبيقية
والقنب وما أشبه ذلك . وغالب ما يسقى به القنب وهو
أبيض أملس كالرماح في الطول مجوف لا عقد به يصب الماء
من رأس الواحدة فيجرى من آخرها وقشره يعمل منه
الخيوط والحبال وتورى بالقنب النار وهو يقوم مقام

الشعشاع والظرفاء لكنه أطف منهما وأسرع وقيداً .
 كما أن الشيخ أحسن من الحلفاء بعرفه الذي أخضر
 وناشفاً . ويقال ان القنب هذا يعمل من ورقه الحشيش
 اذا اضيف اليه الورق البري . وقد ذكرنا ذلك مفصلاً
 في كتابنا (راحة الارواح ، في الحشيش والراح)
 فليراجع . انتهى

ومن محاسن الشام تحت قلعها فانها منهل للغريب ومرتع
 للقريب وهي ساحة سماوية بركة الرطلي ^(١) في الوسع
 لاجتماع البرية تحفها الدور وتعلوها القصور ويلحقها كل ما
 يرومه الانسان وتشتهيه الشفة واللسان لا يحتاج فيها
 سكانها لحاجة من المدينة ولا لجيرانها . فيها دار البطيخ
 الذي يباع فيه جميع فواكه البلد . وبه العين المشهورة بالجمع
 على برودة مائها وعذوبته وخفته . وتحت القلعة سوق
 للقماش المذروع وسوق قماش للمخيط . أحدهما للرجال
 والآخر للنساء . وبها سوق للفرا والعبي وغير ذلك . وبها

(١) بركة الرطلي حي من أحياء القاهرة

سوق السقطيين وسوق النحاس وبها سوق السكاكينيين
وبها سوق القرييين وبه للارميين^(١) وبها سوق قماش الخيل
والبغال والبهائم والاعنام وبها سوق القشاشين وبها سوق
المدھون والخضريين . وبها سوق المحاريين والنجارين
والخراطين . وبها سوق النقلين وبها دار الخضرو بها سوق
المناخليين والزجاجين

واما ساحة تحت القلعة فانك لا تستطيع أن ترى
ارضها لكثرة ما به من المنعشين والوظائفية . ويتخلل
بينهم أرباب الحلق والفالائية والمضحكون وأصحاب
الملاعيب والحكوية والمسامرون [و] كل ما يتلذذ به
السمع ويسر العين وتشتهيه النفس صباحاً ومساءً على هذا
لا يفترّون ، لكن المساء أكثر اجتماعاً ويستمرّون الى
طلوع الثلثين . وهو عبارة عن ثلاثة طبول متفرقة بأعلى
القلعة يضربون الثالث الاول كل واحد منهم ضربة والثلث
الثاني من الليل يضرب كل واحد ضربتين والثلث الآخر

من الليل يطلع المؤذن على منارة العروس بالجامع الاموي
ويعلق لهم قنديل الاشارة فيضرب كل واحد منهم ثلاث
ضربات ويسوق الثلثين من التسبيح والأذان الاول
الى السلام ينتهي الضرب

وبها خطبتان الاولى بأخرها بالمدرسة المؤيدية .
والثانية بصدرها في جامع يابغا . وهو من أحسن الجوامع
ترتيباً ومنتزهاً ، يصحنه بركة ماء مربعة داخلها فسقية
مستديرة بها نافورة يصعد عنها الماء إقامة ومن فوقها مكعب
عليه عريشة غنّب ملوّن يصل الماء الى قطوفها الدانية .
وبجانبها حوضان فيهما من أنواع الفواكه واجناس
الرياحين . وله شبايك تطل على جهاته الثلاث الاولى على
تحت القلعة من جهة الشرق والجهة الثانية تطل على بين
النهرين وهي العربية والجهة القبليّة تنظر الى نهر بردى وما
هناك من الاشجار والازهار وهناك شجرة حور محتاط
بها اربعة رجال فلا ينظر الواحد لمن يقابله لعظم ساقها .
وللجامع ثلاثة أبواب الاول الشرقي وهو في صدر تحت

القلعة ويسمى باب الحلق ، والثاني شماليه يخرج الى الميضا
ويسمى باب الفرج ، والثالث غربيه ينحدر منه في درج الى
اول الوادي ويسمى باب المنزه . انتهى

ومن محاسن الشام (بين النهرين) وهو مبتدأ الوادي
يشتمل على فرجة سماوية بها دور وقصور وسويقة بها
حانوت طباخ وصاجاتي وقطفاني وفقاعي وحواضي
وفاكهاني وشواوقلاجين وسكر داني ونقلي وقاعة لبن وعدة
للجلبية وحمام يشرح صدور البريد ^(١) وقنطرة يتوصل منها
الى جزيرة لطيفة من رأسها ينقسم نهر بردى فيصير نهرين
والمقسوم منه نهر الصالح المعتقد الشيخ ارسلان أعاد الله
علينا من بركاته وعلى المسلمين طول الزمان وبها مقصفان ^(٢)
للبطالين فيما بين المقسمين وقبائلهما زاوية للشباب التائب يقام
بها السبت والثلاثاء من الاوقات بالوعاظ والدواخل ما يصير
الحاضر غائبا . ويتوصل الى زقاق الفرايين . الشتمل على
قاعات واطباق وغرف وكم رواق ، الجميع يطبل على بين

(١) كذا (٢) المقصف المنزه الظليل على شاطئ نهر

النهرين ولكل مكان من ذلك ناعورة يستلذ صاحبها بانسها
وتجلب له الماء اذا سمع حسها . ومن أحسن ما قاله الشيخ
ابو الفضل ابن القدوة احمد ابن العارف محمد وفاء :

نواعير نعت لي رشاً للقلب راعي

فهام القلب مني على حس النواعي

ومن محاسن الشيخ زين الدين عمر بن الوردي قوله فيها :

ناعورة مذعورة ولهانة لي حائرة

ماء فوق كتفها وهي عليه دائره

ابن نباته :

وناعورة قالت وقد ضاع قلبها

واضلعمها كادت تعد من السقم

أدور على قلبي لاني فقدته

وأما دموعي فهي تجري على جسعي

ومن بديع مجير الدين ^(١) محمد بن تميم :

(١) كان في الاصل هنا « محي الدين » وفي صفحة ٦٩

« محب الدين » وفي صفحة ٧٢ « مجير الدين » وفي صفحة

٨٤ « نحر الدين » والصواب ما اعتمدناه — المطبعة السلفية

ناعورة قالت لنا بأنيها
 قولاً ولن تدري الجواب ولا تعي
 كم في من عجب يُرى مع اني
 ابداً اسير ولا افارق مضجعي
 لا رأس في جسدي وقلبي ظاهر
 للناظرين واعيني في اضلعي
 ومن اغراضه قوله :

وناعورة شبهتها اذ رأيتها
 وما زال فكري بالزرائب يسبح
 بطائرة مخضرة كل ريشة
 لها تحتها عين من الدمع تسفح
 ومن بدائع ابن خطيب الاندلس :
 وناعورة تحسب من صوتها
 متيماً يشكو الى زائر
 كما دكيزانها عصبية
 رموا بصرف الزمن القاهر

قد منعوا ان يلتقوا فاغتندى
 أولهم يبكي على الآخر
 ومن تحرير القيراطي قوله :
 وناغورة قد ضاعفت بنواحيها
 نواحي وأجرت مقلتي دموعها
 وقد ضعفت مما تن وقد غدت
 من السقم والشكوى تعد ضلوعها
 التقى ابن حجة قوله فيها :
 وناغورة قد سلسلت دور انسنا
 وأهدت لنا روحاتها نفحة الصور
 اذا ما سقت دوراً تحرّك عودها
 لنا وتغني في البسيط على الدور
 شيخه علا الدين بن القضايمي :
 وذات شجوا سألت مداً لم تصنها
 تبكى بفرط دموع ويضحك الروض منها
 ابن نبأته رحمه الله تعالى :

وناعورة قسمت حسنها
 على واصف وعلى سامع
 وقد ضاع نشر الربا فاغتدت
 تدور وتبكي على الضائع
 ومن محاسن شعره قوله فيها :
 اعجب لها ناعورة قلبها
 للماء منشى العيش والعشب
 تعبانة الجسم ولكنها
 كما ترى طيبة القلب
 الامير مجير الدين بن تميم رحمه الله :
 أبدت لنا بالعدر ناعورة
 أدمعها في غاية السكب
 تقول لما ضاع قلبي وقد
 ضعفت بالنوح وبالندب
 صيرت جسيمي كله اعيناً
 تدور في الماء على قلبي

ومن تضامين ابن تيميم قوله :
 وناعورة شبهتها حين البست
 من الشمس ثوبا فوق اثوابها الخضر
 كطاوس بستان تدور وتنجلي
 وتنفض عن ارياشها بلبل القطر
 ومن لطائفه قوله فيها :
 ناعورة مذ ضاع منها قلبها
 دارت عليه بأنة وبكاء
 وتعلت بلقائه فلاجل ذا
 جعلت تدير عيونها في الماء

ومن محاسن الشام شرفها وما حويا من المناظر
 والقصور ، وما فيهما من الولدان والخور . وتقرب الى الله
 تعالى أهلها ببناء المدارس ، رغبة في جوار المجرّد الفقير البائس .
 ورتبوا له من الخبز واللحم والطعام ، والزيت والخلو
 والصابون والمصروف في كل شهر على الدوام . فيجلس
 الطالب في شبّاكها ينظر الى الماء والخضرة والوجه الحسن ،

فكيف لا ينبعث الى طلب العلم ويتحرك من فهمه ما سكن
ويقال ان بمدرسة الكججانية قبة بها طاقات بعدد
أيام السنة ، والشمس دائرة على تلك الطيقان ولا تدخل
اليها وهذا من حسن الهندسة

وأما جامع تنكز فانه في الشرف الادنى وهو من
الغايات هندسة وبناء فيه عشرون شباكاً على خط الاستواء
يشرف على الانهار ومرجة الميدان وما حوى . وبوسط
صحنه يمر نهر بانياس يتوضأ منه الناس وبه ناعورتان يملآن
ويفرغان الى حوضين بهما سائر الاشجار ، وجميع الرياحين
والازهار . وبينهما بركة مربعة بها كأس في غاية التدوير ،
يجري الماء اليها من النواعير . فهو متنزه يقصد ، والمصلي
معبد . وفي كل شرف منهما عدة من المدارس والمساجد ،
ولكل واحد ما يكفيه من الاوقاف استولت عليها ايدي
المتشبهين بالفقهاء فاظهروا فيها انواع المفاسد . فلاحول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم

وكل شرف يطل على (الشقرا) و (الميدان) ، و (القصر

الابلق) و (المرجة) ذات العيون والغدران . وما أحسن
قول الشيخ [شمس] الدين محمد النواجي الشافعي في وصف
الشرف الاعلى :

الا ان وادي الشام أصبح آية
محاسنه ما بين أهل النهى تتلى
وان شرفت بالنيل مصر فلم يزل
دمشق لها بالغوطة الشرف الاعلى
ونقلت من خط العلاء علي بن المشرف المارديني في
غلام اسمه علي في الشرف الاعلى :
جنى علي^١ ولكن وجهه حسن
وفعله المرتضى يحلو به الشغف
بدر من الشرف الاعلى له نسب
وهل لغير علي ينسب الشرف
الامير مجير الدين محمد بن تميم يصف الميدان :
عجباً لميداني دمشق وقد غدا
كل له شرف اليه يثول

والنهر بينهما لغير جناية
سيف على طول المدى مسلول
وقال ابن الشهيد في (الشقراء) و (الميدان) :
لم تحك جلق في المحاسن بلدة
قول صحيح ما به بهتان
ولئن غدوت منافسا في غيرها
هاينتنا (الشقراء) و (الميدان)
ومن تحرير القيراطي قوله في وصف الشقراء :
سربي الى الشقراء من جلق
وأثن الى الخضراء منك العنان
ففيها جنان لو رأى حسنهما
ابو نواس للها عن (جنان)
وانزل بواديها الذي تربه
مسك وحصبا النهر منه جنان
ومن محاسن الشام مرجتها * قرأت كتاب وقف تربة
السلطان الملك الظاهر (برقوق) سقى الله عهده الكائنة

بالصحرا خارج (باب النصر) من (القاهرة) المحروسة
وهو متصل الثبوت الى آخر وقت تسجيلي على بعض
القضاة الشافعية، من جملة طاحون الشقراء بمرجة (دمشق)
المحروسة ظاهر قصر الملك الظاهر ابي الفتوحات (بيبرس)
سقى الله عهده بالقرب من (زاوية الاعجام) ويليهما قصبة
سوق عدة حوانيتها احد وعشرون حانوتا وعلوها الطباق
المطلة على المراجعة المذكورة وبآخرها المسجد المطل على نهر
بردى . انتهى

قلت وأدركت الطاحون غير دائرة . ولقد هدمها
وكيل المقام الشريف (برهان الدين النابلسي) المعروف
بابن ثابت في أوائل دولة السلطان الملك الاشرف
(قايتباي) خلد الله تعالى ملكه . فعلى هذا كانت المراجعة
عامرة أهلة وهي من المحاسن التي لا تدرك وبعضهم يشبهها
بصدر الباز ^(١) كأنه شبهها به لان الوادي ينضم من رأسها

(١) لا يزال منتهى (المراجعة) في جهة الغرب يدعى الى اليوم
(صدر الباز)

ويعلموه جبلان وشبه هذين الشرفين بالاجنحة

ونقلت من خط التقي ابن حجة قوله فيها :

ذكرت احبتي بالمرج يوما

فقوّت ادمعي نيران وهجي

وصرت اكابدا ل احزان وحدي

وكل الناس في هرج ومرج

ومن بديع القاضي عيسى الدين بن عبد الظاهر قوله فيها :

ومرجة في واد يروك روضها

ولا سيما ان جاد غيث مبكر

بها فاض نهر من لجين كأنه

صفائح اضحت بالنجوم تسمّر

تلاحظها عين تفيض بادمع

يرقرقها منه هنالك مجر

وكم غالته للغزاة مقلة

تسارق اوراق الغصون فتتنظر

إذا فاخرته الريح ولّت عليّ
 باذيال كشبّان الربا تتعثر
 به الفضل يبدو وانربيع وكم غدا

به الروض يحبي وهو لاشك جعفر^(١)

ومن محاسن الشام محلتا (الخلخال) و (المنيبيع) فحلة
 (الخلخال) بها سويقة وحوانيت وفرن وحمام وهي مسكن
 الاتراك وكذلك المنبيع والشرفان وبه يدق طبلخاناتهم وبها
 زاويتا الادھمية والحضود^(٢) وهي تحف بالناس والاعيان
 ومن أحسن قول الشيخ جمال الدين محمد بن نباته في
 وصف الخلخال:

ياحبذا يومي بوادي جلق
 ونزهتي مع الغزال الحمالى
 من اول الجبهة قبلته
 مرتشفا لآخر الخلخال

(والمنيبيع) محلة وسويقة وحمام وافران وبها مدرسة

(١) فيه تورية بآل برمك (٢) كذا في الاصل

(الختاوية) وهي من اعاجيب الدهر يمر بصحنها نهر (بانياس)
ونهر (القنوات) على بابها ولها شبايك تطل على المرجة
وبها الواح الرخام لم يسمح الزمان بنظيرها وعدة [من]
خلاوي الطلبة وبجوارها دار الامير الاصيل (ابن منجك)
رحمه الله تعالى وبها سكن القاضي بهاء الدين بن جحي الشافعي
رحمه الله تعالى . وهذه الحلة من محاسن دمشق وشرفها . انتهى
نقلت من خط الشيخ شمس الدين محمد النواجي في
وصف المنبيع :

ياسادة اهدوا محاسن جلق

لطرفي ففاضت بالبكا عبرات

منبيع جفني فوق ربوة جبهي

يزيد ودمني بعدكم قنوات^(١)

ومن محاسن الشام المتزه المسمى بالجبهة وهي أرض
مربعة قدر قدانين عليها سقائف تظاها من غير طين بين
(١) فيه تورية بمحلة (المنبيع) ومتزهي (الربوة) و (الجبهة)
ونهر (يزيد) و (القنوات)

شجر الصفصاف والجوز والحدود وكل مفرش حصير تحيط
به جداول الماء من اربع جهاته مع البرك والبحرات بالنوافر
وهي على جنب نهر (بردى) وبه النواعير وبها حوانيت
للشرايحية والجزارين والطباخين والحواضرية والاقسماوية
والنكاهين وغير ذلك . وبها مسجد ومدرستان ومربط
الدواب . ومقاصفية واقفون في خدمة الناس . وعندهم
اللحف والانطاع والعبي لمن يبات

وفيها يقول التقي ابن حجة الحموي (دويت) :

لما ملأ (الجبهة) بالانوار

لمناه على ذلك خوف العار

قال انصرفوا سئمت من بلدكم

و « الجبهة » من منازل الاقار

وفيها يقول علي بن سعيد صاحب (المرقص والمطرب)

سوقد رأها عند شمس الاصيل قبيل المغرب :

ان للجبهة في قلبي هوى

لم يكن عندي للوجه الجميل

يرقص الماء بها من طرب
ويميل النصف في الظل الظليل
وتود الشمس لو باتت بها
فلذا تصفر في وقت الاصيل

ويعلوها نهرا (القنوات) و(بانياس) المنحدر الماء اليها
منه ومن فوق النهر حمام النزه والى جانبه مقصف بحوانيت
فيها البضائع ويمر بوسطه نهر القنوات . ويتوصل منه الى
زاوية الحريري المشهورة وليس أبداع من منظرها وينحدر
منها الماء الى المتنزه المسمى (قطية) وهي مقصف على نهر
بردى وعليه النواعير متشعبة اراضيه بجداول الماء والبرك
والبحرات . وبه قصبة ذات حوانيت يعلوها اربعة أطباق
ومربط للدواب . وعند المقاصفي العبي واللعف والانطاع
حتى الاطباق والملاعق لمن يأكل وهذا مما لا يوجد في بلد
من البلاد

انشدني قاضي القضاة عز الدين احمد الكتاني الحنبلي

فيها :

أياحسن سلسال على نهر قطية
 اذا ما جرى فيها نخوض ونلعب
 تهدده اغصانها برءوسها
 فينظر من طرف خفي ويهرب
 وقال ابن عماد الاندلسي وابدع :
 نهر يهيم بحسنه من لم يهيم
 ويجيد فيه الشعر من لم يشعر
 فكأنه وكأن خضرة شطاه
 سيف يسيل على بساط أخضر

ومن محاسن الشام المتنزه المسمى بالبهنسية * وهو
 روض يجمع بين الاشجار والفواكه والازهار ، مع عيون
 الماء ، وتظهر منه الى (مرجة جسر ابن شواس) . به مقاصفي
 وبيع وشراء ويتوصل منه الى اراضي (حمص) ما بين
 رياض وغياض . ويعملوها محلة (النيريين) . وهي أعظم
 المحلات وأخضرها وأنضرها . حسنة الاثمار كثيرة الازهار
 وبها سويقة وحمم يقال له (حمام الزمرد) وجامع بخطبة

وهي مسكن الرؤساء والاعيان وبها دار قاضي القضاة نجم
الدين يحيى بن جحى وفيها قتل رحمه الله تعالى ومنها تدخل
الى أرض الربوة

وأعجب من هذا ان السالك الى الربوة من حين يخرج
من باب (جامع يلبغا) يمشي بين اشجار . وأثمار . ومياه .
وظل ظليل . لا يمكن ان يرى الشمس . الا ان يقصد
رؤيتها انتهى

وفيها يقول بدر الدين ابن لؤلؤ الذهبي يصف النيرين :

رعى الله (وادي النيرين) فاني

قطعت به يوما لذيذاً من العمر

درى اني قد جنته متنزها

فمدّ لاقدامي ثياباً من الزهر

واوحى الى الاغصان قربي فارسلت

هدايا مع الارياح طيبة النشر

وأخذني الماء القراح وحيثما

سنحت رأيت الماء في خدمتي يجري

وأجاد الوداعي بقوله ثم أفاد :
ويوم لنا بالنيرين رقيقة

حواشيه خال من رقيب يشينه
وقفنا وسامنا على الدوح بكرة
فردت علينا بالراءوس غصونه
سيف الدين المشد وأبدع :

وصباً صبت من (قاسيون) فسكنت

بهبوبها وصب الفؤاد البالي
خاضت مياه (النيرين) عشية
وأنتك وهي بليلة الاذيال

ومن محاسن الشام محلة (الربوة) قال بعض المفسرين
الربوة أحدثها بنو كنعان وابتدأوها . وهي المذكورة في
قوله تعالى « وأويناها إلى ربوة ذات قرار ومعين » يعني مريم
وعيسى عليهما السلام وإنما قيل لها ربوة لأنها مرتفعة مشرفة
على غوطتها ومياهها . وكل رابٍ مرتفع على ما حوله يقال له
ربوة ومنه تربية الصبي لترفعه في النفس والجسم . والمعين

الماء الذي يخرج من الارض

وقال ابن مطرف في ترتيبه : الربوة فيها ثمان لغات
رُبوة . وَرَبوه . وَرِبوة . وَرُبَاوة . وَرَبَاوة . وَرَابية
وَرُبِّي والجمع رُبِي

والربوة مغارة لطيفة بسفح الجبل الغربي وبه صفة
محراب يقال انه مهد عيسى عليه السلام يزار وينذر له . وبها
جامع وخطبة ومدارس وعدة مساجد وبها قاعات واطباق
وفيها عين ماء يقال لها (الملمم) ومرابط للدواب وبها
سويقتان قاطع بينهما نهر (بردى) وبها صيادو السمك
يصطادون والقلايون على جبل النهر يقلونه ويذبح فيها كل
يوم خمسة عشر رأساً من الغنم خلاف ما يجيئها من الاعم
من المدينة وبها عشرة شرايحية ليس لهم شغل غير الطبخ
والغرف في الزبادي والصحون وكل ما تشتهي الانفس
فيها وبها فرنان وثلاثة حوانيت برسم عمل الخبز الشوري^(١)
وأمّا الفواكه فلا قيمة لها فاني اشتريت الرطل^(٢) بربع

(١) كذا (٢) وزن الرطل الدمشقي ثمانمائة درهم

درهم وكذلك الرطل الدمشقي من المشمش مثله والتفاح
 كذلك وبها حمام ليس على وجه الارض نظيره لكثرة مائه
 ونظافته وله شبابيك تطل على الهر وهو مبني ما بين
 الانهر من فوقه ومن تحته . وبها طارمة المسجد الديلمي الذي
 جدده نور الدين الشهيد وله اوقاف على قرأء ووعاظ وقراءة
 البخاري وغير ذلك كالمؤذن والفراش والبواب والوقاد
 وفيه يقول تاج الدين الكندي :

ان (نور الدين) لما أن رأى

في البساتين قصور الاغنياء

عمر (الربرة) قصرًا شاهقًا

نزهة مطلقة للفقراء

وقال الامير مجير الدين محمد بن تميم وأحسن رحمه الله ::

ياحسن طارمة في الجو شاهقة

ما ان تملّ بها العينان من نظر

نزه لحاظك في طاقاتها لترى

اصناف ما خلق الرحمن للبشر

ترى محاسن وادٍ يحتوى نرها
 لذادة السمع والابصار والفكر
 وربوة قد سمت حتى تخال لها
 سرّاً تحدّثه للانجم الزهر
 ما بين روض وأنهار سلسلة
 تجري وتحمل انواعاً من الثمر
 كم بتُّ فيها وخدني شادن غنج
 حلو التثني كغصن البانة النضر
 اشكو اليه الذي ألقى ومقلته
 تشكو اليّ الذي يلقي من السهر
 حتى رأيت نجوم الليل قد غربت
 عنا وهبت علينا نسمة السحر
 قمنا نجرّر أذيال العفاف بها
 والله يعلم منها صحة الخبر
 لا خير في لذة تمضي ويعقبها
 خطيئة تسلك الانسان في سقر

ومن اطائفه قوله :

موضع القس ^(١) جنة الخلد اضمحت

مهجتي كل ساعة تشهيهها

طوقتني بفضلها فلهذا

كلما زرتها اغرد فيها

وهذه القاعة التي بناها نور الدين الشهيد هي على شعب .

جبل جميعها متخطة بالواح من خشب سقفيها (نهر يزيد)

وأساسها من تحتها (نهر ثورا) ومنظرها من الغايات التي

لا تدرك وقبالها في الجبل الغربي ضريح العاشق والمعشوق

وعليهما صومعتان مبيضتان وبينهما سبعة مقاصف كل

مقصف فيه من الثريات والمصاييح والغطاء والوطاء ما لا

يحتاط به الوصف حتى ان بعض الناس يطلع اليها ليتنزه فيها

يوما فيقيم بها شهراً وجبالها متقابلان متلاقيان عليها الجبل

الغربي بذيله دف الزعفران والجبل الشرقي رأسه مثل

الجنك . ولهذا اطنب الشعراء في وصفها

وقال الشيخ جمال الدين محمد بن تباة في وصفها :

بالجَنك من مغنى دمشق حمائم
في دف اشجار تشوق بلطفها
فاذا أشار لها الشجي بكاسه
غنت عليه بجَنكها وبدفها

وقال الشيخ صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي

نهض الى (الربوة) مستمتعا
تجد من اللذات ما يكفي
فالطير قد غنى على عوده .
في الروض بين الجنك والدف

ومن محاسن الشيخ عمر بن انوردي قوله :

دمشق قل ما شئت في وصفها
واحك عن (الربوة) ما تحكي .
فالطير قد غنى على عوده

في الروض بين الدف والجنك

ومن لطائفه قوله وقد اغار الصفدي على بيت ابن
الوردي :

ياربوة أطربتني وحسنت لي هتكي
اذلست ابرح فيها ما بين دف وجنك
ونقلت من خط الشيخ شعبان الآثاري^(١) :
كم تحت جنك الربوة ألفيحاء من
دف زهت اشجاره بشنوفها
سقياً لها من ربوة من حل فيه
ها أطربته بجنكها ودفوفها
ونقلت من خط الشرف القواس قوله :
بربوة الشام ربت منيتي
وقر قلبي وهي دار القرار
وطيرها المطرب في جنكه
غنى على ناي وعود وطار
ونقلت من خط الشرف القواس قوله :

(٢) في الاصل (شيبان الاماري)

اودّ بأنني لو أرى الجنك ساعة
 وأنفق فيه كل ما أنا أملك
 فليس لنفسي في سوى الجنك مطلب
 فدعهم يقولوا فيه للصب مهلك
 ونقلت أيضاً من خطه :

سرى الى الوادى وقف متنزها
 فالجنك غنت فوقه الاطيار
 لو لم يكن هو جنة المأوى لنا
 ما كان تجري تحتها الانهار
 ونقلت من تحرير الشيخ برهان الدين القيراطي قوله :
 سقى الجنك منهل الرباب فشوقنا

لطيب مغاني ارضه ماله حصر
 ووحيا بقطر الشام انهارها التي
 على شهدها للدمع من مقلتي قطر
 وجادت سماء الغيث ارضاً سماؤها
 غصون رياض الزهر آفاقها زهر

فكم جاءني منها نسيم ممسك
وعرفها للقارين بها العطر
وطلع الشيخ شمس الدين محمد بن الخياط الشهير
بضفدع مع ابن خلكان الى الربوة فوجدا غلاما ناعومون.
ويلعبون في نهر (ثورا) الذي تحت التخوت المعروف.
بالنيقية فانشد ضفدع قوله :

لربوتنا واد حوى كل بهجة
فعيش الورى يحلو لديه ويعذب
ترق لنا الانهار من تحت جنكه
فلا عجب انا نخوض ونلعب
فانشد ابن خلكان رحمه الله :

وسرب ظباء في غدير تخالهم
بدوراً بأفق الماء تبدو وتغرب
يقول خليلي والغرام مصاحبي
أمالك عن عهد الصباية مذهب
وفي دمك المطلول خاضوا كما ترى

فقلت له دعهم يخوضوا ويلعبوا
 ومن محاسن الشام (المقسم) الذي تنقسم منه السبعة
 الأنهار وأصله من ينابيع (عيون التوت)
 واليه يشير برهان الدين القيراطي بقوله :
 عندي لأرض دمشق فرط صباية
 فسقى حماها الرحب صوب غيوث
 وعيوننا لفراق مشمشها حكى
 جريان أدمعها (عيون التوت)
 ويمر [بردى] على قرية الزبداني كالبحر الى ان يلتقي
 على قرية (الفيضة) الفيحاء [بمياه ينبوعها]
 وما أحسن قول الشيخ برهان الدين القيراطي في
 وصف الزبداني :

دمشق وافى بطيب نسيمها المتداني
 وصح قول البرايا من عاشر الزبداني
 قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى في (الملتقط) ان
 ماء العيون بارد رطب ، وجيده من العيون الشرقية ينفع

الكبد الحارة ، وضرره احداث الترهل ، ودفع ضرره
بالحمام والرياضة . يصلح للامزجة الحارة

وقال ابقراط الماء يحفظ على البدن رطوبته ويقمع
الحرارة ولا يغذو ولكن يرقق الغذاء وينفذ الى العروق ،
وهو يضر اصحاب الرطوبات والبلغم ، الا انه اذا طبخ في اناء
جديد كخزف أو قوارير قلت رطوبته ونفخه . وأفضل
المياه مياه العيون الحارة الارض ، التي تخرج من الاودية
بشدة على مقابلة الشمال ، وتجري على الطين الحر مكشوفة
للسمس والرياح ، ولا تمر على بطائح ، ويكون ماؤه صافياً
براقاً ، وأجوده أخفه وزناً ، وأسرعه قبولا للسخونة
والبرودة ، وأعذبه طعماً

ويقال من ظاهر (باب السلام) الى ظاهر (باب توما)
ثلاثمائة وستون عيناً تجري الى القبلة . قلت : ورأيت غالبها
وارتويت من عذبتها . انتهى

وتنقسم هذه الانهار السبعة منها (يزيد) و (ثورا)
بذيل الجبل الشرقي . ويشق نهر (بردى) ببطن الوادي

ونهر (بانياس) ونهر (القنوات) ونهر (القناية) ونهر (الداراني)
بذيل الجبل الغربي

وآخر ما يتصفى من هذه الأنهار ويفضل منها هو
نهر (بردى) وينزل في (المقسم) على نحو من عشرين درجة
كالشادروان ؛ فرويته تذهب الهم وتزيل الحزن
وما أطف قول القاضي صدر الدين ابن الآدمي
رحمه الله :

قالوا فؤادك برد عن محبتهم
فقلت نار الهوى لا تنظفي ابدا
بردت قلبي عن الاحباب مذر حلوا
بما (يزيد) على (ثورا) وما (بردا)
وقال صاحب دواوين الانشاء العلاء ابن فضل الله
انزل بياناس ففي نهرها
سر به تجلى عروس السرور
واسمع حديث الماء في جريه
فانه يشفي عليل الصدور

وجمعها الشيخ شعبان الآثاري في قوله وأجاد :
 شوقي (يزيد) وقلب الصب ما (بردا)
 و (بان يأسى) من المعشوق حين غدا
 ومدمعى (قنوات) والعذول حكى
 (ثورا) يلوم الفتى في عشقه حسدا
 على مغنية بالجنك جاوبها
 شبابة كم بها من عاشق شهدا
 فالبدر (جبهتها) والردف (ربوتها)
 وخلصها مات من خلخالها كدا
 ومن محاسن الامير ابن درياس قوله :
 والنهر قد عشق الغصون ولم يزل
 ابداً يمثل شخصها في قلبه
 حتى اذا فطن النسيم فجاءها
 من غيرة فامالها عن قربه
 واتي عليه مهيمنا بعتابه
 سراً فجعد وجهه من عتبه

ومن عقود ابن لؤلؤ الذهبي قوله :
 ما فتّح النّور الا أشرف النّور
 فما اشتغالك والمنثور منشور
 يا حبذا ودروع الماء تنسخها
 أنامل الريح لو لا أنها زور
 وقال ابن قرياص :
 وتحدث الماء الزلال مع الحصى
 فجرى النسيم عليه يسمع ما جرى
 فكان فوق الماء وشياً ظاهراً
 وكان تحت الماء درأً مضمرأ
 وقال :

أيا حسنّها من رياض غدا
 جنوني فنونا بأفنانها
 جئى الماء فيها على رأسه
 لتقبيل اقدم اغصانها
 وقال القاسم بن علي في خيال الاغصان في الماء :

انظر الى الغدران كيف تفرقت
 فبدا بها شبح الغصون الميس
 معكوسة الاشكال تحسب أنها
 قامت على الأيدي له والأرؤس
 وأبدع منه قول المناذري :
 وقانا لفحة الرمضاء واد
 وقاه مضاعف النبت العميم
 نزلنا دوحه فحنا علينا
 حنوّ المرضعات على الفطيم
 وأرشفنا على ظمأ زلالاً
 الذّ من المدامة للنديم
 يصد الشمس اتى واجهتنا
 فيحجبها ويأذن للنسيم
 تروع حصاه حالية العذارى
 فتامس جانب العقد النظيم
 وما أحسن قول ابن المشيد :

والرّوض بين تكبرّ وتواضع
شمخ القضيب به وخرّ الماء
ويلعجبي قول ابن النّبيه :
تبسم ثغر الزهر عن شذب القطر
ودبّ عذار الظل في وجنة النهر
فإن رقّ واعتلّ النسيم صباةً
إذا مرّ في تلك الرياض فعن عذر
توسّست الاغصان عند هبوبة
فما برئت الاّ على رقية القمري
يخادعني الورد الجني واني
بوجنة من اهواه قد حرت في امري
ويبسم عن ثغر الاقاح بنفسج
فألّمه شوقا الى لعس الشجر
ومن محاسن ابن تميم قوله :
والنهر مذلق الغصون محبة
اضحت تطيل صدوده وجفاه

فتراه يجري لاثما اقدامها
وخريره شكوى الذي يلقاه

ومن لطائفه قوله :

ونهر حالف الالهواء حتى
غدا طوعاً لها في كل أمر
اذا سرقت حلى الاغصان القت
اليه بها فيأخذها ويجري

وقال ابن لؤلؤ رحمه الله تعالى :

وحديقة مطلولة باكرتها
والشمس ترشف ريق ازهار الربا
يتكسر الماء الزلال على الحصى
فاذا جرى بين الرياض تشعبا

وقال أيضاً :

والنهر كالمبرد يجلو الصدى يرده عن قلب ظمآنه

ومن نكته البديعة قوله :

ونهر يحب الدَّوح أصبح مغرماً
 يروح ويغدو هائماً بوصالها
 إذا بعدت عنه شكا بخيريه
 جفاها وامسى قانعا بخيالها
 ومن اغراضه قوله :

ونهر اذا ما الشمس خان غروبها
 عليه ولاحت في ملابسها الخضر
 رأينا الذي أبقت به من شعاعها
 كأننا أرقنا فيه كاساً من الخمر
 ومن معانيه قوله :

وحديقة ينساب فيها جدول
 طرفي برائق حسنه مدهوش
 يبدو خيال غصونها في مائه
 فكأنما هو معصم منقوش
 ومن ملاحه قوله :

يا حبذا النهر الذى أمواهه
تسبي العقول بحسن ما تبديه
هو في الحدايق غير ان عيوننا
ان لا حظته تر الحدايق فيه
وقال محي الدين بن قرناص :
فديتك ائت روضتنا تجدها
تميل الى لقائك بالصدور
يعانقك القضيبي بها سرورا
ويخفق فرحة قلب الغدير
ومن لطائفه قوله :
لما تبدى النهر عند عشية
والروض يخضع للصبا والشمال
عاينته مثل الحسام ، وطله
مثل الصدا ، والريح مثل الصيقل .
وقال ايضا :

يا حسنه من جدول متدفق

يلهي برونق حسنه من ابصرا

مازلت أنذره عيوناً حوله

خوفاً عليه أن يصاب فيعثرا

فأبى وزاد تنادياً في جريه

حتى هوى من شاهق فتكسرا

ابن قرناص الحموي :

سرق النسيم حلى الغصون بلطفه

لما أتاها وهي في أطرافها

ورمى بها نحو الغدير فضمها

من خوفه في صدره وجرى بها

وقال جالينوس : الماء الذي يجري في الأنهار ، وتعلوه

الأشجار ؛ حار غليظ يعظم الطحال والكبد ، ويقمح

اللون ويفسد المعدة ، ويولد الحميات . وكذلك ماء البئر

لأنه يتحرك الى البروز حركة بطيئة ويطول تروده في

الأرض العفنة . وجميع الماء العفن كماء الآجام والبطائح

ردىء ؛ و اردأ منه ماء البئر والقنا لانه محتقن لا يخلوعن تعفن .
 وأردأ من الجميع الماء الذي يجري في مسالك من رصاص .
 واقوى الماء المعتدل البرودة فانه يقوي الشهوة والمعدة
 ويحسن اللون ، ويتنع عفن الدم وصعود البخارات الى
 الدماغ ، ويحفظ الصحة . ومن اعتاد شرب الماء المبرد في
 الهواء لم يحتج الى الثلج لأن مضره الثلج تتبين بعد وقت
 فانها تتجمع قليلا قليلا واذا صار اصحابها الى سن الكهولة
 عرفوا شرها . على ان الماء المثلوج يمرىء ، وينهض الشهوة ،
 ويقوي المعدة ؛ ويصالح الأمزجة الحارة ، ويأمن الترهل .
 إلا انه يضر الصدر والحنجرة والدماغ والأسنان
 والعصب . واصحاب الاحشاء الورمة تدفع مضرته بالرياضة
 والحميص (١) انتهى

ومن محاسن الشام « الحواكير » وهي كالخدائق في
 سفح (جبل قاسيون) فان الفاصل بينه وبين (جبل الربوة)
 عقبة قرية (دمر) التي بحد (قبة سيار) يقال ان سياراً هذا

وبشاراً كانا يتعبدان على رأس هذين الجبلين اللذين للربوة
وكأنهما كانا من أصحاب الخطوة فاذا أراد احدهما الاجتماع
بالآخر يضع قدمه على جانب الجبل والآخر عند صاحبه
فكانهما كانا يمشيان في الهواء فبنوا لهما هاتين القبتين على
هذين الجبلين

رجع * وكان حكماء اليونان ازدرعوا هذه الرياحين
والازهار في سفح (جبل قاسيون) لحكمة وهو أنه يقيها
البرد كونها في داره ، وان النسيم اذا مرّ بها يحمل منها [من
طيب الريح] ما استطاع ويسري به الى من تحتها من أهل
المدينة والسكان . ولهذا قال (ابقراط) ينبغي للمعنى بصالح
بدنه ان لا يدع حظه من الاستمتاع بروائح الازهار والرياحين
فانها تقوى الروح وتنعش الحرارة الغريزية التي بها قوام
الحياة ، والعليل احوج اليها من الصحيح لانه قد عجز عن
الاخذ من المطاعم والمشارب فهي تنوب عن فعلها في
التقوية . انتهى

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ « من عرض بريحان

فلا يردّه ، خفيف الحمل طيب الروح » يعني عليه السلام
بالريحان كل ذى رائحة ذكية من الازهار

وقال ابن سينا : ينبغي [للمرء] ان لا يستعمل من
المشمومات الا ما كان موافقا لمزاجه وطبعه فان كان مزاجه
حاراً يستعمل البارد وان كان بارداً يستعمل الحار ويجعلها
اصنافاً مختلفة من حار وبارد فيعتدل لكل مزاج

وينبغي ان لا يتناول المسموم الا غباً وعند توقان نفسه
اليه فانه أشهى والذّ موقعاً وكذلك جميع المحسوسات اذا
احجم نفسه عنها ثم تناولها مشتتياً لها فانه يجد لذتها على
الكمال . الا ترى العطارين تمل خياشيمهم من الروائح الطيبة
وتكل فلا تجد لها رائحة وكذلك مدمنو الروائح القذرة
المتننة فان خياشيمهم تألف ذلك النتن حتى لا يكاد أحدهم
يتأذى به . وينبغي ان لا يدني شيئاً من المشمومات الى انفه
فانه أشهى وابقى لزهرة الرياحين . انتهى

ومن محاسن الشام « الورد » وهو جنس تحت ستة
أنواع بدمشق خلا الاسود ، وهو بارد يابس قابض يقوى

القلب والاسنان

جيده « الجوري » يصلح للدماغ الحار والكبد ،
يسكن الصداع ويضر أكله الباه وشرابه يبرد الدماغ ؛
دفع مضرته خلطه بالكافور . واذا ربي بالمسل او بالسكر
جلا مافي المعدة من البلغم ؛ واذهب العفونات . وهذا
يكون من الورد النصيبي ؛ وماؤه بارد لطيف ، والا كثار
منه يبيض الشعر

ونقلت من (الفردوس) للامام الحافظ أبي شجاع
شيرويه بسنده عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال
رسول الله ﷺ « ان الله عز وجل خلق الورد من بهائه ،
وجعل له ريح انبيائه ؛ فمن أراد أن ينظر الى بهاء الله ،
ويشم رائحة أنبيائه فلينظر الى الورد الاحمر ويشمه »

وكتب الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة ورقة :
« سطرها المملوك ومنظر الروض قد شاق ، ودمع الغيث
قد رقا ووجه الارض قد راق ، والغصون المتعطفة قد
ارسلت أهواء القلوب بالاوراق ، وجماعها المترنمة قد جذبت

القلوب بالاطواق . والورد قد احمر خده الوسيم ، وفكت
ازرارَه من أجساد القضب انامل النسيم ، وخرجت
اكفه من اكمامه تأخذ البيعة على الازهار بالتقديم . انتهى

ومن محاسن الخوارزمي قوله :

أما ترى شجرات الورد مظهرة

لنا بدائع قد ركن في قضب

كانهن يواقيت أضيف بها

زبرجد وسطها شذر من ذهب

ومن لطائف محمد بن عبد الله بن طاهر قوله فيه :

اما ترى الورد يدعو للورود على

عذراء صافية في لونها صهب

ترى صداهن ياقوت مر كبة

على الزمرد في أوساطها ذهب

ومن بديع ابن المعتز بالله قوله فيه :

ووردة في بنان معطار حيّ بها في خفي اسرار

كأنها وجنة الحبيب وقد نقطها عاشق بدينار

وأوضحه ابن خطيب دارياً بقوله :

انظر الى الورد ما أحلى شمائله

سبحان خالقه من يابس الحطب

كأنه وجنة المحبوب نقطها

كف المحب بدينار من الذهب

صاغه اللغوي الاندلسي في انضمامه بعد الفتح فقال :

ورد تفتح ثم انضم منطقه

كما تجمعت الافواه للقبل

وما ألطف قول القائل :

أهدى إلى معذبي ورداً ولم يك وقته

فسأله عنه فقـال من اخدود قطفته

قبلته فكأنني في خده قبلته

أبو الوليد الشاطبي :

فوق خد الورد دمع

من عيون السحب يذرف

برداء الشمس أضحى

بعد ما سال يجفف

ومن التشاييه البديعة ما كتب الى بعض اللطفاء :

ودونك يا سيدى وردة

يذكرك المسك انفاسها

كعذراء ابصرها مبصر

فقطت باكامها رأسها

وأنشدني فيه ذو الوزارتين صاحب الصناعتين أحمد

الخلوف :

حكمت شجرات الورد في الروض اذ غدا

يقبلها في خدها مبسم القطر

سقاة محل ابرزت في أكفها

كثوس نضار فد ترصعن بالدر

ومن مقاصد أمير المؤمنين عبد الله بن المعتز بالله قوله :

وترى الغصون تميل في أوراقها

مثل الوصائف في صنوف حرير

والورد في خفر القموع كأنه
 حمر الحدود بخضرة التعدير
 واحسن القائل فيه :

الورد احسن منظراً تتمتع الاخلاط منه
 فاذا انقضت أيامه ورد الحدود ينوب عنه
 وقال ابن العفيف رحمه الله :

قامت حروب الزهر ما
 بين الریض السندسيه
 وأتت باجمعها لتف

زو روضة الورد الجنيه
 لكنها انكسرت لأنَّ

الورد شوكته قويه
 ونقلت من خط زين الدين عبد الرحمن الخراط في
 الورد على الماء :

عجبت وقد رأيت عيناى ورداً
 يسير بجدول عذب الشروع

فلم ير ناظرى ابداً خدوداً
جرت من قبلهن مع الدموع
وما أطف قول برهان الدين القيراطي :
ان للروح في دمشق لماوى
ذا قرار وذا مَعين وربوه
وبروضاتها بساتين ورد.

لى بأزارها صباية عروه (١)
وأبدع الشريف الرضى بقوله :

كم وردة تحكى بسبق الورد
طليعة تسرعت من جند
قد ضمها في الغصن قرص البرد
ضم فم لقبله من بُعد

دخل مجير الدين ابن تميم الى حديقة هذه الوردة
وجمعها :

(١) هو (عروة بن حزام) الذي تضرب الامثال بكأنه

البيار

سبقت اليك من الحقائق وردة
وأنتك قبل أوانها تطفيلاً
طمعت بلثمك اذ رأتك فجمعت
فها اليك كطالب تقبيلاً
ونقلت من خط ابن حجة له :

ارى الورد عند الصبح قد مدّ لي فما
يشير الى التقبيل في ساعة اللبس
وبعد زوال الصبح يبدو كوجنة
وقد أثرت في وسطها قبلة الشمس
ومن نكته البديعة قوله :

قالوا لزهر الخلاف عرف
يضوع في ساعة القطاف
فضيع الورد قلت كلا
الورد أذكي بلا خلاف
وتلطف القائل :

كتب الورد الينا في قراطيس الحدود

يا بني اللهو صلوني قد دنا وقت ورودي
ونقل النواجي في كتابه (تأهيل الغريب) عن
المتوكل أنه كان يقول « انا ملك السلاطين والورد ملك
الرياحين فكل منا أحق وأولى بصاحبه » حتى حرمه على
الناس واستبد به وقال « لا يصلح للعامة » فكان لا يرى
الورد الا في مجلسه . ولهذا قال علي بن الجهم في رثائه (١) :
وبات اللهو وهو سخين عين

وصار الورد بعدك في انتها (٢)

وكان لا يلبس في أيام الورد الا الثياب الموردة
ويجلس على الفرش والاسانيد الموردة ويورد جمع الآلات
وينشد قول جحظة :

عزيز على بان يمسك ساقط أو ان تراك نواظر البخلاء
ويقال أن كسرى مرّ بوردة ساقطة على الارض
فقال « أضاع الله من اضعائك » ونزل وهو في موكبه
ووضعها على رأسه

(١) كانت في الاصل في « انشاه » (٢) لعله في « انتهاب »

قلت : وكل من تعرّض الى وصف الورد وتشبيهه
شغل عن علو رتبته وبديع حسنه ، ولو سكتوا عن ذلك
كان اليق بهم لانهم لم يتأدبوا معه مع علمهم بانه سلطان
الرياحين . ومن هذا قول بعضهم :

للورد عندي محلٌّ ورتبة لا تملُّ

كل الرياحين جند وهو الامير الاجل

ولعمري ان مثل هذا النظم السافل يمشي على كثير
من الناس ، وما احمرت وجنات الورد الا خجلاً من نسبة
هذا الشعر اليها بين الندماء والجلاس . انتهى كلامه

ومن النكت اللطيفة ما يحكى عن الفضل قال : دخلت
على الرشيد يوماً وبين يديه طبق ورد عند جاريته ماردة
- وكانت تحسن الشعر والادب مع الحسن والجمال - فقال
يا فضل قل في هذا الورد شيئاً ، فانشدته بديهة :

كأنه خد محبوب يقبله

فم الحبيب وقد ابدى به خجلاً

فقال الرشيد قم يا فضل فاخرج عنا فقد هيجتني

هذه المأجنة ، فقامت وقد أرخيت الستور عليهما
ونقات من خط المرحوم مجد الدين عبد الوهاب
ابن سحنون خطيب النيرين وطبيب بيمرستان الصالحية
انشد في ضعف موته سنة اربع وتسعين وستمائة ، وقد
عاده بعض أصحابه ، ومعه وردة بيضاء فقال :

وورداً أبيضاً قد زاد حسناً
فعند الضد لاخجل احمرار
يمثله النديم اذا رآه
مداهنَ فضة فيها نُضار

ونقلت من خط التقي ابن حجة قوله فيه :
كم وردة بيضاء قد حكمت لنا مذ ازهرت
طلعة بدر كامل والشمس فيها كورت
وقد ولده من قول السري الرفاء فيه :

بدا أبيض الورد الجنى كأنما
تنسمه الناشئ بمسك وكافور

كان اصفراراً منه وسط ايضاضه

برادة تبر في مداهن بلور

وقال سعيد بن حميد في الورد الاحمر والايض معاً :

يا حسنها من وردة بيضاء جاءت بالعجب
كجام بلور به قراضة من الذهب

وقال سعيد بن حميد فيه وما تقدمه ليس لسعيد

بل للوأواء الدمشقي :

أناك الورد محبوباً مصوناً كمشوق تكففه صدود
كأن عيونه لما توافت نجوم في مطالعها سعود
بياض في جوانبه احمرار كما احمرت من الخجل الحدود

ومن لطائف بلدينا ابن المعتز بالله قوله فيهما معاً :

أهدت الي يد نفسي الفداء لها

الورد نوعين مجموعين في طبق

كأن أبيضه في وسط أحمره

كواكب أشرقت في حمرة الشفق

الشريف الرضي في وصف الورد الثالث وهو الاسود :
 وورد أسود خلناه لما تضيع نشره ملك الزمان
 مداهن عنبر غص وفيها بقايا من سحق الزعفران
 وقال ابن عني يصل يصف الورد الأصفر :

شجرات ورد أصفر بعثت في قلب كل متيم طربا
 يا من رأى من قبلها شجراً سقي الاجين فأنبت الذهبا
 ومن محاسن الطغرائي قوله فيه :

ألم تر أن جيش الورد وافي بخضر من مطارفه وصفر
 أتى متلما بالشوكة أو في نصال زبرجد وتروس تبر
 الرابع قال المطوعي في الورد القحابي الذي باطنه أحمر
 وظاهره أصفر :

ووردة جمعت لونين رائقة

خدي حبيب وخدي هائم عشقا

تعاثقا فبتدا واش فراعها

فاحمر ذا خجلا واصفر ذا فرقا

قحايي الورد في البستان يدعو
 تبرجها الرجال الى الرحيق
 لها نوعات ظاهرها كتبر
 ولكن البواطن كالعقيق
 تحال الجملنار على بهار
 وتبري الرياض على شقيق

ابن المعتز :

وذى لونين نشر المسك فيه يروق بحمرة فوق اصفرار
 كمعشوقين ضمهما عناق على حدثان عهد بالمزار
 ومن لطائف أبي بكر الخالدي قوله فيه :

وردة بستان قحايية زينت من الحسن بنوعين
 باطنها من قشر يا قوّة وظهرها من ذهب عين
 قبلتها حباً لها اذ بها حياني البدر على عين
 كأنها خدي على خده يوم اجتمعنا غدوة البين
 والخامس الورد الجوري وفيه قال الشيخ عمر بن

الوردي :

قالت اذا كنت ترجو أنسي وتخشى نفوري
صف ورد خدي وإلا أجور ، ناديت جوري
والنوع السادس من الورد هو الأصفر المطبق

وقرية الزبداني هي قلعة الورد يستخرجون بها ماورد
القاهرة المحروسة ومكة المشرفة وغيرها من البلاد. وكذلك
فاكتها هي المنقولة الى القاهرة المحروسة وغيرها
وفيه يقول نجم الدين صاحب ديوان الانشاء بحماه :
وورد أتينا النار تقبض روحه

ونبعثها نحو الحبيب تكرما
فلما رآها احمرَّ واصفر قائلا

خذي نفسي يارب من جانب الحمى

وفيه يقول شهاب الدين بن الشبلي :

يا سيدي والذي خلائقه كالروض أيدي الصبا تدمتها
بعثت ورداً اليك عسى تقبض لي روحه وتبعثها
وقل آخر :

لم أنس قول الورد حين جنيته

والنار لاستتظاره تتسمر

ناشدتكم نفسي خذوه وإنما

لا تعجلن بقبض روعي واصبروا

ومن رقيق شعر بلدينا محمد بن المزين الدمشقي قوله :

شاب ورد الرياض من ورد خديك وانفرك

فله الناس أثبتوا وانتفى الورد للكرك^(١)

ومن محاسن الشام الورد النسريني وهو نوار أبيض

وأصله بري يمتد ويعرّش كالكرم وله أغصان برءوسها

الورد كل غصن فيه مائة وردة وأكثر . قال ابن البيطار

في مفرداته : وبعض الناس يسميه بالورد الصيني وأكثر

ما يوجد بالشام بعد انفراك الورد المتقدم

(١) الكرك بلدة في منطقة (شرقي الاردن) الآن ؛ وكان

الحكام في القرون الوسطى قد اتخذوها منفى لمن يريدون إبعاده

عن الشام أو مصر . وفي تلك المنطقة (الحيمة) التي كانت منفى

آل العباس رضي الله عنه قبل قيام دولتهم

وقال ابن سينا: الورد حار يابس في الثانية يقوي القلب اذا اديم اشتد به ، ويحلل الرياح الكائنة في الرأس والصدر ويخرجها بالعطاس ، واذا تدلك به في الحمام مسحوقا بعد تنشيفه طيب رائحة البشرة والعرق . انتهى .

وقال السامري : هو من خصوصيات الشام ، وبالديار المصرية نسرين ليس هو هذا ، انما هو ورد سياج بساتين الشام . وهو نوار ابيض شديد العرق يجمعونه بمصر ويبيعونه ولا يجمع في الشام ولا يباع لكثرة . وهو يطعم في الغالب من عند الله تعالى بدمشق وخروجه بالشام مع النسرين . انتهى

ونقلت من خط الشيخ شمس الدين الدماميني :

أقول لصاحبي والروض زاهٍ

وقد ابدى الربيع بساط زهر

تعال نباكر الروض المفدّى

وقم نسعى الى ورد ونسرى

ومن رفيق شعر ذي الوزارتين :

ابان لك النسرين أو خلت أنه
أكف سقاة حملت اكؤساً صفرا
سداهن عاج حشوها التبر اذ علت

رءوس زنوج ألبست حللا خضرا
ومن محاسن الشام النرجس وهو جنس تحته أنواع :
الاول اليعفوري ، الثاني البرى ، الثالث المضعف . قال
ابن البيطار : في الرابعة ، وهونبات له ورق مجوف وليس
عليه ورق . طولها اكثر من شبر وعليها زهر ابيض
مستدير ، في وسطه شيء لونه اصفر ومنه ما لونه اسود
وثمرته سوداء كأنها في غشاء مستطيل . وهو طيب الرائحة
واذا اكل أصل النرجس مسلوقا أو شرب هيج القيء فاذا
شم زهره نفع من وجع الرأس ويفتح سدد الدماغ . وشبهه
ينفع الزكام الباردة ، وفيه تحليل قوى الرطوبات ويخفف
ويلطف ويحلل

وقال جالنيوس : ان النرجس راعي الدماغ والدماغ

راعي القلب

وقال بقراط : كل شيء يغذو الجسم والرجس يغذو

العقل

والرجس المحدث وهو البري اذا شق بصله وغرس
صار مضعفا . ومن أدمن شم النرجس في الشتاء أمن
البرسام في الصيف . وهو معتدل في الحرارة واليبس

وفي (اسنى المطالب في مناقب علي بن ابي طالب رضي
الله عنه) للحافظ شمس الدين ابي عبد الله محمد بن الجزري
الشافعي رحمه الله تعالى حديث مسلسل بالقضاة الى القاضي
شريح قال حدثنا افضى قضاة الامة امير المؤمنين علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ
« شموا النرجس ولو في اليوم مرة ولو في الجمعة مرة ولو
في الشهر مرة ولو في السنة مرة ولو في الدهر مرة فان
في القلب حبة من الجنون والجذام والبرص لا يقطعها الا شم
النرجس » ورواه أيضا صاحب (الفردوس) مسلسلا
بالقضاة الى افضى الامة امير المؤمنين علي بن ابي طالب
رضي الله عنه ولفظه « شموا النرجس فانه ما منكم اخذ الا

وله شعبة بين الصدر والفؤاد من الجنون والجذام
والبرص لا يقطعها الا شم النرجس »

وقال ابن سينا : من كان له رغيضان فليجعل احدهما
في ثمن النرجس ، لان الخبز غذاء الابدان والنرجس
غذاء الارواح »

وكان كسرى يقول : اني لاستحي ان اغازل من
احب بمجلس فيه النرجس . أخذه بعضهم وقال :

غضى لحاظك ياعيون النرجس

فعسى افوز بنظرة من مؤنسي

فلقد يحير اذا رآك شواخصاً

ترمينه بلوا حظ المتفرس

ومن لطائف امير المؤمنين ان المعتز قوله في النرجس :

عيون اذا عاينتها فكأنما

دموع النداء من فوق اجفانها در

محاجرها بيض واحداقها صفر

واجسادها خضر وانفاسها عطر

مجير الدين بن تميم :

ولما أتى النرجس المجتنى بقرب الربيع وإيناسه
نثرنا على رأسه فضة وتبراً فراق لجلالسه
وأصبح يخطر ما بيننا وذاك النشار على رأسه

ومن تشاييه ابن قلاقس قوله :

وشادن اهيف حيا بنرجسة
كأنها اذ بدت في غاية العجب
كف من الفضة البيضاء ساعدها
زبرجد حملت كأساً من الذهب

ومن مقاصد ابن وكيع قوله :

مانظرت عيناى في روضة احسن من نرجسة غضه
كزعفران وسط كافورة أو ذهب افرغ في فضه
ومن مقاصد عبدالله بن المعتز قوله :

نرجسة لاحظني طرفها تلوح في بحر دجى مظلم
كأنما صفرة في الدجى صفرة دينار على درهم
ومن اغراضه قوله :

كأنما جفنه بالفتح منفتحا
 كأس من التبر في منديل كافور
 ومن مداعبات أمين الدين جوبان قوله :
 نفس غصن البان اذناه
 وماس عند الصبح زهواً وفاح
 وقال هل في الروض مثلي وقد
 تعزى الى مثلي قدود الرماح
 فحدق النرجس يزهو به
 وقال حقاً قلت ذا او مزاح
 بل أنت بالطول تحامقت يا
 مقصوف عمر بالدعاوي القباح
 فقال غصن البان من تيهه
 ما هذه الا عيون وقاح
 ومن مداعبات ابن تميم قوله :
 ولما اتى النرجس المجتنى
 بشير الربيع بقرب المزار

نثرنا على رأسه فضة

ولم يخل في بعضها من نضار

فأصبح يخطر ما بيننا

وفي رأسه بعض ذاك النثار

ومن تضامينه قوله :

غدير دار نرجسه عليه

ورق نسيمه فصفا وراقا

تراه اذا حللت به لورد

« كأن عليه من خدق نطاقا »

ومن تضمين ابن حجة قوله :

الى الحمى نسجات الصبح مذ بعثت

ندى به ذيل ثوب الزهر مبلول

قالت نراجسه مذ حدقت ورننت

« ميمما بعثتم على العينين محمول »

(١) ابن الرومي واستخفي من هجوه النرجس^(١)
 انظر الى نرجس تبدت
 صباحاً لعينيك منه طاقه
 واكتب اسامى مشبيهه
 بالعين في دفتر الحماقه
 واي حسن لطرف شاك
 من يرقان يحمل ماقه
 كراهة ركبت عليها
 صفرة بيض على رقاقه

وفي تصحيفه قول الميكالي :

اهلاً بنرجس روض يزهر بحسن وطيب
 يرنو بعيني غزال على قضيب رطيب
 وفيه معنى خفي يزينه في القلوب

(١) هذه الايات ليست لابن الرومي الذي اشتهر بمدح
 النرجس وذم الورد ، بل هي لأبي العلاء السروري ، وقد
 أوردها النواجي في (حلبة السميت) ص ٢٠٣

تصحيفه ان نسقت ال حروف براء حبيب

وقال ايدمر المحبوي وابدع :

وكان نرجسه المضاعف خائض

في الماء لف ثيابه في رأسه

ومن غرائب ابي عبدالله الحداد الاندلسي قوله :

انظر الى النرجس الواضح حين بدا

كأنه ناظر عن جفن مبهور

كاذرع الغيد في خضر البرود حكى

على أناملها أصفى اليواقيت

ومن دقائق ابن وكيع قوله رحمه الله :

اشرب فلست على صحو بمعدور

واطرب على صوت نايات وطنبور

اما ترى النرجس الريان يلحظنا

كان اجفانه اجفان مخمور

كان اصفره في وسط ابيضه

قراضه أودعت احشاء بلور

اما تراه ومرُّ الريح يعطفه
 كأنه زعفران وسط كافور
 اذا بدا في اختلاف من تلونه
 اراك كيف امتزاج النار بالنور
 ومن تشابهه أمير المؤمنين للمأمون قوله :
 ويا قوّة صفراء في رأس درة
 مركبة في قائم من زبرجد
 كأن جمان الطلّ في حنباها
 بقیة دمع فوق خد مورد
 ومن جيد السبك قول ظافر الحداد الاسكندر
 كأنما النرجس لما بدا
 لناظر في ساحة (المأزمين)
 زبرجد قد جعلوا فوقه
 اقتداح تبر في صواني لجين
 وقال أيضاً رحمه الله

كأنما النرجس الطافي حين بدا
 قعاب تبر على جامات بلور
 كان أوراقه والشمس تقصرها
 أوراق شمع فمن خام ومقصور^(١)
 ومن بديع ابن تميم قوله فيه :
 شبهت نرجسة أهدى اليَّ بها
 خلي وقد جئت في التشبيه بالعجب
 كفاً من الفضة البيضاء ساعدها
 زمرّد وسطه كأس من الذهب
 ومن محاسنه قوله فيه :
 كيف السبيل لأن أقبل خدّ من
 أهوى اذا نامت عيون الحرس
 واصابع المنثور توميء نحونا
 حسداً وتغمزها عيون النرجس
 ومن لطائفه قوله فيه :

(١) الخام قاش أبيض ويكون مقصوراً اذا غسله القصار ودقه

لا تمش في أرض وفيها نرجس
 أو أقحوان غب كل مقام
 ان اللوا حظ والثغور أجلها
 عن وطئها في الروض بالاقدام
 ومن نكته البديعة قوله :

اني لاشهد للحمى بفضيلة
 من أجلها قد صرت من عشاقه
 مازاره أيام نرجسه فتى
 الا واجلسه على أحداقه
 ومن أغراض الشبلي قوله :

ونرجس قابل في مجلس
 ورداً غلا في نعته الناعت
 نخدُ ذا يخجل من لحظ ذا
 وطرف ذا في خد ذا باهت
 ومن تضامين ابن حجة قوله :

حدائق الروضة الغناء نرجسها
 عيونہ بدموع الطلّ مذ دمقت
 همنا الى رشف ثغر الكاس من فرح
 « فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت »
 وألطف ما سمعت قول القائل :
 يغض من فرط الحيا طرفه
 ما أحسن الغض من النرجس
 ومن عقود ابن لؤلؤ قوله :

باكر الى الروضة تستجلبها فتغرها الاشنب بسام
 وبلبل الدوح فصيحاً غدا في الأيك والشحرور تمتاز
 والغصن فيه الف قد بدا والنهر في أرجائها لام
 والنرجس الغض اعتراه الحيا فغض طرفاً فيه أسقام
 ويعجبني قول ابن مكاس :

وجدول الماء يجري بين نرجسه
 لدى البصار جري الطيف في المقل
 ومن المعاني التي اقتنصها ابن قرناص قوله :

من لى بروضة نرجس فاقت على
 انواع أزهار الربيع المبهج
 كقواعد من فضة قد ذهب
 تعلو على عمد من الفيروزج
 وقال على بن سعيد صاحب (المرقص) في تفضيل
 الورد عليه :

من فضل النرجس وهو الذي
 يرضى بحكم الورد اذ يرأس
 اما ترى الورد غدا قاعداً
 وقام في خدمته النرجس

ومن محاسن الشام البنفسج وهو العراقي وقلجى
 وايض . وهذا النبات له ورق قابل التدوير له ساق يخرج
 من اصله عليه زغب أصفر وعلى طرف ساقه زهر طيب
 الرائحة جداً ولونه لون الفيروز ينبت في المواضع الظليلة
 الحسنة

وهو بارد رطب ينفع الدماغ الحار ويسكن صداعه

واذا ربي مع السكر ينفع من السعال الكائن من حرارة
وقال جالينوس: في السادسة ورق هذا النبات جوهره
جوهر ماء بارد قليلا ولذلك صار متى صنع ورقه كالضماد إما
مفرداً وإما مع دقيق الشعير سكن الاورام الحارة وقد
يوضع على العين اذا كان فيها لهيب وينفع من التهاب المعدة
والاورام الحارة وتنتق المعدة ويقال ان زهره اذا تشرب
بالماء نفع من الخناق العارض للصبيان وهو المسمى « ام
الصبيان » وينوم نوماً معتدلاً ويسكن الصداع العارض
من المرة الصفراء والدم . والبنفسج الناشف يسهل المرة
الصفراء المحتبسة في المعدة والامعاء أيضاً . والشربة منه
ثلاثة دراهم الى سبعة دراهم مدقوقة منخولا مع مثله
بالسكر ويشرب بالماء الحار والله اعلم . انتهى

ومن لطائف ابن تيميم :

عاينت ورد الروض يلطم خده

ويقول وهو على البنفسج محنق

لا تقربوه وان تضرع نشره
ما بينكم فهو العدو الازرق

ومن عقود ابن لؤلؤ الذهبي قوله :

ان البنفسج تفتح النفوس له
ويعجز الوصف عن تحديد معجبه
اوراقه شعل الكبريت منظرها

وريحها عنبر تحي النفوس به
والاصل فيه قول عبد الله بن المعتز :
بنفسج جمعت اوراقه فحككت

كحلا تشرب دمعاً يوم تشتيت
كانه فوق قامات يلموح بها

اوائل النار في اطراف كبريت^(١)

قال النواجي في كتابه (تأهيل الغريب) رأيت لبعض

(١) في هامش الاصل : وقد رأيت في نسخة اخرى :

ولازوردية تزهو بزرقها بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها اوائل النار في اطراف كبريت

صيارقة الادب على هذا التشبيه نقداً حسناً فانه قال « ان
كانت النار في اوائل الكبريت قد وافقته في اللون فقد
خالفته في الرائحة ، وشرط المشبه ان يكون اعلى رتبة في
التشبيه ، والبنفسج يجل علو قدره عن ذلك ، فانه من اهل
الجنة والكبريت من اهل النار

وقد زاحمه عليه ابو العلاء عطاء بن يعقوب في رسالته
فقال « وحديقة سماوية اللباس ، مسكية الانفاس . كبقايا
النقش في بنان الكاعب ، أو النقش في اصابع الكاتب .
لازوردية فاقت بزرقها اليواقيت ، كأوائل النار في اطراف
الكبريت »

قال وقد قل من وفاه حقه من المتأدين حسناً ، واتى
في تشبيهه بما يلائمه صورة ومعنى . وقلت :

وياسمين قد بدت ازهاره لمن يصف
كمثل ثوب اخضر عليه قطن قد ندف

شعر:

خليلي هبا ينتضي عنكما الهوى
 وقوما الى روض وكأس رحيق
 فقد لاح زهر الياسمين منورا
 كاقراط در قمعت بعقيق
 بلدينا العلاء بن ايبك الدمشقي في الياسمين الاصفر
 قوله :

كانما الياسمين حين بدا اصفره في جوانب الكشب
 عساكر الروم نازلت بلداً وكل صلبانها من الذهب
 وقال الزحاري :

ولقاء خلناها سماء زبرجد
 لها انجم زهر من الزهر الغض
 تناولها الجاني من الارض قاعداً

ولم ار من يجنى السماء من الارض
 ونقلت من خط ابن حجة قوله فيه :
 الياسمين يقول مذ ولّى الشتا

ومضى الربيع بأعين ومباسم

صيارفة الادب على هذا التشبيه نقداً حسناً فانه قال « ان
كانت النار في اوائل الكبريت قد وافقته في اللون فقد
خالفته في الرائحة ، وشرط المشبه ان يكون اعلى رتبة في
التشبيه ، والبنفسج يجل علو قدره عن ذلك ، فانه من اهل
الجنة والكبريت من اهل النار

وقد زاحمه عليه ابو العلاء عطاء بن يعقوب في رسالته
فقال « وحديقة سماوية اللباس ، مسكية الانفاس . كبقايا
النقش في بنان الكعاب ، أو النقش في اصابع الكاتب .
لازوردية فاقت بزرقها اليواقيت ، كأوائل النار في اطراف
الكبريت »

قال وقد قل من وفاه حقه من المتأدين حسناً ، واتى
في تشبيهه بما يلائمه صورة ومعنى . وقلت :

وياسمين قد بدت ازهاره لمن يصف
كمثل ثوب اخضر عليه قطن قد ندف

شعر:

خليلي هبا ينتضي عنكما الهوى
 وقوما الى روض وكأس رحيق
 فقد لاح زهر الياسمين منورا
 كاقراط در قمعت بعقيق
 بلدينا العلاء بن ايبك الدمشقي في الياسمين الاصفر
 قوله :

كانما الياسمين حين بدا اصفره في جوانب الكشب
 عساكر الروم نازلت بلداً وكل صلبانها من الذهب
 وقال الزحاري :

ولفاء خلناها سماء زبرجد
 لها انجم زهر من الزهر الغض
 تناولها الجاني من الارض قاعداً
 ولم ار من يبنى السماء من الارض

ونقلت من خط ابن حجة قوله فيه :
 الياسمين يقول مذ ولّى الشتاء
 ومضى الربيع بأعين ومباسم

دَيْن المصيف علىَّ أَن أُوَاْنُهُ

وقد استحق اليوم قبض دراهمي

ومن محاسن الشام المنثور . وهو أصفر وأبيض

وبنفسجي وازرق . والازرق فيه حراقة ، وطعمه يشبه

طعم الفجل يدشء ويهضم . انتهى

ومن لطائف الامير مجير الدين محمد بن تميم قوله :

ومذ قلت للمنثور اني مفضل

على حسنك الورد الجليل عن الشبه

تلون من قولي وزاد اصفراره

وفتح كفيه ومال الى وجهي

ومن محاسنه قوله فيه :

انعم على المنثور منك بزورة فلقد أراه والسقام حليفه

ما اصفر الا حين غبت ولم يزل

يدعو بان يأتى اليك كفوفه

ومن مقاصده قوله :

من قال ان الورد كالمنثور في عظم المكانة جد فيه تعنيفه

ما احمرَّ وجه الورد الا اذا غدا المنشور يلطم خده بكفوفه
ومن اغراضه قوله فيه :

يشير بتوبة الندماء جهلاً والمنشور عندهم نصيب
وكيف وقد عقدنا كل كف بكف منه انا لا نتوب
ومن محاسنه قوله فيه :

مولاي للمنشور حق وهو أن
تلقاه اذ يلقي بكأس رحيقه
اكرمه أو فاعلم بان كفوفه
تدعو على من لم يقيم بحقوقه
ونقلت من خط الشيخ بدر الدين الدماميني فيه :
لله منشور بروضك نشره

يطوي عبير المسك والكافور

قطر الندى فيه جواهر نظمت

يا حبذا المنظوم في المنشور

ونقلت من خط القاضي زين الدين عبد الرحمن بن

الخراط فيه :

دع المنشور شمسُ الور د غشت نوره نورا
 ألم تره اذا يبدو هباء فيه منشورا
 وقال عرقلة في المنشور الاحمر واجاد :

انظر الى المنشور ما بيننا
 وقد كساه الطل قصانا
 كأنما صاغته أيدي الحيا
 من أحمر الياقوت صلبانا
 ومن نكته البديعة قوله فيه :
 حاذر أصابع من ظلمت فانها
 تدعو بقباب في الدجى مكسور
 فالورد ما ألقاه في حجر القضا
 الا دعاء اصابع المنشور
 ومن لطائفه قوله فيه :

مذ لاحظ المنشور طرف النرجس الـ
 مزورٌ قال وقوله لا يدفع

فتح عيونك في سواي فانما
عندي قبالة كل عين اصبع
ومن محاسنه قوله فيه :

لما ادعى المنثور ان الورد لا
يأتى وان يصلى بنار سعير
ودت ثغور الاقحوان لو انها
كانت تمض اصابع المنثور

ونقلت من خط التقوى ابن حجة قوله فيه رحمه الله :
رأيت مع المنثور بعض وقاحة
ولم ادر ما بين الغدير وبينه
تلون منه ثم مد أصابعها
الى وجهه عمدا وخضر عينه

ومن بدائعه قوله فيه :

صافح منشور الربا وردة
فلامه القمري في الأيكة

قالت ورود الروض في غيضة
 هل جاز في اصبعه شوكة
 ويعجبني قول الحاجي وابدع :
 ولقد نثرت مدامعي ودي معاً
 يوم الوداع وخاطري مكسور
 لاتعجبوا اتملون من ادمعي
 لا بدع ان يتلون المنشور
 صاعد اللغوى قوله فيه وابدع :

قد اقبل المنشور ياسيدى كالدر والياقوت في نظمه
 ثناك لازل كانفاسه ورأس من عاداك مثل اسمه
 ومن محاسن الشام السوسن ، وهو ابيض واصفر
 وازرق

قال العلامة ابن الجوزى في كتابه (لقط المنافع) هو
 ضرب من الرياحين وجيده الاسمانجوني الطري ، حار
 يابس ، يابن قصبة الرئة وينقيها ، وينفع الحلق ووجع
 الطحال ، ويصفي الصوت وينفع التهاب المدة وحرقة البول

وقروح الكلى والمثانة ، ويزيد في المنى ، ويقوي الذكر ،
وينفع جميع علل السودا والبلغم . والشربة منه ثلاثة دراهم
وقال ابن سينا : في الرابعة ومن الناس من سماه اسيرس
ومنهم من سماه ايرس ^(١) اخربا وأهل رومية يسمونه غلاديون
وهو نبات له ورق شبيه بالخناجر في عرضها محدد الطرف ،
وله ساق خارج من وسط الورق وطوله ذراع . غليظ
جداً عليه غلاف ذات ثلاث زوايا وعلى الغلاف زهر لونه الى
الفرقين ولون وسط الزهر احمر قان وله ثمر في غلاف شبيه
في شكله بالقثاء والثمر مستدير اسود وحريف وله أصل كثير
العقد طويل احمر . يصلح للخراجات العارضة في الرأس
والكسر العارض بقحف الرأس . واذا تضمد به مع الخل
ابراً الاورام البلغمية والاورام الحارة وقد شرب بالشراب
الحلو المعمول بماء البحر للشدخ وعرق النساء وتقطير البول
والاسهال واذا شرب بالخل حلل ورم الطحال
ومنه البري وفيه يقول ابن المعتز بالله في الابيض :

(١) يسمى زهر السوسن Iris بالفرنسية والانكليزية

والسوسن الأبيض منشور الحلل
كقطن قد مسه بعض الببل

وقال ابن تميم وابدع :
وكان سوسنة بدت في روضها
بيضاء ضاعف نشرها وقع النداء

نؤارة برد النسيم وهب في
وقت الصباح بثوبها فتجردا
ومن التشبيه المقلوب قوله فيه :

ياحسن نوفرة بدت في بركة
ابداً يفيض الماء فيها ديدنا
ما ان بدت الا وظلت مفكراً

في نوفر وراح يذبت سوسنا
ومن محاسن القاضى الفاضل قوله فيه :

وأبيض السوسن في رياضه يسبي قلوب الزهر بالتجرد
يظل مسروراً به كأنه اقداح بلور على زبرجد
وقال ابن تميم فيه وكأنه تلميح الى معنى ابن المعتز :

ياحسنها من روضة ازهارها ابدت لعيني لؤلؤاً وزبرجدا
والسوسن المبيض في ارجائها كالقطن بالله الندى فتلبدا

وقال ابن المطرزي في السوسن الاصفر :

يارب سوسنة قبلتها كلفاً

وما لها غير نشر المسك في السوق

مصفرة الوسط مبيض جوانبها

كأنها عاشق في حجر معشوق

وقال ابن المتمر في السوسن المشرب بالحمرة :

سقياً لارض اذا ما نبهت بنهى

على الهدوء بها قرع النواقيس

كأن سوسنها في كل شارفة

على الميادين اذ ناب الطواويس

وقال ابن حجة فيه مضمناً :

داسوسن الروض المدبج ازرقا

وأصفر يعلو طوله فوق مبيض

كأن الربا أرخت ذبول غلائل

مصبغة والبعض أقصر من بعض

ومن محاسن الشام الزنبق وهو من خصوصياتها .
وهو قضبان خضر دون الذراعين عليها ورق عرض ورق .
الطرخون واطول منه وفي رأسه زهر ابيض شبيه قبل
تفتحه بالمكاحل فاذا انفتح تلفيه مسدساً وبوسطه شيء
كالابر في رفعها واطول منها وعلى رءوسها نقط صفر تصبغ
كالزعفران ، عطر الرائحة شديد العرف وله دهن حار

شعر :

قد نشر الزنبق اعلامه	وقال كل الزهر في خدمتي
لولم اكن في الزهر سلطانها	ما رفعت من دونها رايتي
فقهقه الورد به هازئاً	وقال ما تحرز من سطوتي
وقال للازهار ماذا الذي	يقول ذا الاشيب في حضرتي
فانفتح الزنبق من قوله	وقال للازهار يا عصبتي
يكون هذا الجيش بي محققاً	واضحك الورد على شيبتي

معين الدين عصرون قوله فيه :

وزهره هيفاء القوام رشيقة منعمة شقت عليها الغلائل
 كأن اعاليها قناديل فضة وقد اوقدت منهن تلك الفتائل
 المنقول من خط ابن حجة الحموي قوله فيه رحمه الله :

اصابع المنشور لما مدها لقرص خد اللورد من بعد القبل
 هزله الزنبق رمحاً عالياً فالراية البيضاء عليه لم تزل
 ومن محاسن الشام البهار . قال ابن البيطار وهو
 الاقحوان الاصفر عند بعض الناس في الثالثة وهو نبات له
 ساق رخصة وورق شبيه بورق الرازبانج وزهره أكبر
 من زهر البابونج أصفر اللون اسود الوسط شبيه بالعيون
 ولهذا يسميه بعض المناربة بعين البقرة وينبت في الدمن
 وله حدة وحراقة وتحليل ويشفي من الاورام الصلبة اذا
 خلط بشمع مذاب ودهن

وقال التيمي في كتابه (المرشد) ومنه نوع صغير
 الشكل جداً يسمى في الشام « عين الخجل » اذا جمع نواره
 وجفف وسحق وجعل في بعض أكحال العين جلاظمة
 البصر العارضة له وجلا البياض الكائن من الماء المنصب

اليها المفسد لحسن البصر وأحد نورها
 وفيه يقول ابن اسرافيل
 حكاني بهار الروض حين ألفته
 وكل مشوق للمشوق يصاحب
 فقلت له ما بال لونك أصفر
 فقال لاني حين أعكس راهب
 ويضارعه الاقاح :
 ولو كنت حيث الروض قد مده الثرى
 بسلطان امواه الجداول معلما
 ومن فوقه زهر الاقاح منورا
 رأيت السما كالارض والارض كالسما
 ومنه الاقحوان :
 وقد لاح زهر الاقحوان كأنه
 يمس به خصر ارق من العضب
 رعوس مسامير من التبر رصعت
 دوائرها الصواغ باللؤلؤ الرطب

ظافر الحداد قوله فيه :

والاقحوانة تحكي ثغر غانية

تبسمت فيه من عجب ومن عجب

في القد والبرد والريق الشهي وطيه

ب الريح واللون والتغنيج والشنب

كشمسة من لجين في زبرجدة

قد أشرقت تحت مسمار من الذهب

ومن مرقص ابن حمديس الصقلي قوله فيه :

من قبل أن ترشف شمس الضحى

ريق الغواذي من ثغور الاقاح

باكر الى اللذات واركب لها

سوابق اللهو ذوات المراح

ومن لطائف الخالدي قوله فيه :

يا رب ربع مقفر موحش

خال نزلناه قبيل العشي

كأنما نور الاقاحي به
 ثغر فم عض على مشمش
 ومن محاسن ابن عباد الاسكندري :
 والاقحوانة تجلو وهي ضاحكة
 عن واضح غير ذى ظلم ولا شنب
 كأنها شمس من فضة حرست
 خوف الوقوع بمسار من الذهب

ومن محاسن الشام الاذريون . هو صنف من الاقحوان
 ومنه مانوارة اصفر ومنه مانواره احمر فالاصفر ذهبي وفي
 وسطه رأس صغير اسود

وقال الغافقي هو نبات يدور مع الشمس ، وينضم
 نواره بالليل . وزعم قوم ان المرأة الحامل اذا امسكته بيديها
 مطبقة احدها على الاخرى نال الجنين ضرر عظيم شديد
 وان ادامت امساكه واشتد به اسقطت

وقال صاحب (الفلاحة) ان دخانه يهرب منه الفأر
 والوزغ وهو نبات حار رديء الكيفية ، اذا شرب من مائه

أربعة دراهم قيأ بقوة وان جعل زهره في موضع هرب
منه الذباب وان دق وضمد به أسفل الظهر أنعط انعاطاً
موسطاً

وقال هرمس : الأذريون حار في الثالثة يابس فيها ،
ويقال المرأة العاقر اذا احتملته حبلى . انتهى
وما ابلغ قول ابن المعتز فيه :

واذريون شبهه والشمس فيه كاليه
مداهن من ذهب فيها بقايا غاليه

وما احسن قول الصنوبري فيه :
كان اذريونها من فوق تلك القصب
خيام مسك فوقها سرادق من ذهب
وقال ابن حجة فيه :

كان اذريونها ونوره قد ابهجا
وميض برق لامع في جناح ليل قد دحا
وقال ابن تميم :

وكان اذريونها في روضة

سرج تضيء على صفا انهارها

والسرج تخفيها الشمس وهذه

سرج تزيد الشمس في انوارها

ويلحق به البابونج. قال ابن الجوزي في (لقط المنافع)

افضله ما كان أصفر طريا طيب الرائحة ، وهو حار يابس

يحلل الاخلاط الرديئة ويقوى الاعصاب وينفع الصداع

والوسواس واليرقان . واذا جلست المرأة في مائة المطبوخ

ادر الطمث واخرج الاجنة ويدر البول ويفتت الحصى

الذي في الكلى والشربة منه ثمانية دراهم

وكذلك زهر الكركيش قال الشاعر :

انظر الى الكركيش وهو محمق

كالتبر محتاط عليه يدار

فكانه فم شادن متبسم

من فوق رأس لسانه دينار

ومن محاسن الشام الاس . قال ابو حنيفة خواصه

عظيمة وخضرته دائمة وله زهرة بيضاء طيبة الرائحة وثمرته سوداء ومنها ماهو أبيض كاللؤلؤ بين ورق كالزبرجد يباع مجموعا بالرطل وباغصانه من غير ميزان ويحلوا اذا ائنع وعصارة ثمره رطبة تفعل فعل الثمرة وهي جيدة للمعدة مدرة للبول موافقة اذا خلطت بشراب لمن عضته الرتيلاء وللسع العقرب وطبخ الثمر يصبغ الشعر

وقال (ديسقوروس) : الآس اذا دق ورقه وسحق وصب عليه ماء وخلط به شيء يسير من دهن ورد واتضمد به وافق القروح الرطبة والمواضع التي يسيل اليها الفضول والاسهال المزمن والنملة والجرمة والاورام الحارة العارضة لللاثيين والثدى والبواسير واذا دق يابساً ودر على الداحس نفع منه وقد يجعل في الآباط وهو بارد يابس

وقال جالينوس : في السابعة هذا النبات من قوى متضادة والأكثر فيها الجوهر الارضي وفيه مع هذا شيء حار لطيف فهو لهذا يجفف تحفيماً قويا وورقه وقضبانة وثمرته وعصارته ليس بينها في القبض كثير خلاف

الكنه يولد السهر ، ورفع مضرته بالبنفسج الطرى ويصلح
 الامزجة الباردة والله اعلم
 وما احسن قول ابن طباطبا فيه :

الآس فرد بديع في محاسنه ما مثله في معانيه بموجود
 يبدو باغصانه خضراء تلبسه كألسن الطير تشوى بالسفايد
 وانشدني فيه شيخنا المرحوم العلامة برهان الدين
 الباعوني الشافعي :

وروضة بانها يهتز من طرب
 شبيه مرتشف من خمرة الكاس
 يثني النسيم على الآس النضير بها
 فهو العليل الذي يثني على الآسي
 وقال بعض المفسرين في قوله تعالى « روح وريحان »
 انه الآس . وهو باليونانية المرسين
 عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اهبط آدم من
 الجنة بثلاثة اشياء الآسة وهي سيدة الرياحين الجنة
 وتلطف سليمان بن محمد الطرابلسي بقوله :

أحب بقضبان آس في سائر الدهر توجد^(١)
 كأنها حين تبدو سلاسل من زبرجد
 وقال ابن حجة : تتبعت ما قيل في وصف الآس فلم
 أقف على ما أَرْضاني إلا قول القائل رحمه الله وأجاد :

خليلي ما للآس يعبق نشره
 إذا شم أنفاس الرياح الهوا
 حكى لونه اصداغ ريم معذر
 وصورته الأذان قبل النوا
 وقال :

عوارض الآس أبدت في موشحها
 نظما باغصانه للنبت خرجات
 وقد حلا لي باوراق ملوزة
 وللملوز في الدنيا حلاوات
 ونقل الحافظ أبو القاسم خلف بن عبد الملك بسنده
 عن الحسن رضي الله عنه قال حياني رسول الله ﷺ بكلمات
 (١) في النسخة المصرية « في سائر الزهر »

يديه بورد فلما أدنيته من أنفي قل ^{صلوات الله وسلامه} « انه سيد رياحين الجنة بعد الآس » انتهى

ويلحق به الريحان وهو جنس تحته انواع ترنجي وحامحي وطبرى وطراطر وحمام . ونقل الشيخ جمال الدين محمد بن نباته في كتابه (سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون) عند ذكر كسرى انو شروان انه كان جالسا واذا بحية قد دنت من عش حمامة في بعض شرف الايوان لتأكل فراخها فرمى الحية بسهم قتلها وقال « هكذا نفعل بعدو من استجار بنا » فلما كان بعد ايام جاءت الحمامة بحب في منقادها فالتفتة اليه فأخذه وقال « ازرعوه » فنبت ريحاناً لم يكن رآه ولا عرفه فقال « نعم ما كافأنا الحمامة . نسأل الله تعالى الذي اهتمها ان يلهمنا الاحسان الى رعيته والشكر على نعمته » انتهى

قال ابن وكيع في الريحان الترنجي :

لم ادر من قبل ريحان مردت به

ان الزمرد اغصان واوراق

من طيبه سرق الاترج نكهته

يا قوم حتى من الاشجار سراق

ومن محاسن ابي القاسم بن العطار في الحماحي قوله :

اما ترى الريحان أهدي لنا حماحاً منه فأحيانا

نحسبه في طله والندی زمرداً يحمل مرجانا

وأنشدني ذو الوزارتين الشهابي أحمد بن الخلوف

في الريحان الطراطري :

وريحان نضير غض جفناً

وأسبل فوق قامات ذوائب

حكمت قضب الزمرد في اخضرار

وآثار الخضاب بكف كاعب

ومن غزل السري الرفا قوله في الريحان الحمام :

قضيب من الريحان شا كل لونه

اذا ما بدا للعين لون الزبرجد

تشبهته لما بدا متجعداً

عذاراً تبدى في سوائف أغيد

ومن مطرب أبي القاسم ابن العطاو قوله :
 أعددت محتفلاً ليوم فراغي
 روضاً غداً إنسان عـين الباغي
 روض يروض هموم قلبي حسنه
 فيه لكأس اللهو أي مساغ
 وإذا انثنت قضبان ريحان به
 جاءت بمثل سلاسل الاصداع
 وقال ابن عبد ربه :
 وريحان يمس على غصون
 يطيب بشمه شرب الكئوس
 كسودان لبسن ثياب خز
 وقد شطحوا بها شيب الرؤوس
 وتقلت فيه من خط ابن حجة قوله :
 يقول ريحان روضي للنسيم وقد
 تعطر الكون منه حين وافاني

سرفت نشري وهاديت الأنام به
 وليس تحمل مني عود ريحان
 وريحان هذا الذي استعمله ابن حجة أخذه ابن
 المعمار وهو :

لما تبدى عذار الحب قلت له
 رفقا ومهلا عليه أيها الجاني
 لا تخش شيئا فما في الخلد محتمل
 بأن يحط عليه عرق ريحان
 ويضارعه النمام . قال ابن الجوزي انه حار يابس قوي
 التحليل لما في الدماغ من الفضول البلغمية والصداع البارد
 ونقلت من خط البدر البشتكي قوله فيه :
 اني أرى البستان فيه ثلاثة
 عندي بها حسناته آثام
 العين صافية به ونسيمه
 واش وزهر رياضه نمام
 ومن لطائف الصفي الحلي قوله فيه :

ومجلس راق من واش يكدره
ومن رقيب له باللوم ايلام
ما فيه ساع سوى الساقى وليس به
بين الندامى سوى الريحان نمام
ويمجبنى قول ابن تميم :

ولم أنس اذ زار الحبيب بروضة
وقد غفلت عنا وشاة ولوام
أقول وطرف النرجس الغض شاخص
الينما وللنمام حولي إلمام
أيا رب حتى في الحداثق أعين
علينا وحتى في الرياحين نمام

ومن محاسن الشام شقائق النعمان . قال صاحب
المفردات : في الثانية وهو صنفران : يرى وبستانى . ومن
البستانى ما زهره أحمر ومنه ما زهره الى البياض وله ورق
شبيه بورق الكزبرة الا انه أدق تشريفاً وساقه أخضر
رقيق وورقه منبسط على الأرض وأغصانه شبيهة بشظايا

القصب رقاق، على أطرافها الزهر مثل زهر الخشخاش وفي
وسط الزهر رءوس لونها أسود وكحلي الى السواد وأصله
في عظم زيتونة أو أعظم . وأما البري منه فانه أعظم من
البيستاني وأعرض ورقاً وأصلب ورءوسه أطول وله زهر
أحمر قان وفيه ما بعضه أحمر وبعضه أصفر وله أصول
دقاق كثيرة وتو أشد حرافة من غيره

ومن الناس من لم يفرق بين شقائق النعمان البري
وبين النبات الذي يقال له «ارغماموني» وزهر الصنف من
الخشخاش الذي يقال له رواس . وهو رمان السعال لتشابه
لون زهرهما في الحمرة . وهذا غلط فان زهر الارغماموني
وزهر الصنف من الخشخاش المسمى بالرواس اقل اصباغاً
في الحمرة من شقائق النعمان . غير ان ظهورها في الزهر
كظهور الشقيق . وقوى الشقيق حارة جاذبة فتاحة .
وكذلك الشقيق اذا مضغ اجتذب البلغم . وعصارته تجاو
الآثار الحادثة في العين عن القرحة ، والاكتحال بها
يسود الحديقة ويعنم الماء النازل ويحدر الطمث اذا احتملت

به المرأة ويدر اللبن . واذا خلط زهره مع قشور الجوز
 الرطب صبغ الشعر وقلع القوباء والله اعلم . انتهى
 وفيه يقول الشريف الرضى :

جام تكون من عقيق احمر
 ملئت دوائر بهمسك اذفر
 خط الربيع قوامه فأقامه

بين الرياض على قضيب اخضر
 بلدينا العلاء بن ابيك الدمشقي قوله فيه :
 وشقيقة حمراء ذات توقد

مطوية في اليوم تنشر في غد
 فكان حمرتها وحسن سوادها
 خد الحبيب زها بخال أسود

وانشدني فيه ذو الوزارتين صاحب الصناعتين
 الشهاب الخلوف :

خلت الشقيق وقديرى في زرعه
 شققاً تقطع في سماء زمرد

وكان أسوده اذا لا حظته
آثار كحل في لواحظ أرمده

ونقلت من خطه وانشدنيه :
ما للشقائق اذ ابدى الربا زهراً
يفتر عن مبسم كالدر منتضد
اسودّ باطنها من نوره حسداً
حق الشقائق لا تخلو من الحسد

وانشدني ونقلت من خطه :
وروضة أنف ابدى الغمام بها
شقائقاً شكلها يبدى لمن رمقا
غيري بكت وأبانت شعرها وذوت
فضل النقاب وأدمت خدها حنقا
ونقلت من كتاب (خلائل العطار) للدنيسري احمد
العطار قوله :

كفى' الروض حسنا ان بين زهوره
شقيقة نعمان تلوح وتبتدي

كجام عقيق وسطه قرص عنبر
 وخذ به خال ومقلة أرمد
 ونقلت من خط ابن حجة قوله :
 سألت الشقيق الغض عن نقطة بدت
 على خده والروض منها تعطرا
 فقال سواد المسك هام بوجنتي
 وقد أكثر التقيبيل فيها فأثرا
 وقال أيضا التقوى ابن حجة :
 انهض الى جنة روض زاهر
 لا يعتريك في مقالي شك
 وانظر الى كأس شقيق ملئت
 رحيق طل والختمام مسك
 ونقلت من خط القاضي بدر الدين الدماميني المالكي
 الاسكندري :

سوادك يازهر الشقائق قد زها
 محمرة أوراق يروق سناؤها

يحاكي قلوباً بالصدود تسودت
 وجرحها لحظ فسات دماؤها
 ومن بديع اكتفائه قوله :
 شقائق النعمان ألهو بها
 ان غاب من أهوى وعز اللقا
 واخذ في القرب نعيمي وان
 خاب فاني أكتفي بالشقا ثق
 ومن غزل ابن منقذ قوله :
 الا عجب صاغ الربيع من الزهر
 مداهن تبر لم يصغن من التبر
 شقائق في اغصان تبر كأنها
 خدود بدت فيها عوارض من شعر
 ومن غزل ابن وكيع :
 شقيقة جاءتك من روضة
 يقصر عنها كل مشموم

سوادها في صبغ محمّرها
كشامة في خد ملطوم

وقال بعضهم :

وبين الرياض الجون زهر شقائق
مطاردها حمر أسافلها سحم

كما طرحت في الفحم نار ضعيفة
فمن جانب جمر ومن جانب فحم

اخذه ظافر الحداد الاسكندري :

وللشقائق جمر في جوانبه
بقية الفحم لم يستره باللهب

وما ارشق قول ابن رشيق :

رأيت شقيقة حمراء باد
على اطرافها لطخ السواد

يلوح بها كأحسن ماتراه
على شفة الصبي من المداد

وقال آخر

شامتك السوداء يا قاتلي
 في خدك الأحمر تحكي الشقيق
 شقت قلبي مع سويدائه
 فصار قلبي في هواها شقيق
 وقال الميكالي وابدع :

تصوغ لنا كف الربيع حداثقا
 كعقد عقيق بين سمط لآلي
 وفيهن نوار الشقيق وقد حكى
 حدود عذارى' نقطت بغوالي
 ومن محاسن ابن حمديس الصقلي قوله :
 ولم تر عيني بينها كشقائق
 تلبلها الارواح في الورق الخضر
 كما مشطت غيد القيان شعورها
 وقامت لرقص في غلائلها الحمر
 قوله :

وترى شقائقه خلال رياضها
 اوفت مطاردها على أزهارها
 فكانها والريح يصقل خدها
 والسحب تملأها بماء نضارها
 أقداح يا قوت لطاف اترعت
 راحمًا فبات المسك حشو قرارها
 وكأنها وجنات غيد أهدقت
 بخدودها حمرا خطوط عذارها
 ونقلت من خط الجمالي علي بن السكالي ظافر الخزرجي
 من كتابه (التشبيهات) :

انظر الى حسن شقيق الربا
 تنظر الى ما يحمل الزهرا
 من كل حمراء بها نقطة
 سوداء طابت بيننا نشرها
 كمثل خد فوقه شامة
 مسودة قد انبتت شعرها

او قطعة المسك اذا القيت
في وسط كأس ملئت خمرًا
ومن مخترعاته قوله :

ولاح لنا زهر الشقائق تابعاً
كمثل زنوج ضرجتها دماؤها
ومن دقائق ابن وكيع قوله :

قم فاسقني يا رفيقي من السلاف الرحيق
اما ترى الطل يحكي على احمرار الشقيق
لا آثـا ضمنتـا مـداهن من عقيق
واحسن منه :

والشمس لا تشرب خمر الندى
في الروض الا بكئوس الشقيق
ومن أهاجي جمال الدين الخزر جي قوله
اني لا بنض في الشقائق منظرًا

سمجاً لان اديمه لون الدم

فكأنما هي جرح طعنة اسمر
 قد شد اوسطها بقطعة مرهم
 وقال أبو النصر سالم بن سعاد الحمصي في الشقيق
 والرجس :

وروض اريض من شقيق ورجس
 لنوريهما من تحت قضب الزبرجد
 خدود عقيق تحت خيلان عنبر
 واجفان در تحت أحداق عسجد
 ومن بليغ الارجاني قوله :

لما تباشر اصباحًا شقائقها
 بانت وكانت قصها حمرا
 ردت على رأسها الاذيال من طرب
 لجملهن على من بلغ الخبرا

وقال الصنوبري في الورد والشقيق :
 قد أحرق الورد بالشقيق فاشرب عقيقًا على عقيق
 كأنه حوله وجوه مستشرفات على حريق

وقال ابو نصر في الشقيق والسوسن :

وروضة زهرها عند الصباح غدا

يدعو الندامى الى شرب بتغليس

شقائق مثل أعراف الديوك بها

وسوسن مثل اعراف الطواويس

وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى :

انظر الى الزرع وجماه

تحكي وقد هبت عليها الرياح

كتيبة خضراء مهزومة

شقائق النعمان فيها جراح

ومن محاسنه قوله فيه :

شقيقة شق على الورد ما

قد كسيت من خالص الصبيغ

كأنها لما بدت وجنة

قد بان فيها طرف الصدغ

ومن محاسن الشام اليتلوفر . وهو أصفر وازرق

وبنفسجي واحمر . قال ابن الاثير في عجائبه يسمى « حب العروس » . وهو نبات هندي واكثر ما ينبت بنفسه في مستنقعات الماء وراكدها ولا ينبت الا في الماء العذب الواقف من أرض طيبة ومن شأنه أنه يحوّل وجهه الى الشمس اذا طلعت ، ويزيد انفتاحه بزيادة علو الشمس ، فاذا اخذت الشمس في الهبوط اخذ في الانضمام حتى يكمل انضمامه عند غيبوبة الشمس ويغطس في الماء . ويقال ان طائراً لطيفاً يدخل في الزهر وينضم عليه ويغيب في الماء ليله فاذا أصبح طلع وتفتح فيخرج الطير

وهو بارد رطب مسكن للصداع الحار ويكسر شهوة الجماع وينفع من الاحتلام اذا شرب منه درهم بشراب الخشخاش ويحمد المني . قال ابن البيطار : في الرابعة هو نبات له ورق شبيه بورق القلقاس الا أنها أرق واسمه فارسي معناه النيل له اجنحة تنبت في المياه الراكدة والآجام وورقه من أصل واحد . وقال ابن الجوزي : شبه البنفسج في قوته ومنفعته إلا انه ابرد وأرطب يذهب وجع

الاسنان اذا استعمل مضغة وينقى السواد والبلغم وانفعه
 الاصفر وهو من خواص الشام . انتهى
 وفيه يقول المطوعى وابدع :

وبركة حفت بنيلوفر
 قد جمعت من كل لون عجيب
 كأن نيلوفرها عاشق
 نهاره يرقب وجه الحبيب
 حتى إذا الليل دنا وقته
 وانصرف المحبوب خوف الرقيب
 اطبق جفنيه عسى في الكرى
 ينظر من فارقه عن قريب
 وقال فيه :

خناجر من خناجر ترعت
 وهي على الماء من دم حمر
 ومن لطائف الباخرزي قوله فيه :

اشرب على بركة نيلوفر
 مخضرة الاوراق حمراء
 كأنما ازهارها اخرجت
 السنة النار من الماء
 ومن تشايه ابن حمديس الصقلي قوله :
 ونيلوفر أوراقه مستديرة
 تفتح فيما بينهن له زهر
 كما اعترضت خضر الفراش وبينها
 عوامل ارماح أسنتها حمراء
 ومن مقاصده قوله فيه :
 لا تغفلن عن الصبوح وقم بنا
 ناعم بطيب لذادة للأفئس
 في بركة تبدى لنا نيلوفرا
 خضلا تضاحكه عيون النرجس
 كأسنة من فضة قد خضبت
 بدم ولقت في عصائب سندس

ومن محاسن ابن سحنون خطيب النير بين قوله :

يا حسنه نيلوفرًا في مائه

طاف وفي احشاه نار تسعّر

يحكى أنامل عادةً مضمومة

جمعت وزينها خضاب أخضر

ومن غراميات عبد الجليل بن دهبول قوله :

وبركة تزهو بنيلوفر نسيمه أشبه ريح الحبيب

حتى اذا الليل دنا وفتته ومالت الشمس لحين المغيب

اطبق جفنيه على إلفه وغاص في الماء حذار الرقيب

ومن تشايبه ابن تميم قوله :

ونيلوفر كالزهر شكلا ومنظرا

محاسنه فيها اللواحق تروع

وكل نجوم لكن الفرق انها

تغيب صباحًا وهي في الصبح تطلع

وقال فيه :

وناظر نحو عين الشمس يرقبها
 حتى اذا غربت اغضى بتنكيس
 كأنه ودروع الماء تشمله
 تحت الشعاع كالليل الطواويس
 ومن بدائع قوله ^(١) :

نيلوفر النيل قد ابدى تلونه
 واحمر وارزق من شامينا وشكا
 قلنا له ذاك لون واحد وبه
 يسمو وانت بليد وهو فيه ذكا
 وقال فيه :

ونيلوفر حاكي النجوم جهالة
 ولم يدرك أن الزهر يعنوها الزهر
 فلما بدا في الليل نكس رأسه
 حياء واختفى في الماء حتى بدا الفجر

(١) وفي نسخة : ونقلت من خط التقوي بن حجة وأجاد ثم
 أفاد بقوله

ومن بدائع قوله :

ونيلوفر يحكي النجوم وماؤه
يحكي سماء لا يغيرها وصفا
يغيب كما غابت ويبدو كما بدت
ويشبهها شكلا ويفضلها عرفا
ومن مقاصده قوله فيه :

يا حسن نوفرة^(١) صفراء حين بدت
أبدت مأسنها عن منظر عجب
كانها حية في الماء ساجحة
يبدو على رأسها تاج من الذهب
أحمد بن الخلوف رحمه الله تعالى :

ونيلوفر شبهته في غديره
بقايا سلاف في كنوس زجاج

(١) قال الزبيدي في التاج ان العوام يسمون النيلوفر

« نوفر » كجوهر

تمثل أذئاب الطواويس اذ غدا
 يموء بالياقوت صفحة عاج
 بلدينا العلاء بن ايبك الدمشقي قوله :
 يا حسنه في بركة قد أصبحت
 محشوة مسكا يشاب بنده
 وكأنه اذ غاب عند مسائه .
 في الماء واحتجبت بضارة قام
 صب تهدده الحبيب بهجره
 ظالماً فغرق نفسه من وجده
 وقال الامير مجير الدين محمد بن تميم فيه :
 لما حكى زهر السكواكب نوفر
 واقام وهو على المطال حريص
 خاف الحريق وقد رمته بشهبها
 فلذاك امسى في المياه يغوص
 وقال فيه :

نيلوفر [غص] تلبس ماءه يوماً وتاه على النجوم بذويه

لحظته أعينها فنكس رأسه خجلا وغاص من الحيا في ثوبه
ومن محاسن الشام البان . قال ابن البيطار : شجره يسمو
ويطول في استواء ، وخشبه خوار خفيف وقضبانة سمجة
خضر وهده ينبت في القصب وهو طويل أخضر شديد
الخضرة وثمرته تشبه قرون اللوييا الا ان خضرتها شديدة وفيها
حب فاذا انتهى انفتق وانتثر حبه ، وهو ابيض أغبر نحو
الفسق ومنه يستخرج دهن ويقال لثمره السوع^(١) وهو مربع
ويكثر على الجذب واذا أرادوا طبخه رض على الصلابة وغر بل
حتى ينعزل قشره ثم يطحن ويعتصر وهو كثير الدهن
ودهنه ينفع من الكلف والشمس ومن الجرب والحكة والعلّة
التي يتقشر معها الجلد ، ويأطف صلابة الكبد والطحال
وماؤه يستخرج في شهر كانون الثاني ، يشد القلب . وخشبه
يعمل منه الخلالات وهو عطار الرائحة

الشاب الظاريف محمد بن العفيف التلمساني رحمه الله :

(١) في مفردات ابن البيطار « الشوع » وفي كتب اللغة

« السباع » كسحاب

تبسم زهر البان عن طيب نشره
وأقبل في حسن يجلب عن الوصف
هلموا اليه بين قصف ولذة
فان غصون البان تصلح للقصف
ومن لطائف ابن قريظ قوله :

مذاقبل الصيف وولى الشتاء اذهب عني البرد والقرأ
أما ترى البان على غصنه قد قلب الفرو الى برا
ومن اغراض ابن تميم قوله :

ياهاجر أروضاً لاجل البان اذ ولى به والورد فيه مصان
أرأيت روضاً شب فيه ورده ينسى اذا ماشاخ فيه البان
ومن محاسن الشام « قف وانظر » قال ابن البيطار :
هذا من خواص (دمشق) وما والاها من أرض الشام ،
ويعرف بالآس البري . وهو نبات له ورق شبيه بورق
الآس البستاني الا انه اعرض منه وفي طرفه حد شبيه
بطرف سنان الرمح وله ثمرة مستديرة في وسط الورقة
بمركز اخضر يشبه الشريط واذا انضجت كان لونها احمر

كالمرجان وفي جوفه حب صاب وله قضبان شبيهة بقضبان
النبات الذى يقال له لوقس كثيرة مخرجها من اصل واحد
طولها نحو من ذراع بواحد مملوءة ورقا [وأصله شبيه بأصل
النبات الذى يقال له اعسطس اذا ذيق كان ^(١)] عفصا مائلا
الى المرارة وورق هذا النبات وثمره اذا شربا بالشراب ادرا
البول وفتتا الحصى وادرا الطمث وقد يبرىء اليرقان وتقطير
[البول] والصداع وينبت في مواضع خشنة واجراف
قائمة . انتهى

وأما تمر الحنا فانه يطلع خارج البلد في الغور وفي
الارض الحارة من قرى الشام ويعمل منه دهن . وفيه
يقول السراج الوراق :

ودوحة تامر لما تبدت كاذناب الثعالب في المثال
عليه دق كافور سحق تضمخ بالمسوك وبالغوالي
ومن تشاييه تاج الدين الكندى فيه :

(١) هذه الزيادة من مفردات ابن البيطار في مادة (آس بري)

ودوح رياض كلما استقطر الندى
 اعار بسيط الارض ثوب ظلال
 ترى تمر الحناء فيه كأنه
 اكف عذارى فى شباك لآلى
 وانشدني فيه الشيخ علاء الدين على البلاطنسى الشافعى
 سابق الى رشف الطلا بمحديقة
 فيها خدود قد زهت وثمرور
 قد خلت فيها تمر حناء غدا
 شبه الكفوف الى المدام يشير
 ومن محاسن الشام الحيلانى وهو شجر يشبه الصفصاف
 غير انه فى اوائل الربيع تصبغ جميع أغصانه بالاحمر كقضباني
 المرجان وله رؤية بديعة
 وفيه يقول الشيخ صلاح الدين خليل بن ابيك
 الصفدي :

لنا حيلانة قد حالفتنا

تسر بها الخواطر والعيون

فقلت لصاحبي لما تبدت
 متى نباتت من الشفق الغصون
 ويلحق به شجر الزنزلت وله زهر طيب الرائحة
 يخرج في أيام الورد . وفيه يقول مؤلفه البدرى :
 وزنزلت أبيض مع أحمر في غصن
 كالدر والياقوت أو ثياب خام يمني
 وكذلك شجر السرو فان رؤيته حسنة وأكثر ما
 يوجد بدمشق

وفيه يقول احمد بن وضاح :
 اياسرو لا يجتزئ منابتك الحيا
 ولا بز عن اغصانك الورق النضر
 وقد كسيت اعطافك اللد مثما
 تلف على الخطي راياته الخضر
 وانشدني ذوالوزارتين احمد الخلوف التونسي المالكي :
 وسروة شق النسيم رداءها
 فابتدت فصوص التبر في الحلل الخضر

كزنجية ماست بغنج وشمريت
 عن الساق ذيلاوا اكتست حلة الشعر
 اذا سقيت كأس الهنا قضب سوقها
 امالت رءوسا لا تمل من السكر
 ونقلت من خطه وانشدنيه :
 وسرو كزنج شمرؤا الذيل اذ غدوا
 يهزهم خفق الربابة للطرب
 اذا مشطت ايدي النسيم فروعها
 ترى حللا خضرا نردر بالذهب

وفيه من رسالة القاضي محي الدين بن عبد الظاهر
 قوله « والاغصان قد اخضر نبت عارضها ، ودنانير
 الازهار ودراهمها تهيأت لتسليم قابضها . والخور قد
 حاور السهي بالتباشير ، والسرو قد كشفت عن سوقها
 وقالت لها الغدران بهديرها انه صرح ممر من قوارير »
 وانشدني شيخنا العلامة بقية السلف ابراهيم

الملاح :

ولما رأيت السرو في الروض مائساً
وايدى الهوا فيه تزيد وتنقص
حسبت رفاعيا اتى قاعة الهنا
واسبل فيها شعره وهو يرقص

قلت : وجميع هذه المحاسن بالخواكير ، غير ان الماء
لا يصل اليها الا بجهد كبير . لعلوها عن (نهر يزيد) ،
فاصطنعوا لها الدولاب ودورانه بكل بهيم شديد . وفيه
يقول ابن لؤاؤ الذهبي :

حا كورة دولابها الى الغصون قدشكا
من حين ضاع زهرها دار عليه وبكى
ودار في دولابه الصلاح الصفدي حيث قال :

ابدى لنا الدولاب قولاً معجبا
لما رأنا قادمين اليه
اني من العجب العجيب كما ترى
قلبي معي وانا ادور عليه

والاصل فيه قول ابن تميم فيه :
تأمل الى الدولاب والنهر اذ جرى
ودمعهما بين الرياض غزير
وضاع النسيم الرطب والروض منهما
فاصبح ذا يجري وذاك يدور
ومن معاني ابن دمرdash قوله فيه :
ونزب دولاب سقى دوح الحمى
فاعادها سكرى على الاطلاق
وجدت كوجدي بالهوى فخمارها
مثلى وحقك من عيون الساقى
ومنه قول الشهاب الخفاجي :

حالة الدولاب دات انه في فرط حزن
كان يسقى وينقى صار يسقى وينقى
ونقلت من خط احمد بن صالح قوله
دولابنا صب طليق دمه
مأسور حب قلبه وضلوعه

يبكي على فقد الاحبة نائراً
 من بعدم جهد المقل دموعه
 ومن لطائف ابن تميم قوله :

ودولاب روض كان من قبل اغصنا
 تيمس . فلما فرقتها يد الدهر
 تذكر عهداً بالرياض فكه
 عيون على أيام عهد الصبا تجري
 ومن معاني الأسعدي قوله :

شاهدت دولاباً له ادمع
 تكفلت للروض بالرى
 فاعجب له من فلك دائر

ما فيه برج غير مائي

ومن محاسن الشام ارض (المزة واللوان) . فان حكماء
 اليونان لما رأوا الجانب الشمالي يصلح لزراعة الازهار ورأوا
 طيبة ارض الجانب القبلي اختاروها للغرس الاشجار
 فمنه المشمش وهو أحد عشر ون صنفاً بدمشق :

حموى ، سندیانی ، اویسی ، عربیلی ، خراسانی ، کافوری ،
 بعلبکی ، لقیس ، لوزی ، دغمشی ، وزیری ، کلابی ،
 سلطانی ، حازمی ، ایدمری ، سنیفی ، بردی ، ملوح ، فراط
 النجاتی ، جلاجل القلوع

قال جالینوس فی السابعة وهي ثمرة باردة أحسن من
 الخوخ وأجود منه لكونه لا یفسد كما یفسد الخوخ فی
 المعدة ولا یحمض . واذا اكل المشمش بعد الطعام فسد
 وطفا فی رأس المعدة وان كان فیها فضل رديء استحال
 الى طبیعة ذاك الفضل فلا یؤكل الا قبل الطعام یشرب
 فوقه السکنجبین

وقال دیسقوریدوس : فی الاولى له طعم أحسن من
 طعم الخوخ وأجود للمعدة ویسهل الصفراء ویولد خلطاً
 عظیماً غلیظاً

وقال الرازی فی (الحاوی) اتانی رجل أبخر فحسنت
 أن المشمش یذهب بخره ، فاطعمته من رطبه فذهب
 البخر . ثم كان یستعمل نقیعه دائماً فلا أحسب أنه یوجد شیء

أشد للتبريد منه . وقال أيضا في كتابه (دفع المضار) انه
يبرد المعدة جدا ويورث الجشأ الحامض ويقمع الصفراء
والدم - ولا سيما ان كانت معه ادنى مرارة - وينبغي أن
يحتنبه من تكثر به الرياح ومن يسرع اليه الجشأ الحامض
واذا اخذ عليه الشراب الصرف والجوارشن الكموني
والسكندري نفعه . فاما اصحاب المعدة الحارة والجشأ الدخاني
والعطش الدائم فكثيرا ما ينتفعون به ولا سيما في يوم بعد
يوم ويوم يمسه في حر وعطش ولا ينبغي ان يشرب عليه
ماء الثلج . ويؤخذ لمن يكثر من أكله الاهليلج ثم بزر
الرازيانج والسكندر ليؤمن بذلك من المائبة التي تتولد
عنه في الدم فانها تتعفن على الايام وتهيج الحميات ان لم
تتدارك بما قلناه الا أن يكثر من التعب حتى يجري منه
العرق الكثير وتصيبه هيضة قوية أو يد من شرابا قويا
يغزر عليه بوله وعرقه . وأقل ضررا من جميع اصناف
المشمش الحموي لرقه حاشيته وحسن طعمه وحلاوته وعطر
رائحة نواره

وفيه يقول جحظة :

ومشمش زهره كالزُّهر مشرقة

بحسن ما فيه من نور ومن نُور

كأن محمره في وسط أبيضه

حكى عقيقا على جامات بلور

وقال ابن سينا المشمش له نوار ابيض مسدس مخضب

بالحبرة عطر الرائحة ، ثم يعقد مع اخراج الورق كاللوز

الاخضر بقاب ابيض ويخشب ويط-بخ منه الطعام

المعروف بالمشمشية ثم يصفر ويأخذ في الانضاج حتى

ينتهي فينشف ويحمل منه الى البلاد

وفيه يقول محمد بن عطية بن حنان الكاتب القيرواني :

ومشمش ما بدا يوما لذي بصر

الا وأصبح بين العجب والعجب

كأن مخبره وصفا ومنظره

شهد تكتفه قشر من الذهب

ومن تشايه ابن وكيع قوله :

بدا مشمش الاشجار فيها كأنه
 يلوح على تلك الغصون الموائل
 قباب بمحمر الذبائح ضرجت
 وقد زينت من عسجد بجلاجل
 ونقات من خط الشرف القواس الدمشقي :
 خلت في الروض مشمشاً جاء في الحمل بالعجب
 كسيماً من زبرجد بنجوم من الذهب
 ومن محاسن بلدينا العلائي بن ايبك :
 ومشمش جاءني من أعجب العجب
 اشهى إلى من اللذات والطرب
 كأنه في هبوب الريح تنشره
 بنائق خرطت من خالص الذهب
 ومن تشاييه الصلاح الصندي قوله :
 بدا مشمش الاشجار يذكي شهابه
 على حسن أغصان من الدوح مبد

حكى وحكت اشجاره في اخضرارها
 جلاجل تبر في قباب زبرجد
 ومن لطائف ابن تميم قوله وقد اهداه لبعض أصحابه :
 امولاي عز الدين يا من جميله
 الى قاصديه ما عليه عيار
 جسرت وقد اهديت نحوك مشمشاً
 وذلك شيء ما عليه غبار
 وما كان هذا لونه غير أنه
 علاه لخوف الردّ منك صفار

ومن محاسن الشام القراصيا : وهي سبعة اصناف
 رشيدية ، بعلبكية ، افرنجية رومية ، طعامية ، بزرة ،
 وفيجية - نسبة لقرية عين الفيحة ، وهي تحمل منها الى
 السلطان بالديار المصرية - وأحسنها البلدية المنسوبة لواد
 مكرم وهو بين الربوة الى تحت صحن المزة

قال ضياء الدين بن البيطار : القراصيا أنواع ، فمنها
 الحلو والمر والعفص والحامض . فالحلو منه حار رطب في

الدرجة الثانية ينحدر عن المعدة سريعاً ويشير التضخم ويرخي
المعدة ويستحيل مع كل طبع وإذا اكل اسهل البطن ولين
الطبيعة ولا سيما اذا ابتلع بنواه وهو مع ذلك يزيد في
الانعاظ

وقال اسحاق بن عمران : خلط القراصيا غليظ مزلق
فاسد الغذاء يولد السوداء ، وحامضه الذي لم يطب قاطع
للعطش عاقل للبطن

وقال ديسقوريدوس : في الاندلس حب الملوك وفي
بلاد الروم السكراز. وهي شجرة معروفة أغصانها سبطة
مشوبة بحمرة ولها ورق أطول من ورق المشمش ولها ثمرة
شبيهة بحبة العنب في التدوير ، تتدلى في شيء شبه الخيوط
الخضر اثنان اثنان في الغالب وازيد من ذلك ، ولونها
أحمر ومنها ما يكون اسود وأشقر ، وفيها ما هو منصبغ
ببعض حمرة

وهو في الاولى ، وان استعمل رطباً لين البطن ،
وان استعمل يابساً أمسك البطن ، وصمغه - اذا خلط

بشراب ممزوج بماء - يبريء السعال ويحسن اللون ويحدد
البصر ويتنهض الشهوة وينفع من به حصاة

وقال جالينوس : في السابعة وفيه قبض ولكن ليس
هو سواء والحامض اكثر قبضا وينفع المعدة البلغمية
المملوءة فضولا لان الحامض يجفف اكثر من تجفيف
العفص والحلو . وصنع هذه الشجرة فيه من القوة العامة
الموجودة في جميع الادوية الازجة التي لا تلذع معها فهي
كذلك نافعة من الخشونة الكائنة في قصبة الرئة . واذا
شربت بشراب نفعت صاحب الحصاة لان فيها قوة
لطيفة

وطعام القراصية نافع ولذيذ وسهل والله أعلم . اهـ
وفيه يقول مؤلفه رحمه الله :

كانما القراصيا لما بدت للنظر
حبة مرجان ترى في رأس خيط أخضر
وله أيضاً :

تحكي القراصيا وقد لاحت بعرق نضر

كنجمة في شفق بدت بذيل أخضر
وله أيضاً :

ان القراصية التي زهت بلون مورد
كعقيقة حمرا بدت بعلاقة تحكي الزبرجد
ومن محاسن الشام الكثرى . وهو باليونانية الانجاص
وهو أصناف : ثمانى . عيلانى . خلانى . سمرقندى .
صيني . ملكي . صقلانى . مغاربى . يبرودى . رحبي .
درسى . قناديلى . خنافسى . معنقى . دهرورى . عريب .
بعلبكي . ماوردى . عقربانى . شتوي . صيفي . سكري
قهلي

قال ابن سينا : وفي بلادنا نوع من الكثرى يقال له
شاه امرود كبير الحجم شديد الاستدارة رقيق القشرة
حسن اللون وكأنه ماءسكر منعقد جامد يميل الى الصفرة .
يتكسر للجمود لا لغلظ الجوهر طيب الرائحة جداً اذا
سقط عن شجره اضمحل وهذا مما لا مضرة فيه ولا
يحمل من بلده وهو معتدل رطب

وقال جالينوس : ورق الكمثرى واطرافها قابضة فاما ثمرتها ففيها مع قبضها حلاوة ومائية . واجزاء هذه الثمرة ليست متساوية المزاج وان منها ما هو أَرْضِي ومنها ما هو مَائِي . وان شئت قلت من وجه آخر بعضها بارد وبعضها معتدل المزاج . من اجل ذلك متى اكل الكمثرى قوى المعدة وسكن العطش ، ومتى وضع كالضماد جفف وجلا جلاء يسيرا ، وبهذا السبب أعلم اني قد ادملت به جراحات عند ما كنت لا أقدر على دواء آخر

والكمثرى البري اكثر قبضاً وتجفيفاً من سائر الكمثرى فهو لذلك يدمل ما هو من الجراحات ويمنع المواد من التحلب

وقال (ديسقوريدوس) : في الاولى الكمثرى وهي اصناف كثيرة وكلها قابض ، ولذلك يستعمل في الضمادات المانعة من مصير المواد الى الاعضاء . واذا أخذ أو شرب طبيخه بعد أن يجفف عقل البطن ، واذا اكل الكمثرى والمعدة خالية اضر بآكله . وورقه ايضاً قابض ، ورماد

خشبه قوي المنفعة للذين يعرض لهم خنق من اكل الفطر وهو ما يظهر بارض الشام على ضرب الحكاة. وقد قال قوم انه اذا طبخ الكثيرى البري مع الفطر يمرض آكاه

واعترض اسحق بن عمران على قوله في ان الكثيرى اذا اكلت على الريق تضر بآكلها ولم يخبر بالسبب في ذلك ولا أى الكثيرى يفعل ذلك. فأقول انه ذم الكثيرى على الريق اذا اخذ على سبيل اللذة والغذاء لا على سبيل الحاجة والدواء، وخاصة اذا كان عفصا او قابضا، وان كان العفص أخص بذلك لان من خاصيته ان الاكثار منه يولد النفخ فاذا اخذ على خلاء المعدة تمكن من جرمها وقام فعله فيها ولم يؤمن على صاحبه مع الادمان عليه أن يورثه قولنجا يعسر انحلاله. فأما على سبيل الحاجة للدواء فان استعماله على الريق لا محالة أفضل لان استعماله بعد الطعام مطلق وزائد في ضعف المعدة لانه بافراط قبضه يجمع أعلى المعدة وتقهر القوة المسكة التي في أسفلها. وأما العفص من الكثيرى فهو أقل غذاء واقطعها للاسهال والقيء المراري

وأشدها مثونة للمعدة والامعاء ، لانه لا فراط خشونته
وغلظ جسمه وبعد انقياده مضر بعصب المعدة جداً .
ولذلك وجب أن يتلطف له بما يرخي جسمه ويزيل غلظه
ويلين خشونته مثل سلقه في الماء أو تعليقه على بخار الماء
حتى ينضج أو يلبس عجينا ويشوى ويربى بسكر الطبرزد
أو غسل على حسب مزاج المستعمل له

وقال البصري : الكمثرى الحلو بارد في الاولى يابس
في الثانية والصيني منه بارد في الدرجة الثانية رطب في
الدرجة الاولى وفيه عطرية وقبض وتقوية القلب والتفاح
خير منه

وقال اسحق بن عمران : الحامض منه دابغ للمعدة
مدر للبول مشه للأكل

وقال بقراط : ما كان من الكمثرى صلبا فهو يبرد
ويجفف ويعقل البطن وما كان ليناً نضيجاً حلواً فهو
يسخن ويرطب ويطلق البطن

قلت وخالف البصري في قوله « والكمثرى ألد من

التفاح وما يتولد منه في البدن احمد مما يتولد من التفاح وهو أسرع انهضاما »

وقال الرازي في (الحاوي) : الخالص من الحلاوة من الكمثرى لا يبرد ، وأكله يعقل البطن الا أن يؤكل بعد الطعام فيسرع باحذار الثقل ثم تكون عاقبته عقل البطن . والصيني أقل ماء وأقوى فعلا وأشدّها عقلا واكثرها في تسكين العطش

وقال في كتابه المسمى بدفع مضار الاغذية : الكمثرى كثير النفخ بطيء الانهضام . وينبغي أن يحذره من يعتريه القولنج ولا يشرب عليه ماء بارداً ولا يأكل بعده طعاما غليظا ، واذا أكل منه فليكن على جوع صادق ، وليطل النوم بعده ويشرب عقيبه شرابا عقيقا صرفا أو يأخذ عليه زنجبيلاً مربى ثم يجعل ادامة في ذلك اليوم مرقّة اسفید باجة أو مرق مطجّنة ويدع لحما ولا يتعرض للمشوى وان أكل مع السمين المهري بالطبخ لم يضره ذلك . والكمثرى مقو للمعدة ضار للمبرودين ومن يعتريه القولنج وشره

فجهُ واقفه حلاوة ونوار الكهثرى ابيض مستدير مشرق.
 كبر من نوار الخوخ واعظم رائحة . انتهى والله اعلم
 وفيه يقول عبد الله بن برغش :
 وكثرى تراه حين يبدو
 على الاغصان مخضر الثياب
 كئدى خريدة ابدته تيبها
 له طعم الذ من الشراب
 وما ارشق قول ابن رشيقي فيه :
 نظرت الى البستان احسن منظر
 وقد حجب الاغصان شمس المشارق
 به زوج رمان يلوح كأنه
 قناديل تبر محكمات العلايق
 ومن تشابهه صرّ درّ قوله فيه :
 حى بكثرية لونها
 لون محب زائد الصفرة

تشبه نهد البكر ان اقعدت

وهي لها ان قلبت سره

ومن محاسن الشام التفاح . وهو بدمشق اصناف
كثيرة فلندكر بعضها : سكري . مسكى . فتحي . صيني .
شتوي . بلدي . صيفي . قاسمي . فاطمي . تحابي . فضي .
حديثي . جناني . حرستاني . لبناني . حلواني . دهشاوي .
اخلاطي . بريري . نبطي . ماوردي . بطيخي . مجهول

قل البصري : نواره اشبه شيء بازارار الورد عند
ظهوره ثم يفتح مع اخراج ورقه براحة طيبة الشذا
وفيه يقول ابن عمار :

وزهر تفاح اضحى الغصن منتظما

كأنه لؤلؤ يبدو وياقوت

وللرياض على ارجائها ارج

كان فيه ذكي المسك مفتوت

قالت الحكماء : جسم التفاح صديق الجسم ، وريحه

صديق الروح

وقال جالينوس : في السابعة ومنه ماهو حلو ومنه مافيه
 عفوصة ومنه مافيه قبض ومنه حامض ومنه ما بين الحموضة
 والحلاوة مسيخ الطعم وما كان منه على هذه الاوصاف
 فالأغلب عليه طبيعة الماء يكون مزاجه ابرد وارطب معاً ،
 وأما الذي فيه عفوصة فالأغلب عليه المزاج الارضى البارد
 وأما القابض منه ففيه هذا الجوهر المائي البارد كما أن في
 الحلو منه جوهرأ مائياً معتدل المزاج . وكذلك يمكنك
 أن تستعمل منه ماهو أشد قبضاً واكثر حموضة في ادمال
 الجراحات وفي موضع مايتحلب في ابتداء حدوث الاورام
 الحارة الى موضع الورم وفي تقوية فم المعدة عند استرخائها
 ويستعمل منه ماهو مسيخ الطعم ولا طعم له - كالماء -
 في مداواة الاورام التي هي في ابتدائها أو التي في زيادها وفي
 جميع التفاح رطوبة كثيرة باردة ، ومما يدل على ذلك انه ليس
 منه ولا واحد تبقى عصارته ، بل جميعه اذا عصر فسد عصيره
 خلا السفرجل فان عصارته تبقى . واليونانيون يدخلونه في
 عداد التفاح المسمى نيطروما فان هذين النوعين لشدة

قبضهما ليس فيهما من الرطوبة الا اليسير ، وأما تلك الانواع
من التفاح فكلها ان طبخت عصارتها مع العسل صار منها
درب يبقى وان تركت وحدها لم يبق

وقال الرازى : التفاح مقولم المعدة موافق للمحرورين
الا انه بطيء الهضم وينفخ ولا سيما الفجح الحامض وكذلك
ينبغي ان لا يشرب عليه من يجرد منه ثقلا في معدته ماء
باردا ولا يأكل عليه طعاما حامضاً بل يشرب عليه الشراب
ويأكل امراق المطجنات

وقال الحكماء ان من خاصيته توليد النسيان ويكسل.
واذا اخذ اليسير منه نفع من الوسواس السوداوي . وأكل
التفاح يحدث الخلط في البراز وشمه يقوي الدماغ والنفس .
والله أعلم بالصواب

وفيه يقول الزين الخراط في جارية أهدى اليها تفاحة:
وعذراء أهديتُ تفاحة اليها فقالت تفكه بشاني
حديثي تفاحه سكريّ كفتحي وتفاح خدي جناني
واحسن منه قول صلاح الدين بن شاكر الكتبي :

وغادة تيمنى حبها تقول صف خدي بالاحمر
فقلت فضى غدا مخضبا قالت حديثي قلت ذا سكري
ومنه قول جلال الدين ابن خطيب داريا :

قالت العذراء لما شئت المنع بمنحى
هاك تفاح حديثي حلولا تطمع بفتحى

ومن محاسن صاعد الاغوي قوله :

تفاحة اذكرنى نصفها خد حبيبي يوم عانقته
ونصفه الآخر شبهته بلون وجهي حين فارقته
ومن نفثات ابن حبيب قوله :

وتفاحة فيها احمرار وخضرة

مضمخة بالطيب من كل جانب

تكامل فيها الحسن حتى كأنها

تورد خد فوق خضرة شارب

ومن مقاصد ابن نباتة قوله :

كرات عقيق في غصون زبرجد

بكف نسيم الريح منها صوالج

نقلبها طوراً وطوراً نشمها
 فهن خدود بيننا ونوافج
 وما أُرشق قول ابن رشيقي القيرواني :
 تفاحة شامية من كف ظبي اكحل
 ما خلقت مذ خلقت تلك لغير القبل
 كأنما حمرتها حمرة خد خجل
 ومن لطائفه قوله :

وتفاحة من كف ظبي أخذتها
 جناها من الغصن الذي شبه قده
 لها لمس ردفيه وطيب نسيمه
 وطعم لما فيه وحمرة خده
 ومن لطائف بشار بن برد :
 وتفاحة من خالص التبر نصفها
 ومن جلنار نصفها وشقائق
 كأن الهوى قد ردّ بعد تفرق
 لها خد مشوق إلى خد عاشق

ومن أغراض الصاحب بن عباد قوله :

ولما بدا التفاح أحمر مشرقا
دعوت بكأس وهي ملأى من الشفق
وقلت لساقبها أدرها فانها
خدود عذارى قد جعلن على طبق

ونقلت من خط جمال الدين ابى حسن على الخزر جى
قوله :

تفاحة محمرة قد بدت
يميلها الريح على غصن
كانها خدان قد جمعا
يلوح فيها طابع الحسن

ومن محاسن الشام الدراقن وهو أصناف بدمشق.
ويسمى في القاهرة الخوخ ولم يكن بها سوى الزهري
والمشعر فنذكر من أصنافه ما يحضرنا الآن بدمشق :
خواجكي ، رصاصي ، حمصي ، نيرباني ، لوزي ، لزيق ،

لقيس ، كلابي ، صالحى ، ختمى ، مظفري ، مسافري ،
 صوري ، زهرى ، لحم الجمل ، مجهول
 قال أبو حنيفة : شجره سريع الأخذ في الارض ،
 قصير المدة ، أنهى مكثه عشر سنين ، ويضمحل ثمره ،
 وتذشف شجره ، وله نوار احمر ينور من أصله الى آخر
 فرعه ، زهي المنظر

وفي زهره يقول محي الدين بن قرناص الحموى :
 مررت بأشجار الدراقن سحرة
 وقد رنحت اعطافه نسمة الفجر
 فشبهته لما رأيت احمراره

عيون مخامير أفاقوا من السكر
 قال جالينوس : في السابعة وفي نفس شجرة الخوخ
 المسمى بالدراقن بدمشق وقضبانها وورقها مرارة ولذلك
 متى سحق وضمد به السرة قتل الديدان التي بالجوف .
 وهو مع هذا يخلل . واما ثمرها فزاجها رطب يزد
 وقال في كتاب اغذيته : ان الرطوبة المستكنة في

هذه الثمرة وجرمها نفسه سريعا الفساد رديثان في جميع
 الخصال ؛ ولذلك لا ينبغي أن يؤكل الخوخ بعد الطعام
 كما جرت عادة بعض الناس لانه اذا طفا في المعدة فسد
 وقال ابن ماسويه : يولد بلغماً غليظاً سريع الفساد
 والعفونة في المعدة

وقال الرازي في (الحاوي) : الخوخ يشهي الطعام
 جيد للمعدة الحارة والعطش واللب منها ويزيد في الباه
 ويطفي الحرارة

وقال ابن سينا يشبه ان يكون زيادته في الباه للابدان
 الحارة اليابسة

وقال ابن الجوزي في (لقط المنافع) : الخوخ بارد
 رطب نضيج ينفع المعدة ويشهي الطعام ، غير أنه رديء
 الخلط سريع السلوك في فساد المعدة يصلح للشباب في
 البلاد الجنوبية ويؤكل بعده الزنجبيل المر

وقال الرازي في (دفع مضار الاغذية) : الخوخ ينفع
 المحموم وقت صعود الحمى الحادة اذا كانت غلباً خالصة

ويولد في الدم مائة يكمل استحالتها الى الدم بعقن ويهيج
الحميات بعد شهر أو شهرين كما يفعل الشمس الا ان
الحميات المتولدة من الخوخ اقوى نافضا واطول مدة والله
سبحانه وتعالى أعلم

وفي الخوخ الزهري يقول القيراطي :

حللنا بيستان به الدوح واقف

وجداول صافي الماء من تحته يجري

كان النجوم الزهر زهري خوخه

ولم أر مثلي شبه الزهر بالزهر

ومن محاسن العلائي الوداعي

وخوخة قد حكّت لونين خلتها

خدي محب ومحبوب قد التصقا

تعانقا فبدا واش فراعهما

فاحمر ذا خجلا واصفر ذا قرقا

ومن لطائف النصر الحملي قوله :

وخوخة يحكي لنا نصفها
 وجنة معشوق رآها الكئيب
 ونصفه الآخر شبهته
 بلون صب غاب عنه الحبيب

ومن محاسن الشام الآجاص ويسميه أهلها بالخوخ
 وهو أصناف : صيفي ، زجاجي ، قبرصي ، أسود ، عين البقر ،
 خوخ الدب ، خوخ الطعام ، أغبر ، شقير ، حاكي ،
 برقوق ، مجهول ، بذرة . وله نوار أبيض صغير دون نوار
 الكثرى

قال ابن ماسويه الآجاص يغذي غذاء يسيراً ويرطب
 المعدة بلزوجة ويبردها ويلين الطبيعة ويسهل المرة الصفراء
 ويسكن العطش . وهو صنفان أبيض وأسود فالأسود
 هو الآجاص على الحقيقة ، والأبيض هو المعروف
 بالشاهلوج وهو بطيء الانهضام وليس بمسهل كغيره
 وكلاهما بالشام

وقال ابن زهر : الآجاص رديء للمعدة ملين للبطن

واحسنه ما كان بدمشق فانه اذا خف كان جيداً للمعدة
ممسكا للبطن ويختار منه ما كان لحمي رقيق البشرة والكبير
الرخو القليل القبوضة وأرداه الصغير الصلب الشديد
العفوضة الابيض وغالب عليه الزرقة المعروف عند أهل
مصر بشقير

والبرقوق نوع منه صغير لكنه اذا نضج حلا
وقال ابن الجوزي : الآجاص بارد رطب المختار منه
الاسود الحلو الكبير يلين الطبيعة لكن خلطه غليظ
بطيء الانهضام يطلق الصفراء والحامض أشد اطلاقا
وينفع الصداع والشقيقة وينقص اليرقان وينفع الشباب
في الصيف بالبلاد الحارة . دفع مضرته معجون الورد أو
العسل . انتهى والله أعلم

وفيه يقول مصنفه البدری :

يا حسن آجاص اتي يحكي لعين البصر
اكراً بدت من فضة قد ضمخت بعنبر
وقال ابن المعتز فيه :

لقد شافني الآجاص لما رأيت
يميل مع الاغصان مع كل مائل
تطلعن من بين الغصون كأنها
فقاح زنوج تحت خضر الغلائل

وكل هذه الاصناف والالوان بالمرّة وارض اللوان . وبها
الدور الوسيعة الفناء ، المليحة الاساس والبناء . وفيها
أعيان الناس ، وهي الجامعة بين حسن الانواع والاجناس .
مع الهواء الصحيح ، والاعتدال بالترجيح . وبها سويقتان ،
فيهما سائر ما يشتهي من الالوان . ومصلى بخطبة وخطبة
بجامع جديد ، وفيها ضريح الولي المعتقد الشيخ سميد . أعاد
الله علينا من بركاته ، وأمدنا بصالح دعواته

ويتوصل منها الى قرية (كفر سوسة) وبها معصرة
زيت وأشجار زيتون من زمن عيسى عليه السلام ، مع
الفواكه الكبيرة بطريق الانضمام

قال ابن البيطار : الزيتون في السادسة وورق هذه
الشجرة وعيدانها الطرية فيهما من البرودة بمقدار ما فيهما

من القبض . واما ثمرتها فما كان منها مدركا نضيجا فهو حار
حرارة معتدلة وما كان منها غير نضيج فهو أشد قبضاً
وبرداً

وقال اسحق بن عمران : الزيتون الاخضر دابغ
للمعدة مقو للشهوة بطيء الانهضام رديء الغذاء . واذا
ردي في الخل كان أسرع انهضاماً وأكثر عقلاً للبطن .
واذا عمل بالملح اكتسب منه حرارة وكان الطيف من
المنقع في الماء . والزيتون اذا تمضمض به شد اللثة والاسنان
المتحركة . أما الزيتون الاسود النضيج فانه سريع الفساد
رديء للمعدة غير موافق للعين واذا تضمد به منع القروح
الخبیثة من أن تسعی في البدن والاسود ينقلب الى المرة
الصفراء وهو أسرع انهضاماً من الاخضر وورقه قابض
اذا دق وسحق وتضمد به نفع من النار الفارسية ومنع
الحمرة ان تسعی في البدن ومنع النملة والقروح الخبيثة
ويُنفع من الداحس والله أعلم . انتهى
وفيه يقول محمد بن دانيال :

كانما الزيتون حول النهر
 بين رياض زخرفت بازهر
 عقد زمرد هوى من نحر
 أو خرز خرطن من بازهر
 ومنها الى أرض المراز والشويكة وهي من محاسن
 الشام واليهما ينسب الرمان الشويكى
 والرمان أصناف : شويكى ، بردى ، ماوردى ،
 مليسي ، كوفى ، برجنيقي ، سعاقى ، شويخى ، مصري ،
 سلطاني ، محجر ، مطوق ، تدمري ، لقيط ، حصوي ،
 طقاطقي ، قطي ، مشبه ، حامض للطعام ، لفان ، رأس
 البغل ، مجهول

قال أبو حنيفة الدينوري : شجر الرمان معروف
 وله نوار أحمر كالازرار ثم يكبر ويفتح كقوالب السكر
 مشرقة الرؤوس بعضها ما هو مثنى والبعض مسدس
 وداخل هذا القمع نوار أصفر يعلوها ورق أحمر أرق بشرة
 من الحرير . وعند السامرة وعباد النار وغيرهم يسمى

بالمليح المهجور لكون الناس لم يعتنوا بزهره ولا
يحتفلون به كغيره

وفيه يقول الامير ابو فراس :

وجلنار مشرق على اعالي شجره

كان في رؤوسه احمره واصفره

قراضه من ذهب في خرق معصره

وقال ابن وكيح :

وجلنار بهي ضرامه يتوقد

بدا لنا في غصون خضر من الزرى ميد

يحكي فصوص عقيق في قبة من زبرجد

اخذه الصفدي :

وجلنار تبدى في غصنه يتوقد

كأنجم من عقيق سماؤه من زبرجد

ومن محاسن ابن دمرdash قوله :

لما بدا الجلنار في القضب

والطل يبدو عليه كالجب

كانما آكؤس العقيق به قد ملئت من برادة الذهب
قال ابن البيطار: الرمان في الثامنة وكله قابض الا
اليسير ، لان الرمان منه حامض ومنه حلو ومنه قابض
فيجب ضرورة ان تكون منفعة كل نوع بحسب الطعم
الغالب عليه . وحب الرمان اشد قبضا من عصارتة واشد
تجفيفا وقشره اكثر في الامرين جميعا وحينئذ الرمان الذي
تساقط عن الشجر اذا عقد كان اجود

وقال ابن زهر الرمان في الاولى كله جيد الكيموس
جيد للمعدة قليل الغذاء والحلو منه اطيب طعما من غيره
غير انه يولد حرارة ليست بكثيرة في المعدة ونفخا ، ولذلك
لا ينفع المحمومين ، والحامض انفع للمعدة الملتببه ، وهو
اكثر ادراكا للبول من غيره

وقال ابن الجوزي الحلو حار رطب وقيل بارد معتدل
جيده الكبار منفعته يلين الصدر والحلق ويصلح للسعال
والباه ويوافق للمعدة ويحدث نفخا . دفع مضرته بالرمان
الحامض يتولد منه غذاء صالح يصلح للامزاج المعتدلة

والسكحول في الخريف

والرمان الحامض بارد يابس لطيف قابض جيده
الكثير الماء ينفع للسكبد ويقمع الصفراء ويمنع سيلان
الفضول الى الحشا، خصوصاً شرابه . ويدر البول اكثر
من الحلوى لكنه يضر الصدر والصوت والمعدة ودفع مضرته
بالحلواء العسلية يصلح للامزاج الملهبة وللشباب في الصيف
ومن أكل ثلاثة اقلاع من الرمان بشحمه فانه دباغ للمعدة
وفيه فائدتان : الاولى انك اذا اردت معرفة الرمانة هل
حبها فرد ام ازواج تنظر الى تشريح قمعها ان كان فردا
فهى بالفرد وان كان الزوج فهى بالزوج . الثانية انك تطعم
الانسانا ببغض انسانا مائى حبة واربعاً وثمانين حبة رمان
حلو وتطعم المبعوض في ذلك الوقت بعينه مائتين وعشرين
حبة فانهما يتحابان الى المات . نقلته ممن جربه فصيح والله اعلم
ومن لطائف جمال الدين الشواء قوله :

من رام للرمان وصفا يقل مثل الذي قد قلت اعلانا
حبة نضار لم نزل مودعا فيه يواقيتا ومرجانا

وما أبدع كلام أمير المؤمنين المؤمنين فيه

رمانة ما زالت مستخرجا في الجلام من حقها جوهر
فالجلام أرض وبناني حيا يطار يا قوتا بها أحيا

ومن تشاييه ابي الحسن الجوهري فيه

وحبات رمان لطاف كانها

شوارد ياقوت لطفن عن الثقب

اشبهها في لونها وضافها

بقطرات دمع وردت من دم القلب

ومن محاسن كشاجم قوله :

ومحمة من بنات الغصون ويمعها ثقلها أن تميدا

منكسة التاج في رأسها تفوق الحدود وتحكي النهود

تنض فتفتر من مبسم كأن به من عقيق عقود

ومن محاسن ابن الرومي قوله :

ولما فضضت الختم عنهن لاح لي

فصوص عقيق في بيوت من التبر

قدرٌ ولكن ليس يدنيه غائص
وماء ولكن في محازن من حجر
ومن معاني ابن حمديس قوله :

قد لاح رماننا بروضته بين صحيح وبين مفتوت
من كل مصفرة مزعفرة تفوق في الحسن كل منعوت
كانها حقة فان فتحت فصرة من فصوص ياقوت
ومن عقود ابن لؤلؤ الذهبي قوله :

ورمان رقيق القشر يحكي نهود الغيد في اثواب لاد
اذا قشرته طلعت لدينا فصوص من عقيق اونجاد
ومن مخترعات علي بن سعيد الخيري الانصاري في
رمان معشوقه :

وساكنة في ظلال الفصوص ن بخدر ترووك افنانه
تضاحك اترابها عندما غدا الجوّ تدمع أجفانه
كما فتح الليث فاه وقد تضرع بالدم أسنانه
ومن محاسن الشام قرية (داريتا) وهي قبلى (الشويكة)
وبها السيدان الجليلان (ابو سايمان الداراني) و (ابو مسلم

الخلولاني) اعاد الله تعالى علينا من بركاتهما المتواترة وافاض
علينا من بحار علومهما الزاخرة

واليها يتشوق خطيب محاسنها الشيخ جلال الدين ابو
المعالى محمد بن احمد سليمان المعروف بابن خطيب داريا من
القاهرة المحروسة بقوله :

سقى الله من شرقيّ جامع جلق
منازل لايهوى سواها غريبها
منازل لولا السا كنون بها لما
تذكرتها يوما ولو فاح طيبها
يوما قل منها اذ رضيت ببعدها
نصبي ولكن قل مني نصيبها
وما لي الى الاوطان شوق وانما
هوى كل نفس اين حل حبيبها

واليها ينسب البطيخ الداراني

قال (الرازي) البطيخ الهندي وهو الاخضر يقوى
للتريط مستعد لان يصير بلغا حلوا ولذلك صار نافعا

لاصحاب حميات الفب والمحرقه

وقال (ديسقوريدوس) الخلط المتولد من البطيخ خلط رديء وكثيراً ما تعرض منه الهيمضة ويمين على ' القى وقشر البطيخ اذا استعمل عوضاً عن الاشنان كفا الزهومة وذهب برائحة الزفر واذا جفف قشره والقى في القدر مع اللحم الغليظ أسرع نضجه وهواه

وقال (ابن الجوزى) : البطيخ الهندي بارد رطب جيد للمائي الحلو ينفع الامراض الحارة ويسكن العطش ويسبىء الهضم دفع مضرته بالسكر يصلح للامزاج الحارة الصفراوية والشباب فى الصيف واذا اخذ من مائه فى سكر اوسكنجبين ادر البول وغسل المثانة والكلى وكان اكثر فى التبريد وينفع اصحاب اليرقان الحادث عن حرارة الكبد اذا شرب مع الطباشير والسكر وهو مصحح للاخلاط يضر المشايخ والكبد والطحال اذا كانت واردة والاكثر منه يولد الهيمضة وسوء الهضم وينبغى ان يتوقاه اصحاب المزاج البارد فان تناولوه اتبعوه بالعسل . انتهى والله سبحانه

وَتَعَالَى أَعْلَمُ

وفيه يقول تاج الدين الكندى وأجاد :

انظر الى البطيخ في تشقيقه

يحكى لدى التشبيه كل أنيق

صفائح بلور بدت في زمرد

مركبة فيها فصوص عقيق

ومن أَلغاز الصلاح الصفدى قوله :

ما رباعيّ حروف وهي خمس في البناء

كله نبت ولكن نصفه طائر ماء

ومن لطائف بلدينا الواواء الدمشقي قوله :

وذاق ريق ان ترشفته وجدته احلى من المن

اذا بدت في كف جلابها رأيتها في غاية الحسن

كسلة خضراء محتومه على الفصوص الحمر في القطن

وقل صاحب (مطالع البدور) البطيخ يغسل الطعام

غسلا، ويذهب بالاذى اصلا . وكانت ملوك الفرس تأمر

يرفع الحلوى ايام الرطب وبرقم الاشنان ايام البطيخ

والبطيخ الاخضر بدمشق اصناف . وهو داراني .
ومرجى نسبة الى المرج ، ودومي نسبة لقرية دوما ،
وحبشي ، وقبلي ، وعواميدي وهو المسمى بالنموس . انتهى
ومن محاسن الشام قرية (يَلْدَا) وهي من القبلة الى
شرقي قرية (عرييل) وما بينهما من القرى الجميع برسم
زراعة كروم العنب وعرائشه

وقال صاحب (معاياة العقل في معاناة النقل) التعريش
الرفعة لقوله تعالى « وهو الذي أنشأ جنات معروشات »
والعرش ارفع من السماء . انتهى

والعنب صنوف بدمشق . فمنها البلدي ، خناصري ،
عاصمي ، زيني ، ييتموني ، قناديلي ، افرنجي ، مكاحلي ،
بيض الحمام ، حلواني ، بوارشي ، جبلي ، قصيف ، ابراز
الكابة ، قشلميش ، كوتاني ، عبيدي ، شحماني ، جوزاني ،
دراقي ، مخ العصفور ، عرايشي ، رومي ، شبهي ، نيطاني ،
عصيري ، رناطي ، ورق الطير ، سماقي ، حرصي ، مجزعي ،
شعراوي ، دربلي ، قاري ، علوي ، عينوني ، موري ،

مشعر ، مسبط ، مرصص ، مخضر ، مقوس ، حمادي ،
تفاحي ، دهباني ، زردى ، منبرد ، محصل ، مغاربي ،
شحمة القرط

وقال (ديسقوريدوس) : الكرم في الخامسة وهو الذى
يعتصر منه الشراب وورقه وخيوطه اذا سحقا وتضمدا
بهما سكنا الصداع . والورق اذا كان باردا قابضا فانه اذا
تضمدا به وحده او مع سويق الشعير سكن الورم الحار
العارض للمعدة والالتهاب العارض لها . وعصارة الورق
تنفع الذين بهم قرحة الامعاء والذين يتقيأون الدم والذين
يشكون معدم والحوامل من النساء . وخيوط الكرم اذا
انتقعت بالماء وشربت فعلت ذلك . ودمعة الكرم وهى
شبيهة بالصمغ تجمد على القضبان اذا شربت مع الشراب
اخرجت الحصى واذا تلطخ بها ابرأت القوابي والجرب
المتقرح والذى ليس بمتقرح . وينبغي اذا احتيج الى
التلطix بها ان يتقدم بغسل العضو بالنظرون واذا تمسح
بها مع الزيت دائما حلت الشعر ، وخاصة الدمعة المجموعة

من قضبان السكر الطرية وإذا أحرقت ورشحت منها
 الدمعة كما يرشح العرق وهي التي إذا لطخت على التأليل
 المشمة مرميقيا^(١) ذهبت بها. ورماد قضبان السكر
 ورماد شجير العنب إذا تضمد به مع خل أبرأ المقعدة التي
 قد قلع منها البواسير وأبرأ من التواء العصب وقد ينفع من
 نهشة الأفعى وإذا تضمد به مع دهن ورد وسذاب وخل
 خمر نفع من الورم الحار العارض في الطحال

وقال ابن الجوزي في لفظة «العنب»: حار رطب
 والابيض احمد من الاسود والاكثر منه يصدع الرأس
 ومنفعته يسهل البطن ويسمن، وهو قريب من التين في
 فضله على سائر الفواكه. مضرته يعطش ويرخي المثانة.
 دفع مضرته بالزمان الحامض يتولد منه دم جيد يصلح
 للمشايخ والامزاج الباردة في الخريف وفي البلاد الشمالية
 والحصرم ينفع المحرورين ويطبخ منه طعام لذيد
 وفي اللغة قال الحصرم ثمر السكر قبل الحلاوة والميم

(١) كذا في الأصل. وفي مفردات ابن البيطار «مرمعا»

فيه زائدة مأخوذ من الحصر وهو المعجز عن النطق ، أو
من الحصر الذي هو احتباس الباطن وبه سـحـي الرجل
البخيل لمنعه ما في يده وتشديده . والحصير الملك سمي بذلك
لامتناعه عن الاعين أو عن الضيم . قال الشاعر :

وقمام غلب الرقاب كأنهم

جند لدى باب الحصير قيام

وسميت جهنم « للكافرين حصيرا » لمنعها من فيها
أو لتمنعها هي في نفسها قال تعالى « وجعلنا جهنم للكافرين
حصيرا »

فالحصرم طبعه البرد واليبس ولذلك قبض الاجسام
ومنع المسام من اخراج ما فيها من الفضل . انتهى كلام
(معاينة العقل)

وفيه يقول الطغرائي وابدع :

ترى الثريا من عناقيدها تلوح في أخضر كالغنيهب
كم درة فيها وم كم لؤلؤ^(١) صميحة التدوير لم تنقب

(١) في ديوان الطغرائي « كم سبج فيه وم كم جرة »

واستعار هذه الثريا لعرشة ابن تيم فقال :
 نفى عني الهجيرَ ظلالُ كرم
 وأمتعني ونزه ناظرِيا
 ولاحت عرشة فرأيت منها
 سماء كل أنجمها ثريا
 ومن لطائف الصاحب ابن عباد :
 وحية من عنب قطفتها
 تحسدها العقود في الترائب
 كأنها من بعد تمييزي لها
 لؤلؤة مثقوبة من جانب
 ومن تشابيه ابن المعتز قوله :
 وحية من عنب من جنةٍ متخذة
 كأنها لؤلؤة في وسطها زمرده
 ومن محاسنه قوله في العنب الأبيض :
 شربت حميا الكرم تحت ظلاله
 على حسن محبوب الشماثل أغيد

كأن عناقيد الكروم وظلها

كواكب در في سماء زبرجد

ومن أغراضه قوله في العنب الاسود :

حتى اذا حرمرى جاء مرحلة^(١)

بفاتر من هجير الجو مستعر

طلت عناقيدها يخرجن من ورق

كما اختفى الزنج في خضر من الازر

وقال ابن الصائغ في العنب العاصمي :

وعاصمي قد غدا طعمه

أدوى من الماء لدى الحائم

أورث خلي أكله هيضة

فأعجب له من مسهل عاصمي

وقال ابن الرومي في العنب الرازي :

كأن الرازي وقد تناهى وباهت بالعناقيد الكروم

قوارير بماء الورد ملأى تشف ولؤلؤ فيها يعوم

وتحسبه من الشهد المصفي إذا اختلفت عليك به الطعموم
فكل يجمع منه ثريا وكل مفرق منه نجوم
وقال محمد بن عبد الله المحسن الكفرطابي في الاسود:

جاءنا منك تحفة نحن منها أبداً في تضاعف السراء
غنب اسود كأن عليه حلالاً من حنادس الظلماء
خلته في خلال أوراقه الخضر لون اسوداده للصفاء
كقموع على أنا مل خود لحن من كم غادة خضراء
ونقلت من خط التقوى ابن حجة ملغزاً في الكرمة:

عنا قيد على قضب تدلت
حكى منظومها عقد اللآلى
إذا عصرت ترى في الكأس منها
دواء قد تركب من دوالى

البرهان البهنسي قوله :

اخبروني عن فاضل بأصول
وفروع يسمو على كل فاضل

اسبغ الله ظله فهو ظل
 سابغ وافر مديد وكامل
 وأبو محجن يقول ادفنوني
 تحته ان أتاني الموت عاجل
 كم الينا قد مد كفاً نديا
 صير العيش أخضراً في المنازل
 نقطة الطل فوقه أوضحته
 عند توقيعه بها به وهو عاطل
 ما تبدى لنا بعين ولكن
 حرفته وصحفته الافاضل
 فرأينا للترك فيه اسم عين
 بفتور الاجفان جاء يغازل
 ان تذكره حرف الكل يبيدي
 كرماً والندی من الكف هاطل
 أوتؤنثه يقبل الهاء في الحاء
 ل ومن بعد ذا يرى هو حامل

ويقل شطره لمن عاب منه
لكم بالعكس عندي حاصل
فيه حلو وفيه مرٌّ ويبدو
عند تحريف عكسه التماثل
وبلا أول يرى فعل أمر
واقاب الفعل منه فالأمر حاصل
هو خشب مسندات ولكن
حال يجلى يبدو رقيق الغلائل
ومن الغمر جسمه الغضّ يدمى
وتراه من بعد ذا وهو ذابل
وإذا ما فرطت فيه تراه
لم يحل عنك وهي نعم الخصائل
ذو بياض وحمرة وكذا لي
فرحاً من راحٍ سرت في المفاصل
فتراه يوماً عقود عقيق
نظمت سلكها بغير أنامل

وتراه يبدو عقود حمان
ما لها غير ثغر حي مماثل
وتراه طوراً سلافة راح
ولدر الحباب فيها حواصل
وعلى عوده يغني علينا
اعجمي به تهيج البلابل
لك منه فواكه وشراب
كل عصر اليك تلقاه واصل
وحلاواته بها كل قلب
كسروه والقلب للكسر حامل
وصله في مصر قليل ولكن
هو بالشام لا يزال مواصل
وتراه بذات عرق مقبلا
في نعيم وظله غير زائل
واذا قلت في المخيم بالغو
ر رأيناك فيه أصدق قائل

ولقد جاءنا بعنب لطيف
 عند تصحيفه لمن هو هازل
 كيف لا والكتاب عن حبيته
 قد أتى مخبراً بتلك الفضائل
 فتفكك من حبه في قطوف
 دانيات لكل آت وراحل
 واقم تحت ظله فهو لغز
 ظله ظاهر على كل قائل
 ثم دم في الانغاز بالحل والعقد
 غنيا اذا أتى اللغز سائل

وزيبيه حار والحامض منه بارد. قال أبو حنيفة
 الدينوري الزبيب جفيف العنب خاصة، ثم قيل لما جفف
 من سائر الثمر قد زبب الا لتمر فانه يقال تمر الرطب ولا
 يقال زبب والزبيب هو العنجر

وقال جالينوس تنطج وتحلل تحليلًا معتدلاً وهو في
 السادسة. وعجم الزبيب يحفف في الدرجة الثانية ويبرد في

الدرجة الاولى وجوهره جوهر غليظ ارضى كما قد تعلم
ذلك من طعمه اذ كان يوجد عيانا وهو يسكن ما يكون
في فم المعدة من التلذيع اليسير

وأفضل أنواع الزبيب اكثره لحما وارقه قشراً
وبعض الناس يميل الى الزبيب الكبير الحلو فيخرج عنه
عجمه قبل أن يأكله والفاعل لذلك محسن في فعله
والكشمش هو الزبيب الصغير الذي لا عجم له وهو اجود
وقال صاحب (لقط المنافع) الزبيب صديق المعدة
والكبد ينفع الكلى والمثانة ووجع الامعاء ويحد الزهر
وينفع من قد اجتمعت في بدنه اخلاط بلغمية فاسدة الا
أن مضرته احراق الدم ، ودفعها بالخيار الاخضر ، ينفع
الامزاج الباردة والقابض منه قليل اللحم يقوى المعدة
ومن أراد حبسه اكل الزبيب القابض بعجمه

وبالاسناد الى النبي ﷺ قال « نعم الطعام الزبيب
يطيب النكهة ويذهب البلغم » . وقال امير المؤمنين
المنصور « كلوا الزبيب واطرحوا عجمه فان في عجمه داء

في شحمه دواء « هكذا حدثني أبي عن أبيه عن جده عن
 بن عباس رضي الله عنهما أنه أمره بذلك . فتنبه والله أعلم
 ويعمل من ماء العنب الدبس والملبن . قال الرازي في
 (دفع مضار الاغذية) الملبن غليظ مولد للسدد والقولنج
 بطيء الحركة والنزول رديء في أكثر أحواله واجتنابه
 أصح ، اللهم الا ان يكون الانسان جائعاً . واصلاحه
 بالفانيد ، ويسرع نزوله . وينبغي ان يحذر من به غلظ
 في كبده وطحاله ويعتريه الحصى في كلاه ، وليس بضار
 للمصدر والرئة . انتهى

قلت وبين هذه الكروم المذكورة قطع اراض جميعها
 أصول (لوز) ليس لها نظير في أيام تنويرها وهي من
 محاسن الشام

قال ابن زهر : اللوز له نوار ابيض وأحمر يقال ان
 الاحمر ثمرته مرة . وفيه يقول الامير مجير الدين محمد بن تميم :

خرجنا للتنزه في بقاع

يعود الطرف عنها وهو راض

ولاح الزهر من بعد فخلنا
ضبابا قد تقطع في اراض
ومن محاسنه قوله :

يا حسنها دوحة باللوز حالية
يبدو اعينيك منها منظر عجب
كانها قبة بيضاء قائمة
على عمود ولكن مالها طنب
ومن لطائفه قوله :

بروحي من ابصرته متنزها
بروض نضير وشعته الغمام
وقد نثرت من فوقه الدوح زهرها
كما نثرت فوق العروس الدراهم
ومن مقاصده قوله :

روض تحلى بالنبات فماله وحسنه الا السماء نظير
والزهر مثل الزهر تحسب أنها فيه إذا هب النسيم تنير
ومن بدائمه قوله في الزهر على النهر :

ولما نثرنا الزهر في النهر وانبرت
تجمده أيدي الصبا والجنائب
حسبنا سماء قد تجمد غيمها
ولاحت خلال الغيم زهر الكواكب
وقال :

أبدت غصون اللوز من زهرها
ما كان في الأكام مستورا
ظلمت يومي كله مفكراً
في عنبر أعشب كافورا
ومن مخترعاته :

يا حسن منعطف الحديقة أذبت
تجلو لزارها سنى نوارها
وكأنما حسد النسيم رياضها
فاذاع ما كتمته من أسرارها
ومن أغراضه البديعة قوله

لما أتينا اللوز لم يبعث لنا
 نشرًا وطال مخافة ان يجتني
 فشكوته للريح فاستلبته من
 اعلى الغصون وفرقة بيننا
 ومن مجونه قوله :

فديتك زهر اللوز جاء مبشرًا
 بفضل على شرب المدام معين
 فقم نجتلي بنت الكروم ونجتني
 كواكب زهر من سماء غصون
 وقال ابن فضل الله فيه مع ورقه :

ويا رب زهر أبيض بين أخضر
 تتيه على كل الرياض رياضه
 كاثقاب نقش اخضر فوق معصم
 صقيل تجلى بينهم بياضه
 ومن النكت البديعة قول ابن نباتة :

أهلا بسائرة الصبا من نحوكم
 وبما عهدنا من تعاهد طولها
 أملت على الزهر المقطب ذكركم
 حتى تبسم ضاحكا من قولها
 ونقلت من خط الزيني ابن الخراط قوله :
 وروض به ثغر الازاهر باسم
 وطرف الحيا من ضحك نواره باكي
 فلا تحسبوا برق الغمامة باسم
 هو المبسم الحالي ولكنه الحالي
 ومن لطائفه قوله :

مررت على دوح ينوح حمامه
 ودولابه يبكي على شاطئ النهر
 فقلت على ما أنت باك ودائر
 فقال على ما ضاع من نشر الزهر
 ومن ملحه قوله :

وروضة قال لنا نهرها معاتباً إذ رقّ للشارب

كون في خدمتكم جاريا ويضحك الزهر على شارب
 وأنشدني شيخ الادب العلائي المليك :
 باكر الى زهر الرياض واسقتي
 كاس الطلا والراح دوح الانفس
 أو ما ترى نصب الريح خيامه
 في الروض فوق مطارف من سندس
 وأنشدني أيضاً :
 بادر الى الزهر في عرس الرياض ضحى
 فالورق غنت على العيدان في الورق
 والريح شبب والاعصان راقصة
 والزهر تنثر اوراقا من الورق
 ويعجبني في الزهر على النهر :
 لم لا أهيم الى الرياض وطيبها
 وأظل منها تحت ظل صافي
 .. والزهر يلحظني بشعر باسم
 والماء يلقاني بقلب صافي

ومن تحرير القيراطي قوله :

سقيًا لاقطار الشأم فكم من أنجم في روضها نجمت
واذا السماء بارضها نزلت طلعت زهور نجومها وسمت

وقال محيي الدين بن قرناص :

قد أتينا الرياض لما تجلت وتحلت من الندى بجمان
ورأينا خواتم الزهر لما سقطت من أنامل الاغصان
وقال أيضًا :

مال القضيبي بروضة من سكره

لما سقاه عقاره آذار

حتى اذا سرق النسيم دراهمًا

من كنه صاحته به الاطيار

وقال أيضًا :

هلم يا صاح الى روضة قد نمت ازهارها السحب

الزهر فيها شيق مغرم وجدول الماء بها صب

وقال بدر الدين بن لؤلؤ الذهبي :

هلم يا صاح الى روضة يجلوها العاني صداهمه

نسيمها يعثر في ذيله وزهرها يضحك في كفه
ومنه قول أحمد بن أبي صالح فيه :

بادر اليها يانديمي روضة قد وشحتها انمل الغمام
غنت على العود مطوقاتها فزهرها يرتص بالاكمام
وما أبدع قول يحيى بن هذيل :

نام طفل الزهر في حجر النعما لا هتزاز الظل في زهر الخزامى
وسقي الوسمي اغضان النقا فهوت تلثم افواه الندى
وقال ابن قريظ :

لقد عقد الربيع نطاق زهر يضم لغصنه خصرأ نحىلا
ودب مع العشي عذار طل على نهر حكى خدأ اسىلا
وقال ابن مليك الحموي :

كأن زهر الربى والطل بلله

تغر بدا باسما يفتر عن شنب

أولا فكأس لجين ملؤه ذهب

مكلل من عقود الدر بالحب

وقال المعوج الشامي في ازداره قبل تفتيحه :

حقائق من النوار مزروعة العرى
 على قطع الياقوت والؤلؤ الغض
 فتحن على الاغصان اجفان فضة
 وبالأس كانت مطبقات على الغمض
 وقال الشيخ ادريس وقد طلع باخوانه الى الزهر :
 واخوان صدق قد أناخوا بروضة
 وليس لهم الا النبات فراش
 نخلتهم والنور يسقط فوقهم
 مصاييح تسرى نحوهم فراش
 وقال العلاني بن أسد في غلام يتفرج في النزهة :
 سلطان حسن أفنديه بناظري وأعيمده من نزعة الشيطان
 يوما بزهر اللوز لما زارني قضيت ذاك اليوم بالسلطاني
 وقال عفيف الدين بن محبوب المغربي في غلام بات
 تحت شجرة :

وليلة بات بدري [تحت] انجمها
 من العشاء نديما لي الى السحر

يحبو بوَرد وِورد طول ليلته
 من خده ولماء العاطر الخضر
 حتى اذا اسكرتني خمر ريقته
 غنى فاغنى عن المزمар والوتر
 ما العيش الا ارتشاف الراح من شذب
 يغني عن الراح من سلسال ذي أثر
 فأنشأت بنجوم الليل ترجنا
 سماؤها غيرة منها على القمر
 فظلت من وجه من أهوى ودارتها
 وثغره والذي يهوى من الزهر
 ما بين بدرين مكتوم ومشتهر
 وبين درين منظوم ومنتثر
 ومن المعاني البديعة قول السلاحي :
 نسبُ الرياض الى الغمام شريفُ
 ومحلمها عند النسيم لطيف

والارض طرس والرياض سطوره
والزهر شـ كل بينها وحروف
وكأنا الدولاب ضل طريقه
فتراه ليس يزول وهو يطوف

وقل ابن لؤلؤ الذهبي في مشيب الزهر :
ما نظرت مقاتي عجيباً كاللوز لما بدا نواره
اشتعل الرأس منه شيباً واخضر من بعد ذا عذاره

وقال الشاب الظريف محمد بن العفيف :
أئن شاب زهر اللوز طفلاً وقلتم
بان مشيب الطفل ليس يجوز
فلا تعجبوا أن شاب في غير وقته

فكم نفخت يوماً عليه عجز
واللوز بدمشق أصناف : منه الجبلي ، قسطاسي ،
عرييلي ، عقابي ، بندقي ، شحمي

قال مسيح [بن الحكم] : إذا أكل اللوز العاقد بقشره
الاخضر الطرى دبغ الائمة والفم وسكن ما فيهما من الحرارة

بالبرودة والعفاسة والحموضة التي في قشره الخارج قبل أن يصلب ويشتد . وإذا أكل اللوز القلب الأخضر من غير قشر وهو طري أصلح المعدة وجلا الاعضاء الباطنة وتقهاها وأعان على قذف الرطوبات

وقال جالينوس : في السادسة والمر في الدرجة الثالثة . فالحمو قوته قوة ملطفة يفتح السدد الحادثة في الكبد عن الاخلاط الغليظة ، ويجلو النمش ، ويعين على نفث الدم والاخلاط الغليظة المزجة في الصدر والرئة ، ويشفي الاوجاع الحادثة في الاضلاع وفي الطحال وفي الكليتين والقوانج ، ويؤخذ من أصل شجرة اللوز فيطبخ ويوضع من خارج على الكلف فيدهنه

وقال ابن الجوزي : اللوز الحلو حار رطب يسمن ويقوي البصر ويفتح السدد خصوصاً المر . وإذا أكل بالعسل أو السكر أسرع الانحدار ، وخلطه لطيف ، وينفع أصحاب السعال ، وسويقه ثقيل . واللوز المر حار يابس يزيل الكلف والآثار والنمش

وفي اللوز الاخضر يقول ظافر الحداد :
 جاء بلوز أخضر أصغره ملء اليد
 كأنما زبيـيره نبت عذار الامرء
 جواهر لـكنما ال اصداف من زبرجد
 وقال القاضي السعيد هبة الله بن سنا الملك في اللوز
 الذي بقلبين :

ومُهدِ اليـنا لوزة قد تضمنت
 لناظرها قلبين فيها تلاصقا
 كأنهما رِجبان فازا بـخلوة
 على غفلة من حاسد فتعانقا

ونقلت من خط الرضى المرتضى محب الدين الزرعي قوله :
 قم زوج الصهباء يا ابن السما ولو لحاك العاذل الفاسد
 أما ترى الورد أتى شاهداً والـلوز في أغصانه عاقد
 ونقلت من خط ابن حبيب الحلبي قوله وهو المقدم :
 تزويج بنت الكرم بابن المزن قد
 نظمت فـلائده فقم يـراقـد

فالطير يخطب والزهور شهوده

واللوز ما بين السكائم عاقده

ومن محاسن الشام (مرج الشيخ رسلان) أعاد الله

علينا وعلى المسلمين من بركاته ، واجرى علينا من صالح
كراماته . وفيه أقول :

يا من غدا قلبيه قاسيا قم لولي صادق البرهان

وقف بذل وانكسار وقل بمدمع يا سيدي رسلان

وهو يشتمل على أنهار وأشجار ونواعير لها مع النسيم

رشاش ، وغالب تلك الاراضي ترزع الخشخاش

وفيه يقول الموصلي :

وزهر خشخاش بدا احمرأ كانه في رونق وابتهاج

اقداح بلور وقد اترعت من خمرة لم تختلط بالمزاج

ومن تشايه ابن دمر داش قوله :

ولما بدا الخشخاش في الروض مزهرا

وقد نظرت شرزاً اليه الحقائق

حكى قلعة ابراجها مستديرة

مشرفة دارت عليها الصناحق

وقال منشئه البدرى :

خشخاشنا الناشف في قشر له لما حضر

حكى دبايساً أنت حملاً بايد للتر

والخشخاش بارد يابس ابيضه اصلح من اسوده يجلب
النوم ويمنع النزلة وينفع السعال الحار والنوازل الى الصدر
ومن نفث الدم ورطوبات المعدة خلطه غليظ وانفع ما اكل
بالسكر أو العسل والاسود رديء مخدر يورث السبات الا
ان اجود الاسود المصري وهو ينقي الصدر . والله سبحانه
وتعالى أعلم

ومن محاسن الشام (الوادي التحتاني) وهو شرقي
(مرج الشيخ) وهو يشتمل على غياض ورياض ، فالرياض
هى رياض السفرجل وفيه يقول القيراطي :

فؤادي الى بانات جلق مائل ودمعى على انهارها يتحدر
فوافى الى زهر السفرجل شيقاً اذا مابدا مثل الدراهم ينثر
غياض يفيض الماء في عرصاتها فتزهو جبالا عند ذاك وتزهو

ترى بردى فيها يجول كأنه وحصباؤه سيف صقيل مجوهر
ومن رقيق شعر يحيى الخباز قوله :
زهر السفرجل بالجميل رأيتـه

قد فاق زهر اللوز في الاوصاف

هذاك ينثر للنديم دراهما

ونثار ذا بخفايف الانصاف

وهنا نكته لطيفة وهو ان الشيخ جمال الدين محمد
ابن نباتة قدم الى دمشق في ايام السفرجل فاضافه الشيخ
جمال الدين يوسف بن غانم في (الوادي التحتاني) لاجل
رؤية زهر السفرجل فصادف نهار حار وقيظ شديد فانشد
الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة المصرى :

قد اشبه الحمام منزل لهونا فالماء يسخن والازاهر تخلق
فلذلك جسمي منشد ومصحف عرق على عرق ومثلي يعرق
فاجابه الشيخ جمال الدين يوسف بن غانم يقول :

ما اشبه الحمام منزل لهونا الا المعنى راق فيه المنطق
فالدوح مثل قبابه والزهر كالجامات فيه وماؤه يتدفق

ومن الفوائد ان ازهار الفواكه لم يؤكل منها سوى
 زهر السفرجل لحلاوته وعطريته . وهو اصناف بدمشق :
 برزى . قصبي . سامى . صينى . رقى . عباسى . تفاحى .
 ابو فروة . مجهول

قال ابن الجوزي : السفرجل بارد يابس ويقال رطب
 جيده البالغ الكبار ، يسر النفس ويدبغ المعدة ويقبض
 ويقوى ويمنع سيلان الفضول الى الاحشاء ويدبر البول
 غير انه يحرك القوانج ان اكل قبل الطعام وان اكل بعده
 لين . ودفع مضرته بالرطب المعسل . والسفرجل المشوي
 اخف وانفع وطريقته ان يقور ويخرج حبه ويجعل فيه
 العسل ويطين خرمه ويودع الرماد . يتولد عنه خلط بارد
 وتوافقه الامزاج الصفراوية . وأما السفرجل فأشد تقوية
 للمعدة وأقل حبسا للطبيعة وكثرة اكله تولد وجع العصب
 وحبه ينفع من خشونة الحلق ويلين قصبة الرئة ولعابه
 يرطب يابسها

وبالاسناد عن طلحة بن عبيد الله قال : اتيت النبي

عليه السلام وهو في جماعة من أصحابه ويده سفر جلة يقبلها أو قال يقبلها^(١) فلما جلست إليه وجاء بها نحوي قال « دونكها إيا محمد فانه يشد القلب ويطيب النفس ويذهب بطخاء الصدر » وقال ابو عبيد الطخاء أي سحاب وظامة

وفي حديث آخر انه قال عليه الصلاة والسلام « اذا وجد احدكم طخاء على قلبه فليأكل السفرجل » وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله عليه السلام « كلوا السفرجل على الريق » انتهى

وفيه يقول ابن تيميم وأحسن :

حاز السفرجل أوصاف الوري فغدا

على الفواكه بالتفضيل مشكورا

كالراح طعما وشم المسك رائحة

والتبر لونا وشكل البدر تدويرا

ومن أوصاف الطغرائي قوله فيه :

وسفرجل عني المصيف بحفظه
فكساه قبل البرد خزاً أصفرا
يحكي نهود الغانيات وتحتها
سرد لهن حشين مسكا أذفرا
ومن تشابه الصنوبري قوله :

لك في السفرجل منظر تحظى به
وتفوز منه بشمه ومذاقه
يحكي لنا الذهب المصفي لونه
وتزيد بهجته على اشراقه
والشكل من أعلاه يحكي سفله
ثدى الكمام الى مدار نطاقه
والشكل من سفلاه يحكي سره
من شادن يزهو على عشاقه

وقال بعضهم :

حكي سفرجل دوح حوى جميع المعاني
كأنه حين يبدو على ذرى الاغصان

رءوس أطفال روم لطنخ بالزغفران
 وأما الغياض فهي غياض الحور ، وهو في علو السواري
 خالص الاعتدال ورقه بوجهين أخضر وأبيض له مع النسيم
 حفيف لطيف بساق أبيض صقيل ترتاح الانفس اليه
 وفيه يقول شهاب الدين المنصوري :

كأن الغصون المائلات عرائس
 تثنين عجا في ملابس اطلس
 كأن قدود الحور حور وقد غدت
 تشمر عن ساق لدى الحوض املس

وبه (غريضة السلطان) وحورها لا يستطيع الانسان
 أن يدخل فيما بينه لانضمامه ولثلا يضل عن الطريق كأنه
 سكب بقوالب من الشمع

وبهذا الوادي متنزه يقال له (ست الشام) وهو
 مرجة خضراء ما بين هذه الغياض وبها عين تجري بماء
 بارد عذب

ابن حجة :

نقول (ست الشام) لما غازت بعينها فأعشت حياتي
 وانشقت بمرجها وأبرزت ثراً حلاً لانه نباتي
 خذني بغير ضرة فاني بديعة في الحسن والصفات
 واستجلني عروسـة يتيمة شامية وعش بلا حـاة
 ومن محاسن الشام . . . وأوله منتهى (الوادي
 التحتاني) وآخره (البحرة) يقال انه يشتمل على ثلاثمائة
 وستين قرية تزرع الغلة والحبوبات وفي الغالب الشعير
 وفيه يقول ابن ظافر الحداد :

كأن سنابل حب الحصيد وقد شارفت حين إبانها
 كنايةس مظفورة ربعت وارخي فاضل خيطانها
 ومن محاسن السلاحي قوله :

يا حبهذا سنبله تبدو لعين المبصر
 كأنها سلسله مظفورة من عنبر

و (البحرة) اليها ينصب ما يفضل من مياه أنهار دمشق
 ومنها صيدها من السماء والماء من الطيور والاسماك صيفا
 وشتاء

ومن محاسن الشام (ضمير) وهي من القرى القديمة
اتخذها اليونان

واليها ينسب البطيخ الضميري الاصفر ومن اصنافه
السمرقندي ، والسلطاني ، والشمام

والبطيخ مشتق من التبطنخ واسترخاء الجلد ولين
الجسم تحت يد الغامز . ويقال فيه طبيخ وهي لغة فصيحة لانه
من الطبخ وهو النضج الذي لا يتهياً له التماسك وقد يكون
لافراط الرطوبة المفسدة لجوهر الجسم ، قاله صاحب
(معاياة العقل في معاناة النقل) انتهى

وقال (جالينوس) البطيخ الاصفر في الثانية النضيج
وجوهره جوهر لطيف وغير النضيج جوهره جوهر
غليظ وفيهما جميعا قوة تقطع وتجلو ويدران البول ويصفيان
ظاهر البدن وخاصة ان عمد الانسان الى بزرها فجففه ودقه
ونخله واستعمله في الحمام ومعك به بدنه

وقال (ديسقوريدوس) قشره اذا وضع على العين
سكن ورمها وان وضع على نوافيخ الصبيان نفعمهم من

الثورم العارض في ادمغتهم . وبزر البطيخ اجلى من لحمه حتى
انه يتفحم الكلى التي يتولد فيها الحصى . واخلط المتولد من
البطيخ خلط ردي .

وقال (ابن الجوزي) في لفظة «رطب» يفتت الحصى
وهل هو حار ام بارد فيه قولان ، جيده السمرقندي ،
منفعته يجلو البشرة ويقطع الكلف والبهق الرقيق عن
الجلد . وبزره اقوى جلاء من جلده . مضرة يرخى الجسد
ويولد الربح ، رفعها بالسكنجبين الصرف . يصلح للامزاج
المعتدلة والكحول في الخريف . وأضر ما اكل على الجوع
لا سيما اذا نام الانسان عقبه على الجنب الايمن والمشي بعده
صالح ، واذا اكثر منه ولد هيضة لانه سريع الفساد في
المعدة سريع الاستحالة الى ما يصادفها

وقال (أرسطو) : اذا فسد في المعدة البطيخ كان
شبيه السم فليتناياه ، وبزره الشربة منه ثلاثة دراهم ، فانه
يزيد في الباه .

وبالاسناد عن امية بن زيد العبسي ان النبي ﷺ كان

يحب من الفواكه العنب والبطيخ
 (فائدة) عن أبي مسهر قال : كان أبي إذا بعثني أشتري
 البطيخ قال يابني اعدد الخطوط التي فيها فان تك فردا تخليق
 بها أن تكون حلوة
 وفيه يقول المشد :

ياحسن اصفر بطيخ مذاقته كالشهد ضيف بما ورد وكافور
 مثل الدنانير في لون وفي زنة وفي خشونة حبات وتدوير
 ومن بديع الابيوردي قوله فيه :

من رأى اثباح تبر مائت من ريق نحله
 فاجتليناها بدورا وقطعناها اهله
 ومن تفنن أبي طالب بن عبد السلام بن أكبر
 المأموني :

مخططة مثل الا كف كأنها
 من الجزع كبرى لم ترض بنظام
 لها حلة من جلنار وسوسن
 مغمدة بالأس غب غمام

تمازج فيها لون حب وعاشق

كساة الهوى والبين ثوب سقام

وابدى لها التحزين تخضيب كاعب

غلامية ذات اعتدال قوام

رياضية مسكية عسلية

لها لون ديباج وعرف مدام

إذا فصلت للأكل كانت أهلة

وان لم تفصل فهي بدر تمام

والبطيخ المخطط الأصفر وهو المسمى في الشام

بالشمام وفي مصر يسمونه الالفاح وهو نوع صغير مستدير

مخطط بحمرة وصفرة على شكل الثياب العتابي وهو في

طبعه ومزاجه متوسط بين البطيخين إلا أنه أقل وطوبة

من البطيخ الهندي وأغلظ من البطيخ الخفيق ورائحته

باردة طيبة مسكنة للحرارة جالبة للنوم ، ولأجل ذلك

ظنت عامة المصريين انه نوع من الالفاح الذي هو ثمر

اليربوع . والله تعالى أعلم

وفيه يقول كشاجم :
 للأنف والعينين في يربو حه لون المحب وعطرة المعشوق
 صفراء طيبة النسيم كأنها بلورة محشوة بخلق
 ولأبي طالب فيه :

ومصفرة فيها طرائق خضرة

كما اخضر مجرى السيل من صيب المزن

كحقة عاج زينت بزبرجد

حكمت قطع الياقوت في غلف القطن

وقال ابن المعتز في اللقاح :

انظر الى اللقاح في شكله وحسنه المبدع النقش

مثل عروس خضبت كفها لم تعلق الحناء بالغش

وقال فيه ظافر الحداد :

اهدى الى الطي الفاحة قد ضمغت بالمسك والعنبر

كأنها اللقاح في كفها سبيكة من ذهب أحمر

ومن محاسن الشام (برزة) وهي من متزهات

دمشق التي يرحل اليها وهي شمال حمير وبها مقام نبي الله

ابراهيم الخليل عليه السلام وقد تقدم سبب تسميتها برزة^(١)
وما أحسن قول الشيخ محمد بن نباتة :

طاب مقام الراء مع شادن برزت الميش به برزه
وساعدتني الراح لما انثى ولان بعد المنع والعزه
فيالهيأ من ربوة خلفه قد أطلعني فوقها المزه
ولليها ينسب التين البرزي والتين أصناف : وهو
مزي ، برزي ، ماسوني ، رومي ، بلمبكي ، كعب الغزال ،
غريب ، طيفور ، شتوي ، جبلي ، جفيراني ، ملكي ،
عسيلي ، مكتب ، مجهول ، ورق الطير

قال (ديسقوريدوس) : التين يجلب العرق ويقطع
العطش ويسكن الحرارة . واليابس منه مغذ مسخن
ومعطش ملين للبطن ، ليس بموافق لسيلان المواد الى
المعدة والامعاء وموافق للحلق وقصبة الرئة والمثانة والحلى
ومن به ربو والذين تغيرت ألوانهم من أمراض مزمنة
والذين يصرعون والمجانيز

وقال (جالينوس) في الثامنة وأما التين اليابس فقوته حارة في الدرجة الاولى عند انقضائها وفي الثانية عند مبدإها وله لطافة وبهاتين الخصلتين صار يفي بانضاج الاورام الصلبة ويحللها وقد ينبغي اذا قصدت في استعمالك اياه أن تخط معه الحنطة في الانضاج ودقيق الشعير للتحليل . والتين اللقيم أكثر انضاجا والماء الذي يطبخ فيه التين طبخاً كثيراً فانه يصير شبيهاً بالعسل في قوامه وقوته معاً والتين الطري قوته ضعيفة بسبب ما يخالطه من الرطوبات والنوعان جميعاً من اليابس والطري يطلقان البطن . وأما التين البري فقوته حارة محله ، وكذلك التين البستاني اذا لم ينضج ، ومزاج شجرة التين حار كما يدل عليه عصارة ورقه فان كل واحد من هذين يسخن اسخانا شديداً وكل واحد منهما يلذع ويجلو جلاء قوياً ويحدث في البدن قروحاً ويفتح أفواه العروق التي في المقعدة ويقلع الثآليل وينثرها نثراً وهو مع هذا يسهل البطن . وقضيب شجر التين له حراقة ولطافة مزاج بحيث انك اذا وضعته على

الحكم اليابس في القدر وبهريه

وقال صاحب (الملقط) : التين حار رطب منفعته

انه يحلو دمل الكلى والمثانة ويؤمن من السموم وهو
أغذى من جميع الفواكه . ومضرته أن يحدث نفخاً وغلظاً .

دفع مضرته بشراب السكنجبين واستعماله على الريق

منفعته عجيبة في تفتيحه مجارى الغذاء خصوصاً مع الجوز

واللوز . والتين اليابس ينفع الصدر ويحلو . وشراب التين

يدر البول وينفع السعال المزمن وأوجاع الصدر وأورام

القصبة والرئة ويفتح للسدد والكبد والطحال . وورق

التين الاسود بماء المطر يسود الشعر

وبالاسناد الى النبي ﷺ انه اهدي اليه طبق من تين

فاً كل منه وقال لاصحابه : كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت

من الجنة قلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها

فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس . انتهى

وما أحسن قول ابن خفاجة :

وسود الوجوه كلون الصندود تبسمن تحت عبوس الغبش

إذا ما تجلى بياض الضحى تطلعن في وجهه كالنفس
 كأنني أقطف منها ضحى ثدى صغار بنات الحبش
 ومن تشاييه ابن المعتز قوله فيه :

أهلاً بتين جاءنا مبتسماً على طبق
 يحكي الصباح بعضه وبعضه يحكي الشفق
 كسفرة مضمومة قد جمعت بلا حلق
 وقال مؤلفه البدرى رحمه الله تعالى :

نوافج المسك حكى تيناً تراه في الفلج
 أو قم ظبي سأل منه الريق لما ان نفس
 ومن الغاز الصلح الصفدى قوله :

أي شيء طاب أكله ناعم في الحلق لين
 كيف يخفى عنك يوماً وهو في التصحيف بين
 ومن محاسن الشام (القبون) وهي حسنة الملمع والهواء
 وهما قبونان فوقاني وتحتاني وبهما ارض (مصطبة السلطان)
 وهي مصطبة في قدر فدان يصعد إليها في نيف وعشرين
 درجة من جهاتها الأربع وفيها قصر حسن البناء ينزل به

الملوك والسلاطين عند توجههم الى الاسفار
 والى هذا القابون ينسب الخيار
 قال اسحق بن سليمان : الخيار ابرد وأثقل واغلظ
 من القثاء لانه في آخر الدرجة الثانية وبرودة القثاء في
 وسطها ولذلك صار الخيار أشد تبريداً وقطفنة ومن قبل
 ذلك صار فعله في توليد البلغم الغليظ والاضرار بعصب
 المعدة ويفججها أكثر من فعل القثاء لانه أثقل وأبعد
 انهضاماً وأكثر اتعاباً للمعدة ، فاذا عسر انهضامه ،
 وبعدت استحالته ، تولد عنه الخلط البارد الغليظ ، لان صائر
 الفواكه اذا عسر انهضامها وبعدت استحالتها تعفنت
 وولدت خلطاً رديئاً مدموماً شبيهاً بكيفية الادوية
 المسمومة ، واسبقها الى ذلك وأخصها به الخيار لانه اعسر
 انهضاماً بالطبع . والمختار منه ما كان جسمه صغيراً ووجهه
 رقيقاً غزيراً متكاثفاً . وأفضل ما يؤكل منه ليه فقط لانه
 أسرع انهضاماً وأسهل انحذاراً
 وقال الغافقي : يوافق الكبد والمعدة الملتهيتين ، وله

الطف من لب القثاء واذا أكل اليسير منه طيب النفس
 وقال أمين الدولة بزر الخيار بارد في الثالثة نافع من
 احتراق الصفراء ومن الورم الحار في الكبد والطحال ومن
 أوجاع الرئة الحارة وقروحها
 وقال ابن الجوزي: أبرد مزاجا من القثاء وهو رديء
 للمعدة يهيج القيء ويحدث وجع الخاصرة وينبغي ألا تكله أن
 يتبعه بالعسل

وقال الرازي: الخيار المخلل مبرد مطف جداً بمقدار
 حموضته وعتقه الا انه طويل الوقوف في المعدة وينبغي أن
 لا يؤكل مع الالوان الغليظة ويؤكل مع الاسفيد باجات
 وان سقيت امرأة من قشر الخيار اليابس وزن أربعة
 دراهم نفع من عسر الولادة . والله أعلم
 وما أحسن قول عسى العاليه ^(١) فيه :

خياره أهديت الينا من كف من يجلب السرورا
 كأنها اذ قطعتُ منها كافورة ألبست حريرا

القثاء بارد رطب ينفع الحميات المحرقة ويسكن الحرارة
والصفراء والعطش ويدبر البول ويحدث وجع الخواصر
رديء الكيموس يهيج لمن داوم عليه الحميات
وقال الرازي في كتابه (دفع مضار الاغذية) : القثاء
اخف من الخيار واسرع نزولا وهو أيضا يبرد ويرطب
وليس يسخن البدن بل كثيرا ما يبرد اصحاب الامزجة
الحارة ولا يحتاج المحرورون الى اصلاحه الا ان يكثر
منه . وقد يصلح ما تولد منه في البطن من الثقل والنفخ
الجوارش السكموني والسفرجلي ونحوهما . والقثاء والخيار
والقرع من طعام المحرورين ويضر البرودين وينبغي ان
لا يكثر من يتلاحقوا ضرره بالشراب القوي
وفيه يقول ابن المعتز بالله :

انظر اليه انا يبا منضدة من الزبرجد خضرأمالها ورق
اذا قلبت اسمه بآنت محاسنه وصار مقلوبه انى بكم أثق
ومن لطائف السلامي قوله :
وقثاءة مثل هلال السماء ولكنها البست سندسا

عراقية لم يذب جسمها هزالاً ولم تحس فيمن حسا
 زبرجدة حسنت منظراً وكافورة بردت ملمسا
 على رأسها زهرة غضة كنجم الظلام اذا غسما
 جاء بها مغرس طيب من الارض اكرم به مغرسا
 لها اخوات لطاف القدود اذا مات برجن خضر الكسا
 محجبة عن شمس النهار بأردية كنسيم المسلا
 تقوس في حين ميلادها ولم ار ذا صغر قوسا
 يطول اللسان باطرائها ويصبح من ذمها اخرسا
 ومن محاسن ابن خطيب داريا قوله في الفقوس :

شبهت حين بدا الفقوس مبتهجا
 على الرياض وحب فيه ماسور
 مخازن من لجين لف مظهرها

بسندس حشوها حبات كافور

ومن محاسن الشام (بيت لهما والعناية) ومن الناس
 من يقول (بيت الآلهة) وهو مكان مبارك يزار ويقال
 ان حواء عليها السلام كانت مقيمة بهذا المكان . ونقل بعض

المؤرخين قال : كانت حواء عليها السلام في (بيت لھيا)
وآدم عليه السلام في (بيت أبيات) وھابيل في (سطر)
وقابيل في (قينية)

فائدة عن عبد الرحمن بن يحيى بن سماعيل بن عبد الله بن
ابی المهاجر قال كان خارج باب الساعات صخرة يوضع عليها
القربان فما تقبل منه جاءت نار فاحرقته ومالم يتقبل بقي على
حاله وكان ھابيل صاحب غنم وكان منزله في (سطر)
وكان قابيل صاحب زرع وكان منزله في (قينية) وكان
آدم في (بيت أبيات) وكانت حواء في (بيت لھيا) فجاء
ھابيل بكبش سمين من غنمه فجعله على الصخرة فاخذته النار
وجاء قابيل بقمح غلته فوضعه على الصخرة فبقي على حاله
فحسد قابيل وتبعه في هذا الجبل يريد قتله حتى صار من
أمره ما صار

قال بعض المؤرخين وھذه الصخرة هي الآن في
الجامع عند باب جيرون بالقرب من (حاصل الزيت) وهي

صخرة سوداء ^(١) مقرورة انتهى
واما (العنابة) فهي حلة الآن تشتمل على دور وقصور
والسبب في سميها ان كاهنا في زمن الروم كان يتعبد في
صومعة بتلك الارض فحصل له علة اشرف منها على الهلاك
فزل عنده تاجر من تجار الروم ومن جملة متجره خمسة
احمال عناب ، فلما ونشرها ، وكانت دمشق محلة من
العناب وليس يوجد بها حبة عناب ، فصار هذا الكاهن
يتناول منه وقد طاب له . فلما أصبح جاء اليه الطبيب
فوجده قد نصل من تلك العلة ووجد الكاهن في
نفسه نشاطا فقال له ما الذي استعملت البارحة قال شيء
الفلافي ونسي ان يذكر له العناب فقال الطبيب ولعلك
استعملت عناباً قال نعم ومن اخبرك بذلك قال لعلني ان
علتك هذه لا يبرئها سواه وهو معدوم واختشيت ان

(١) لاتزال هذه الصخرة موجودة في مسجد دمشق على
هذه الصفة الى اليوم ، والناس يذكرون انها صخرة القربان —
المطبعة السلفية

اغلق خاطرك به. فزرع السكاھن الارض التى حول صومنته
 جميعها غناباً وتقرب بها في كل من احتاج منها الى شي
 ياخذہ حتى يقال ان في الاسلام وجد من ذلك الغناب فرد
 شجرة وبني ماحولها فسميت تلك المحلة بها والله تعالى أعلم
 الغناب حار رطب في وسط الدرجة الاولى والحرارة
 فيه اغلب من الرطوبة ويولد خاطاً محموداً اذا اكل او شرب
 ماؤه ويسكن حدة الدم وحرارته وهو نافع من السعال
 ومن الربو ووجع السكيتين والمثانة ووجع الصدر . والختار
 منه ماءظم حبه وان اكل قبل الطعام فهو اجود
 وقل الاسرائيلي رطبه يتولد عنه دم بلغمي وهو افضل من
 يابسہ واذا كان اضيق بالين الطبيعة ولا سيما اليابس منه واذا
 كان غضاً عفصاً حبس الطبيعة وسكن هيجان الدم وحدته
 ولايس بمسكن للدم الغالب عليه الرطوبة

وقال الشريف : الغناب اذا جفف ورقه وسحق ونثر
 على الاكلة نفع من ذلك نفعا لا يبلغه غيره من الدواء .
 وثرانيه بارد رطب يصاح مزاج الدم ويلطفه من احتراق

وينفع من احتراق الكبد وخشونة الصدر ووجهه والسعال
اليابس والحصى والجدري . وصفته يؤخذ مائة حبة يترك
عليها خمسة ارطال ماء يغلي حتى ينضج العناب ويصق من
الماء ثلاثة أرطال ويضاف اليه ثلاثة استنان سكر وبياض
تبيضتين مضروبة بالماء ويرفع على النار ويحرك حتى ينحل
السكر فاذا صار له قوام حط . انتهى

وفيه الغز الامير سيف الدين المشد :

وأحمر اللون قان يعزى اليه الخضاب
ما فيه عين وناب وفيه عين وناب

ومن معاني ديك الجن قوله بقافيتين :

كأنما العناب في دوحه لما تناهى حسنه وايتسم
اقراط ياقوت تبدت لنا أوأغل قد قرطت بالعم

ابن سهل الاشبيلي قبل اسلامه في العناب الاخضر

هات اسقنى القهوة في سبتنا

فان يوم السبت يوم السرور

أما ترى العناب في دوحه كأنه رطب قلوب الطيور^(١)
ومن محاسن الشام ارض (سطرًا ومقرى) وهما من
الأراضي الطيبة الفيعاء . وفيها يقول جلال الدين ابن
خطيب داريا :

خليلي ان وافيتما الشام بكرة
وعاينتما الشقراء والغوطة الخضرا
قفا وأقرأ عني كتاباً كتبته
بدمعي لكم مقرى ولا تنسيا سطرًا
وفيهما يقول ابن عنين :

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة
وظلاك يا (مقرى) علي ظليل
(دمشق) فلي شوق اليها مبرح
وان لج واش أو الح عذول

(١) يشير الى البيت المشهور :
كأن قلوب الطير رطباً ويابساً
لدى وكرها العناب والحشف البالي

بلاد بها الحصباء در وتربها
 عير وأنفاس الشمال شمول
 تسلسل فيها مأوها وهو مطلق
 وصح نسيم الروض وهو عليل
 وتلطف شيخ الشيوخ بقوله :

قالوا اما في جلق نزهة تنسيك من أنت به مغرى
 يا عاذلي دونك من لحظه سهمها ومن عارضه سطر
 وبينهما متنزه يسمى باليلكي ، يجتمع فيه الناس ايام
 زهر السفرجل ويسيبون الماء تحت اشجاره ويوقدون في
 ظلمة الشهر قشور البيض ويطلقونها في الماء ويعلقون
 قشور النارج موقدة في الاشجار ويضربون الخيام في
 بستان الحجاب ويقطعون فيه أوقاتا من اللذة والانشراح
 يعجز الوصف عنها

وفيها يقول الشيخ علاء الدين بن المشرف المارديني :
 انظر الى يلك زهت ازهاره وزره فالزورة قد تمينت
 اشرفت الارض بنور ربها وأخذت زخرفها وازينت

وأنشدني بدر الدين محمد الازهري الناسخ المعروف

بفليفل فيه :

لله من يلك بديع حسنه قد ضم شملي بالذي اهواه
ما زال يفرش لي بساطاً أخضرا فرعى الاله رياضه وكلاه
وفيه يقول ابن قرناص :

ويلك قد بدت فيه معان تطيب بها الندامى والمدام
يسامرك النسيم اذا تغنت حمامه ويسقيك الغمام
ومنه قوله فيه :

قد أتينا نبغى زيارة يلك قد حباننا بالجود والاكرام
ناولتنا ايدي الغصون ثمارا أخرجتها لنا من الاكمام
ومن ماسن الشام أراضى المزارع وهي خضرة مع
الفلاة وكثرة المياه . ومن خصوصياتها الهليون

قال ابن البيطار في مفرداته الهليون ورقه كورق
الشبث ولا شوك له البتة وله بزر مدور اخضر ثم يسود
ويحمر وفي جوفه ثلاث حبات كأنها حب النيل صلبة ،
منه برى كثير الشوك وهو الذي يسمى بعجمية الاندلس

أسرعين

وقال جالينوس في السادسة وقوته قوة تجلو وليس لها
اسخان ولا تبريد ظاهر، ولذلك صار يفتح السدد من
الكبد والكليتين

قال [ديسقوريدس] : وإذا سلق سلقه خفيفة
واكل لبن البطن وادر البول . وإذا طبخت اصوله
وشرب طبيخها نفع من به عسر البول [أويرقان] ومن به
عرق النساء ووجع الامعاء

[قال ابن ماسويه] : ويزيد في الباه ويفتح السدد
التي تعرض في الكبد والكلى ، وينفع من به وجع الظهر
العارض من الريح والبلغم وينفع من وجع القولنج

[قال الرازي] : وربما غثى ولا سيما اذا لم يسلق .
وليس يحتاج المبرودون الى اصلاحه وأما المحرورون
فليأكلوه بعد سلقه وتصفيته بالخل والمرى

وقال ابن الجوزي في (لقط المناقم) : اهلليون حار
رطب معتدل يولد المني ويحرك شهوة الجماع ويدر البول

وفيه الجلاء وكذلك يفتح السدد ويؤكل مطبوخا بالحم
وهـ صـلـوقـا بالزيت والمرى والتوابل وغذاؤه متوسط
ونقات من (عجائب المخلوقات) لابن الاثير قال :
الهليون قضيبان برية يذبت بنفسه في المواضع الندية التي
تجمع فيها مياه الامطار ، وقد نقل الى البساتين فافلح .
وأجوده الغض البستاني المنعطف وهو حار رطب يفتح
سدد الاحشاء وينفع عرق النساء مطبوخا وينفع من
القولنج البلغمي والريحي وينفع من عسر البول ومن عسر
الحبل وينفع لوجع الظهر ويزيد في الباه وبزره جيد لوجع
الضرس

وذكر القزويني قال : حكى لي صديق أربلي قال :
بجبال اربل هليون كثير ، وكان عامل الناحية يتخذ منه
شرابا في كل سنة يبعث به الى صاحب اربل فعمله سنة
وبعث به فوقت الاكراد الحرامية على القفل فتهبوه
ورأوا ذلك الشراب في البراني فحسبوه عسلا فأمعنوا في
أكله فغلب عليهم الاسدهال حتى ضعفوا عن الحركة فر

المسافرون فرفعوا أروهم لصاحب اربل فارسل اليهم
 فقبضوا عليهم وأدخلوهم محملين على الدواب ، والناس
 يضحكون منهم ويقولون هؤلاء سكارى الهليون . فتبصر
 في تأثيره ومنافعه . انتهى

وفيه يقول كشاجم :

وباقه هليون أتت وهي غضة

فشبهتها تشبيه ذي اللب والفضل

برشق نبال جمعت من زبرجد

مشنفة الاعلى مفضضة الاصل

ومن خصوصياتها الطرخون . قال ابن البيطار : في
 مفرداته هو نبات طويل الورق دقيق الساق يعلو على
 وجه الارض نحواً من شبر الى ذارع ونصف وهو من
 بقول المائدة ينهض الشهوة ويطيب النكهة واذا شرب
 الماء عليه طيبه

وقال صاحب (الفلاحة) : الطرخون صنفان بابلي

طويل الورق وروي مدور الورق وهو من بقول الصيف

وطعمه حريف لذاع في وسط الدرجة الثانية بطيء في المعدة عسر الانهضام يخفف الرطوبات وينبغي أن لا يكثر منه البرودون وهو يطفئ حدة الدم ويقطع شهوة الباه وعسر انهضامه لكثرة دهنيته فلهذا صار بطيء الغذاء ويختار منه ما كان طريا غصا قريبا من ابتداء النبات لان ذلك اقل لدهنيته ويؤكل معه الكرفس لانه يمنع ضرره ويجيد انحداره وانهضامه

وقال التميمي الطرخون يخدر اللهاة واللسان بما في طبعه من الحرافة الكافورية اللطيفة وفي طعمه شيء من طعم العاقر قرحا وقد ينفع مضغه من يكره شرب الادوية للطبوخة فلا يلبث في معدته ويدخل ماؤه مع ماء الرازيانج الاخضر في الشراب الهندي المسمى شراب السكر النافع من فساد الهواء المانع لكون الجذري والحصبية وهو من أنفس اشربة الملوك الهندية وملوك خراسان، وهذا من خاصة ماء الطرخون ويمنع من حدوث الوباء فافهم ذلك وقال ابن الاثير: الطرخون متى جعل في اصوله

الملح جوّده وألقحه

وعاقر قرحاهي أصل الطرخون الجبلي ، وهو حار
يابس وفيه قوة مخدرة مجفف الرطوبات اذا مضع نفع من
القلاع ويطيب البوارد اذا ألقى فيها ويقوي المعدة غير أنه
يعطش ويحدث وجع الحلق

ومن خصوصياتها الكرنب ، وليس يوجد بالبلاد
المصرية ، وهو صنفان النبطي وهو المشهور وخوزي وهو
غليظ الورق جداً شديد الخشونة . والكرنب النبطي
الاندلسي وهو شبيه بالسلق صغير القلوب وأشد رطوبة
من القنبيط

وقال جالينوس : الكرنب في السابعة ، وقوته قوة
تجفيف اذا أكل واذا وضع من خارج ، ولكنه ليس
بظاهر الحدة والحرافة بل قوته قوة تبلغ به الى ادمال
الجراحات واشفاء القروح الخبيثة والاورام التي قد
صلّبت وصارت في حد ما يعسر انحلاله . وبذر الكرنب
يقتل [الدود] اذا شرب وقضبان الكرنب اذا احرق

يصير منها رماد يحفف بجفيفاً شديداً حتى أن قوته تكون
قوة محرقة ، ومن أجل ذلك صاروا يخلطون معه شحما
عتيقا ويستعملونه في مداواة وجع الجنين اذا عتق وفي
سائر العلل الشبيهة بهذا النوع من الوجع لانه يحلل تحليللا
قويا

وقال ديسقوريدوس : في الثانية ان سلق سلقة خفيفة
وانحل سهل البطن وان سلق سلقا جيداً أو سلق مرتين
بماء بعد مضاء امسك البطن ولقد زرع بمصر فما اكل لمرارته
ولا نبت بعد جهد . واذا أكل الكرنب نفع من ضعف
البصر والارتعاش ، واذا اكله المخمور سكن خماره .
وعصارة الكرنب اذا خلط بالشراب وشرب نفع من اسعة
الافعى واذا خلط بدقيق الحلبة والخل وتضمده به نفع من
النقرس ووجع القروح الوسخة العميقة واذا احتملته المرأة
مع دقيق الشيلم ادر الطمث . وورق الكرنب اذا دق
ناعما وتضمده به وحده أو مع سويق نفع من كل ورم من
أورام البدن ومن الاورام البلغمية ومن الحمرة ويبريء

الشرى والجرب المتقرح . واذا خلط بالملح قلع النار الفارسية
ويمسك الشعر المتساقط . واذا أكل الورق نبتا مع الخل نفع
المطحولين واذا مضغ ومص ماؤه اصلح الصوت المتقطع
وزهره اذا عمل منه فرزجة واحتملته المرأة بعد الحبل
قتل ما في بطنها

وقال ارجنجانس : الكرنب ينفع السعال القديم
والنقرس اذا صب طبيخه على المفاصل وان أطمع الصبيان
نشأوا نشوؤاً سريعاً وعصيره ان شرب بالنبيذ أيا ما ذهب
بوجع الطحال . ورماده يبرئ حرق النار ويبرئ عصيره
الحكة والجرب وان خلط بالزاج والخل وطلي به على الجرب
والبرص نفع وأكله يجلب النوم ويصفي الصوت وينفع
من عضة الكلب

وقال الرازي : مرق الكرنب ينفع من السعال ومن
وجع الظهر العتيق ووجع الركبة
وقال مسناوس : أكل الكرنب يحسن اللون وان
سلق مرتين ثم طيب بكمون وزيت وملح وفلفل وغلي

عليه نفع اصحاب العقر في الامعاء . والماء الذي يغسل
الكرنب به او يطبخ فيه ينقى البدن ويخفف الصداع وينقى
العينين اللتين يجد فيهما صاحبهما ظلمة من رطوبة أو بخار
غليظ ، وينفع الاحشاء ولا سيما الطحال الغليظة ، والذين
غلبت عليهم السوداء الا انه ينقى العروق

وقال ابن ماسويه الكرنب مولد للمرة السوداء والدم
المكر وان طبخ باللحم السمين قلت غائلته . وفي الكرنب
الشامي صنف آخر سمي الموصلى وله ورق اخضر جعل مثل
ورق الكرنب الاندلسي غير انه منبسط على وجه الارض
وينبت بمقامات العجوز . وبدمشق كرنب آخر بري ثمره
مدور ابيض اللون على هيئة الفلفل الابيض وهو ينفع من
نہش الافاعي ، وعروقه اذا جففت وسحقت وسقي منها
وزن درهمين بشراب ينفع من نہش الافاعي

وأما القنبيط الذي يدعى عند المصريين بالكرنب
فهو اغلظ واكوى وابطأ في المعدة من الكرنب ، وورقه
الناشئ حوالیه أقل ضرراً وأصلح من جمارته الصفراء الناشئة

في وسطه للمائية الغالبة عليه . واجتنابه كاه احمد لتوليده
الدم العكر ، والاكثر منه يصف البصر ، وهو مطلق
للبطان ، كثير البخار يورث احلاماً رديئة وسدداً ومرة
سوداء ، واصلاح ما يؤكل مطبوخاً باللحم السمين ، وبيضه
الاصفر الذي يسمى جمارة يهيج القراقر والنفخ ويزيد
في المني

وقال الطبري القنبيط بارد يابس غليظ عسر الانهضام
ردىء الغذاء واذا طبخ بيضه الذي هو ثمره وصب ماؤه
ثم اكل بالخل والزيت والمرى زاد في المني
وقل الرازي : لمائه خاصية في منع السكر . وخاصية
بذر القنبيط افساد المني اذا احتملته المرأة بعد الطهر من
الطمث

وقل الاسرائيلي واذا شربه المخمور حلل خماره .
واذا شرب قبل للشراب منع السكر . انتهى والله أعلم
وفيه يقول مؤلفه :

بغضي في قنبيط قد حكى والفكر صارم

لرءوس من يهود قطعت تحت العمام
ومن خصوصياتها الباذنجان الاحمر الرفيع والايض
القليل البزر الرقيق القشر

قال ابن البيطار : اسمه فارسي معرب ويسمى بالعربية
الارنب

قال الرازي : جيد للمعدة التي تقىء الطعام وردىء
للرأس والعين يولد ماء اسود يسير المقدار ويتولد عنه كثير
القوابى والبواسير والرمس والامراض السوداوية ويفتح
سد الكبد والطحال واذا سلق ثم قلي بدهن اللوز ذهب
عنه أكثر حدة وحرافته ، والمشوى منه أصاح للمعدة
التي تقىء الطعام ، والمطبوخ بالخل أوفق للمحرورين واصحاب
الاكباد الحارة والاطحلة الغليظة

وقال ابن ماسويه : والاحمد في اتخاذه ان يقشر ويشق
ويحشى ملحاً ويترك وقتاً طويلاً في الماء البارد ثم يصب
ذلك الماء عنه ويعاد عليه ماء آخر ثم يسلق ويطبخ بالجلان
والجدايا والدجاج وان اكل مقلواً بسيرج وخل ومري يمتص

بعد اكله ماء الرمان . وكثرة اكله تولد السرطانات
والصلامات والجذام والسهر وتكثر البلغم والبواسير الا ان
اقامه اذا جففت في الظل وسحقت نفعت البواسير بعد ان
تطلى بدهن مسخن

وقال بعضهم في وصف الباذنجان يشبه انوف الزنج
واذئاب المحاجم وبطون العقارب وبزر الزقوم . فقليل له
انه يحشى بالاحم المقل بالزعفران فقال لو حشي بالتقوى ما
افلح ابدا

وقال الشاعر :

واذا صنعت غداءنا فاصنعه غير مبندجي
اياك هامة اسود عريان اصلع كوسجي

وقل مؤلفه البدرى فيه وهو مقل :

بذنبه شبيهتها لما قلاها واخترم
بسقط زنج راقد وزند من بعض الخدم
وقال فيه أيضاً :

بذنبكم كزنج كواسج في الشام

خضر الطرا طير هاموا بالرقص تحت الخيام
ومن خصائصها الكراث . قال الغافقي الشامي صنفان
منه صنف أعناقه طويلة ورءوسه صغار، وصنف منه أعناقه
قصيرة ورءوسه مدورة كبار اطيب طعاماً من الاول هو
المسمى بالقفلوط وهو مما يؤكل أصله دون فروعه . وهو
في الثانية نافخ رديء الكيموس تعرض منه احلام رديئة
ويدر البول ويلين البطن ويلطف ويحدث غشاوة في العين
ويدر الطمث ويضر بالمشانة المتقرحة والكلى واذا طبخ بماء
الشعير اخرج الفضول التي في الصدر وورقه اذا طبخ بماء
البحر والخل وجلس النساء فيه نفعهم من انضمام فم الرحم
والصلابة العارضة له وقد يسلق سلقين بماء بعد ماء ثم
ينقع بماء بارد حتى يحلو طعمه ويقل نفخه

وقال الرازي : يهيج الباه والانعاظ ، وهو أسكن
وأقل في الحدة والاعطاش من البصل ، وأغلظ جرماً
وأبطأ نزولاً وانضماماً

وقال ابن ماسويه ^(١) ينفع من القوانج ، واذا أكل الكراث أو طبخ نفع من البواسير الباردة وورق الكراث الشامي من خاصيته النفع للرحم التي فيها رطوبة تزلق الولد وكراث المائدة المسمى عند أهل العراق بالقرط وفي الشام بالبقل وفي الحجاز بالكراث

وقال ابن اسحق ^(٢) : هو الكراث النبطي ويخرج من تحت الأرض أوراقاً ثلاثاً دون اعناق في لون ورق الكراث الاندلسي وشكله الا أنه دقيق جداً وما تحت الارض من أضله قدر عقدتين أو ثلاث ، أبيض مستطيل غير مستدير

[ديسقوريدوس : والكراث النبطي هو اشد حراقة من الكراث الشامي] ، وفيه شيء من قبض ، ولذلك ماؤه اذا خلط بالخل ودقاق الكندر قطع الدم

(١) في (مفردات ابن البيطار) : « ابن ماسه »

(٢) في (مفردات ابن البيطار) : « ابن سمحون قال علي ابن

وخاصة الرعاف ، ويحرك شهوة الجماع ، واذا خلط بالمسبل
ولعق كان صالحا لسكر وجع يعرض في الصدر وقرحة
الرئة ، واذا أكل نقي قصبية الرئة ، واذا أدمن أكله أظلم
البصر ، وهو رديء للمعدة ، واذا تضمد به مع السماق
قطع الثآليل ويبري الشرى ، واذا تضمد به مع الملح قلع
خبث القروح واذا شرب من نوره وزن درهمين مع مثله
من حب الاس قطع نفث الدم من الصدر

وقال ابن ماسويه : حار في الدرجة الثالثة يابس في
الدرجة الثانية ، مصدع ، يولد بخاراً رديئاً ويرى أحلاما
مرعبة ، ينفع من السدد العارضة في الكبد المتولدة من
البلغم وان سلق وطحن وأكل وضمد به البواسير العارضة
من الرطوبة نفع منها

وقال الرازي : مفتق لشهوة الطعام منعظ معين على
الاستكثار من الباه ، ولا يصلح لأصحاب الامزجة
الحارة ومن يسرع اليه الرمد والامتلاء الى راسه

وقال اليهودي : خاصيته افساد الاسنان والثة

قال مونس ^(١) اذا ضمد به على موضع لسعة الافي
نفع منها

[ماسرجويه] وبزره اذا دهنت به المقعدة اذهب
البواسير وأكاه يخرب الاضراس وينثرها غير انه اذا
وجد في الامعاء بلغها أساله ، واذا شرب من بزره معلقة
أحدث انتشارا صحيحا . انتهى

وأما الجزر قال ابن الجوزي : حار رطب ، يحرك
الباه ، ويدر البول ، بطيء الهضم دفع مضرته انضاجه وفيه
نفخ . اصلاحه بالخل والمرى والخردل
ومن تشبيه ابن المعتز قوله :

أنظر الى الجزر الذي يحكي لنا لب الحريق
كمدية من سندس وبها انصاب من عقيق
وبها الزعتر . قال ابن الاثير : الزعتر نوعان بستاني
وبرى . وهو حار يابس محلل ملطف ، يسكن وجمع
الضرس اذا مضغ ، وينفع من أوجاع الوركين ، وينفع

(١) في [مفردات ابن البيطار] : « اسحاق بن عمران »

الكبد والمعدة ، ويخرج الديدان ، ويدر البول ، ويعمر
ويشهي الطعام ، ويحلل الرياح ، وقدر ما يوجد منه مثقال
وا كاه ينفع من غشاوة البصر الحادث من رطوبة ، ودهنه
ينفع الصدر والرئة ، وينفع من لسع الحيات لاسيما الندي
منه . وذكروا أن القنفذ وابن عرس اذا تناهشا الافاعي
والحيات تعالجا باكل الزعر البري . والله اعلم
وفيه يقول ابن وكيع :

زعر بل ادق من أرجل النمل وازكى من نفحة الزعفران
كسطور كسين نقطا وشكلا من يدي كاتب لطيف المعاني
وبها الفجل حار يابس محرك الباه رديء الكيموس
يهضم ولا يهضم لانه يهضم بجوهره اللطيف فاذا انحل
ذلك الجوهر بقى جوهره الكثيف الذي فيه عاصيا على
القوى الهاضمة لزجا سريعا الى التعفن رديئا للمعدة يدر
البول ويجلو المثانة فاذا أكل على الريق ازال البلغم وقوى
المعدة لكنه يضر الرأس والاسنان والعين ، لكن ماءه
يجلو العين واذا طلى بمائه البهق زال ومن طبخ الفجل

باللبن الحليب وشربه تنظفت مثانته من الرمل والحصى .
 والمطبوخ من الفجل يصلح للسعال المزمن العتيق
 والكيروس المتولد في الصدر ، واذا اكل الفجل قبل
 الطعام لين البطن وانفذ الغذاء ، واذا اكل بعده صار
 الطعام صافيا ولا يدعه يستقر . وماء ورقه يفتح سدد
 الكبد ويزيل اليرقان وينفع من نهش الافاعي . وان
 وضعت شذخة منه على العقرب ماتت ، وماؤه اقوى من
 ذلك ، وأين لذغت العقرب من أكل فجلا لم تضره . ونور
 الفجل يحلل الرياح وينفع من النمش الكائن في الاعضاء
 وآثار الضرب والكلف . ومن أكل بزر الفجل مع العسل
 ذهب بعض فؤاده . انتهى

وبها السذاب . حار يابس ينفع وجع الصدر ويقاوم
 السموم ويشرب من يحذر السم من بزره وزن درهم مع
 ورقة شراب يحفف ويقطعه ومن أغلى السذاب في سيزج
 وطلى به جسده لم يكن في ثيابه قملة ومن آلمه ضرسه فأخذ
 ورق السذاب مع زبيبة سوداء فمضعه سكن

وبها النعناع حار يابس وفيه رطوبة تحرك به شهوة
الجماع ويقوي المعدة ويسخنها ويجود الهضم ويسكن
الفواق الحادث عن امتلاء وينفع اليرقان وخصوصاً بشربه
واذا تركت منه طاقات في اللبن لم يتجبن

وبها الرشاد حار يابس ملطف يقتل الدود ويحلل
الرياح ويقطع البلغم والرطوبة الا انه يضر المعدة والمثانة
وبها البقلة الحقاء باردة رطبة تنفع الضرس والصداع
الحار تضر المني وتقطع شهوة الجماع ، دفع ضررها بالجر جير
تصالح للامزاج الحارة والشباب في الصيف ، واذا شرب
بزر البقلة مع السكر نفع السعال الحار ، والاقباط تسميها
رجلة

وفيها يقول السراج الوراق :

وأحقُّ أضافنا ببقلة

لنسبة بينهما ووصله

فمن أقلُّ أدباً من سفلة

قد مد ما بين الضيوف رجله

وبها الاسفناناخ حار معتدل رطب وقيل بارد ينفع
من السعال وخشونة الحلق والصدر ويقمع الصفراء والمرار
مضرته أنه يسيء الهضم دفعها بمعجون الورد

وبها الكرفس حار يابس يحلل الرياح ويسكن
الاجاع وينفع من عسر البول ويخرج المشيمة ويهيج
الباه وينفع المعدة وبردها والسعال والطحال وينقي الكلى
والثانة ويفتت ويصدع الدماغ الا أن يضاف اليه الخس
يصلح للامزاج الباردة والكهول في الشتاء وأكله في
الشتاء يذهب البلغم

وبها السلق الاحمر والايض حار رطب وقيل بارد
ملين للطبيعة وبه تلطيف يفتح به سدد الكبد والطحال
ينبغي لمن يأكله أن يطيبه بالخل والخردل وأصل السلق
مولد البلغم لا يوافق المعدة وماؤه يذهب الحرارة من
الرأس ويقلع الثآليل . مضرته يحرق الدم . دفعها . . . والمرى
ينفع من الكلف اذا استعمل ورقه ضمادا بعد غسل الموضع
بنظرون ومن طارأ رأسه بالسلق زالت الصيبان منه واسود

شعره وتجمد وطال

بها الهندباء باردة رطبة وقيل يابسة جيدها الرطب
يقوي المعدة ويفتح سدد الكبد والطحال والاحشاء
والعروق ويقطع حرارة الدم ويبرد الكبد الحارة وانفعها
للكبد أمرها وماؤها المعتصر ينفع اليرقان الذي من السدد
مضرتها تبطيء بالهضم ، دفع مضرتها بالرشاد ، تصلح
للامزجة الحارة والشباب في الصيف

وبها البصل . حار يابس وقيل رطب ينفع من تغير
المياه ويفتق الشهوة ويهيج الباه ويزيد في المنى ويحسن
اللون ويقطع البلغم وينظف المعدة إلا أنه يثير الشقيقة
ويصدع الرأس ويولد رياحا ويظلم البصر ، وكثرة أكل
البصل تورث النسيان وتفسد العقل ، دفع مضرته الخل
واللبن ، يصالح الامزاج الباردة ، واذا دق وعجن بالعسل
ووضع على الكلف الغليظ والقوابي والبهق الاسود قلع
ذلك ، واذا دق ناعماً وطلي به موضع الشعر نفع داء
الثعلب ، وان أحرق كان أنفع ، وينفع من نهش الحيات

والكَلْب الكَلْب

وبها الثوم حار يابس سخن مجفف جيد القليل
الحدّة ، ويقوي المعدة ، ويسخن المعدة مع البدن ، ويقطع
البلغم ويحل النفخ ، ويعصق الحلق ، ويحفظ صحة البدن
وينفع من تغيرت عليه المياه ، والسعال المزمن ، وأوجاع
الصدر من البرد ، ويخرج العلق من الحلق ، وينفع من
السموم ويفتح السدد ، إلا أنه يهيج الصفراء ويضر الدماغ
ويصدع ويضعف البصر والباه ، ولا يصلح بأن يأكله
معتقل ولا مصدع وخطه غليظ ، والنبيء منه يقتل الدود ،
والمطبوخ ينظف المثانة . ومن أخذ شيئاً مطبوخاً منه
أو مقلوفاً يسيرج وتحمل به ازال الحكة عنه ونفعه من
عرق النساء ، ومن أكل الثوم ولذغته العقرب لم تضره
وان طلي مكان اللذغة بالثوم خرج السم من الاسع ، واذا
مضغ على سن سكن ألمه ، ومطبوخه ومشويه يسكن
وجع الاسنان ، ورماد الثوم اذا طلي بالعسل على البهق
والتقوي نفع ، ومن أراد أن يذهب ريح الثوم من فيه

قليع مضغ دقيق الباقلاء

وبها الكسفرة ^(١) اليابسة حارة مع قبض وقيل باردة ^(٢) تقوي المعدة المحرورة لكنها تولد ظلمة البصر ، ولا ينبغي الاستكثار منها لأنها تحرق الدم وتعفنه وتقطع الشهوة وتفسد الدهن والرطوبة وربما قتلت

وبها الكراويا حارة يابسة تحلل الرياح وتقتل الدود العارض في الامعاء وتسمن وتنفع الخفقان والمغص وترخي الرئة، دفع ضررها بالشعير . انتهى

وبها الكمون كالكرويا وأقوى في تحليل الريح ، حار في الثانية يابس في الثالثة اذا غسل الوجه بمائه صفاه فان

(١) وردت في كتب النبات والعقاقير بلفظ كسفرة وكسبرة وكزبرة

(٢) هذا قول (ديسقوريدوس) وقد تكلم على ذلك ابن البيطار في لفظ « كزبرة » من مفرداته بمقالة تدل على فضل وعلم

استكثر منه صفر اللون واذا سخن بالخل وشم قطع
الرفاف

وبها القرع . قال جالينوس في السابعة مزاجه بارد
رطب ، وهو منهما في الدرجة الثالثة ، ولذلك صار عصير
جراثمه نافعا من وجع الاذن الحادث عن ورم حار متى
استعمله الانسان مع دهن ورد ، وكذلك جملة جرم القرع
وما دام نيئا فطعمه كريه ومضرته للسعدة عظيمة . وقد
رأيت انسانا أقدم على أكله نيئا فاحس في معدته بثقل
وبرد وأصابه عليه غثيان وقيء . فاذا سلق فانه يغذو غذاء
رطبيا وانحداره عن المعدة سريع لرطوبته ولما فيه من
الملاسة والتزليق ، واذا انهضم فليس خلطه برديء متى لم
يسبق اليه الفساد قبل انهضامه والفساد يعرض له من قبل
ابطائه في المعدة وعدم انحداره ، ومهما اكل معه انقلب
خلطه وتشبه به

وقال ديسقوريدوس : يسكن الاورام الباغمية ،
واذا طبخ كما هو وعصر وشرب ماؤه بعسل وشيء يسير

من نظرون اسهل البطن اسهالا خفيفا

وقال الرازي : بارد مولد للبلغم وهو طعام المحرورين
يطفي ويبرد ويسكن الالهب والعطش وينفع من الحميات ،
واذا طبخ بالخل نقص من غلظه وبطؤ هضمه وكان اشد
تطفية للصفراء والدم ، الا أنه في هذه الحالة لا يصلح
لاصحاب خشونة الصدر والسعال وأما من به سعال وحى
فليطبخه مع كشك الشعير ومع الماش المقشر ودهن اللوز
الحلو وليجتنبه المبرودون والمبلغمون لانه يولد فيهم القوانج
الغليظ ، وان اكلوه فليأكلوه مطبوخا بالزيت مطيبا
بالفلفل ويشربوا عليه الشراب الصرف ، فاذا وضع مع اللبن
يصلح منه الخردل ، واذا وقع في الخل فانه يصلح غلظه
لكن لا يصلح برودته

وقال اسحق بن سليمان : اذا لطخ بالعجين وشوي
في الفرن أو التنور واستخرج ماؤه وشرب ببعض
الاشربة اللطيفة سكن حرارة الحمى الملتبهة وقطع العطش
وقال حبيش [بن الحسن] : اذا شرب من مائه

المستخرج بالشيّ فيكون مع عشرين درهماً من الجلاب
 اوزن عشرة دراهم من السكر الابيض ، ومقدار ما يشرب
 منه أربعة آواق الى نصف رطل ولحميته تسقط الشهوة
 ودهنه في نحو دهن البنفسج جيد للحر والسهر

وقال اسحق بن عمران : ماؤه يسكن الصداع اذا
 شرب أو غسل به الرأس ، وقد ينوم من يبس دماغه اذا
 قطر منه في الانف وهو يلين البطن كيف استعمل ولم
 يداؤ المبرسمون والمحرورون بمثله ولا أعجل نفعاً منه

وقال الشريف : ماؤه المشوي بالعجين اذا اكتحل به
 يذهب صفرة العين الكائنة من اليرقان ، واذا اكتحل بماء
 زهره اذهب الرمذ الحار ، وقشر القرع اليابس اذا أحرق
 وذر على الدم المنبعث قطعه ، واذا أحرق وسحق وعجن
 بخل وطلى به البرص نفع منه ، واذا قشر حبه ودق
 واستخرج دهنه انتفع به من وجع الاذان ووجع الامعاء
 الحارة ومردة الفروج المطبوخة بالقرع منعشة المغشي
 عليهم من حدة الاخلاط الصفراوية في الحميات وحرارة

قشره اليابس تنقع من قروح الاعضاء اليابسة وهي جيدة
لتطهير الصبيان ومن قروح الذكر وتجففها
وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله
عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « اذا طبختم قدراً فاكثروا
فيها من الدباء فانه يشد قلب الحزين » انتهى

وانشدني شيخنا العلامة شهاب الدين المنصور :

يا عين أعيان الزمان ويا شيخ الشيوخ ومحبي الشرع
ما قرع الباب عليك امرء الا وذاق حلاوة القرع
وبها الحكمة وهي من خواصها . قال ابن البيطار في
الثانية وهو أصل مستدير لا ورق له ولا ساق ، لونه الى
الحمرة يؤخذ في الربيع ويؤكل نيئاً ومطبوخاً

وقال جالينوس : في الثامنة فوام جرم الحكمة من
جوهر أرضى وهي غليظة الكيموس قليلاً الا أنه ليس
برديء تورث عسر البول والقولنج واجودها ما كان من
موضع فيه رمل قليل والحكمة الحمراء قاتلة واجود الحكمة
الشديدة التلرز والاملاس والميل الى البياض وأما المتخاذل

الرخوفرديء جدا في المعدة الحارة يولد الاوجاع في أسفل
الظهر والصدر ويولد السدد ، وماؤها يجلي البصر وادمان
اكلها يورث السكته والفالج وهي بطيئة الانهضام وينبغي
لا آكلها ان يقشرها وينقيها تنقية كبيرة ليصل اليها الماء
ويخرج غلظها وربما تدفن في الطين الحار يوما وليلة ثم تغسل
ثم تسلقها بالماء والمالح والفودنج والسذاب سلقا بليغا ثم
تؤكل بالزيت الركابي والمرى والسعتر والفلفل . واليابسة
من الحكمة ابطأ في المعدة وأكثر ضرراً وينبغي ان يشرب
عليها النبيذ المعسل الصنف ويؤخذ الترياق والزنجبيل

وقال ابن الجوزي : الحكمة نبات يتولد من عفونة
الارض الكثيرة الامطار يولد البلغم الشديد والاسود
اشد غلظا يولد السوداء ويفسد النكهة وهي من الاغذية
الرديئة لكن ماءها يجلو العين اقول النبي ﷺ « الحكمة
من المن وماؤها شفاء للعين » اخرجاه في الصحيحين .
انتهى

وقال الغافقي في مفردات ابن البيطار : ان من آكلها

ولسعه شيء من الهوام ذوات السموم مات ولم يخلصه
الدواء البتة . انتهى

وبها اللوبياء . قال ابن الجوزي : منه أبيض ومزاجه
بارد يابس ، ومنه أحمر وفيه حرارة ونفخ ، جيدده الأحمر
يدر البول ويولد خلطاً ويغشى ويولد احلاماً رديئة رفعها
بالزيت والمرى والخردل ومنه غليظ وقليل صاف ينفع
الامزاج الباردة اليابسة يصلح للكحول نفخه اقل من
الباقلاء

وبها الارز . حار قليل بارد منفعته من لذغ المعدة
مضرته القولنج لانه يحبس البطن دفعها أن يطبخ بالدهن
واللبن . واذا طبخ الارز بعد أن يغسل بدهن اللوز أو
السيرج أو السمن أو الالية لم يحبس البطن بل يسكن الوجع
العارض في المعدة والامعاء وغذاؤه محمود معتدل يصلح
للأمراض الحارة الرطبة ، واذا طبخ باللبن الحليب ولد
السوداء لتوليده خلطاً غليظاً لكنه ينفع الباه
الباقلاء . بارد رطب وقيل يابس ، أجوده الايض

السمين واردة الطري ، يحدث الحكة ويولد البلغم ودفع
مضرته بالسعتر والملح ويؤكل بعده الزنجبيل ، والباقلاء
تنفع من السعال . مضرته يبلى الحواس دفعها باطالة نفعه
واجادة نضجه وأكله بالفلفل والملح والسعتر مع الادهان
لما فيه من النفخ والترهل والنوم والكسل والسدد يولد
الاخلاق الغليظة ويرى أحلاما رديئة وإذا طبخ بقشره
كان أردأ وأكثر توليداً للرياح والباقلاء وتجلو البهق من
الوجه

وفيها يقول القاضي جمال الدين ابو الحسن علي بن
منصور الخزرجي صاحب (غرائب التنبيهات على عجائب
التشبيهات) وقد صلق قدامه الباقلاء :

وقدر بها تعلق الباقلا قبيل الصباح لمن قد خمر
أتينا بها وسط زبدية فكان كأحسن شيء حضر
فصوص من العاج مطبوقه لها غلف من أديم البشر
ومن مجون ابن العطار الدنيسري قوله :

شاقني حارس فول زهره حاكي عيونك

وابتغى التعريض قلنا لعن الله قرونك

ومن بديع ابن وكيع قوله :

ان للباقلاء نوراً ظريفاً

جلّ في الحسن عن بديع مثال

قد حكى ضحوة لنا اذ تبدى

سرر الروم ضمخت بغوال

ومن بديع المذكور ومقاصده قوله فيه :

فصل الربيع بدا لنا بنسيمه يدعو فتسرع نحوه الخلق

زهر الباقلاء به فكأنه^(١) بين الرياض حمام بلق

ومن تشابيهه الفائقة قوله :

كأن ورد الباقلاء اذ بدا

لناظريه اعين فيها حور

كمثل الحافظ اليمافير اذا

روّعها من قانص فرط الحذر

كانها مداهن من فضة

اوساطها فيها من المسك اثر

كَأَنَّهُ سَوَالِفٌ مِنْ خَرْدٍ
 قَدْ نَبَتَتْ سَوْدًا لَهَا بَيْضُ الطَّرْدِ
 وَمِنْ لَطَائِفِهِ قَوْلُهُ فِيهِ :

لِي نَحْوُ وَرْدٍ الْبَاقِلَا لِحْظِ سَبَانِي بِالْدَعَجِ
 كَأَنَّمَا بِيَاضِهِ يَلُوحُ فِي ذَاكَ الْبَاجِ
 خَوَاتِمٌ مِنْ فَضَّةٍ بِهَا فَصُوصٌ مِنْ سَبَجِ
 وَلَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

كَلَفْتُ بَنُورَ بَاقِلَا سَبْتَنِي
 كَأَنَّهُ فَسْرِي فِيهِ فَاشٍ
 إِذَا نَزَلَ الْفَرَّاشَ عَلَيْهِ يَوْمًا

حَسَبْتُ النُّورَ أَفْرَاحَ الْفَرَّاشِ
 وَبِهَا الذَّرَّةُ . بَارِدَةٌ يَابِسَةٌ مَجْفُفَةٌ
 وَبِهَا الدَّخْنُ يَابِسٌ يَعْقَلُ

وَبِهَا الْمَاشُ بَارِدٌ رَطْبٌ جَيِّدٌ الْاِخْضَرُ الْكِبَارُ يَسْهَلُ
 الْاِخْلَاطُ الْمُؤَذِيَّةُ وَيَلِينُ الصَّدْرُ وَيَنْفَعُ مِنَ السَّعَالِ مَعَ الْحُمَى
 وَيُضْعَفُ الْاِسْنَانُ وَيُولَدُ الرِّيحُ بِطَيِّءِ الْاِنْهَضَامِ وَهُوَ

غذاء جيد للمحموم اذا طبخ بدهن اللوز
وبها القرطم . حار رطب يسهل البلغم ويحلل الاورام
الصلبة وينقى الصدر والصوت ويزيد في الباه ، لكنه
رديء للمعدة ، مقدار الشربة منه خمسة دراهم
وبها العدس . بارد يابس ، جيده الابيض الناضج ،
يسكن حدة الدم ، ويقوي المعدة ، مضرته بالمالخوليا
والاعصاب والبصر دمه غليظ وهو عسر الانهضام ، يصلح
الامزاج الدموية والشباب في الصيف ويكره لاصحاب
السوداء ، لانه يتولد منه خلط سوداوي فيحدث فيهم
الوسواس والجذام وحمى الربع ويضر بالعين التي مزاجها
يابس وينفع العين التي مزاجها رطب ، ومما يدفع ضرره
الاسفاناخ والسلق مع كثير من الادهان . وينبغي أن يلقى
على رطل من العدس سبعة أرطال من الماء حتى ينضج جيدا
ولا ينبغي أن يخلط به حلو فانه يولد سهداً في
الكبد ، ومن أكثر من أكله اظلم بصره لشدة تجفيفه
ويقلل البول والطمث فلا يقربه من يقطر في بوله

وبها السمسم . حار رطب دسم مغثٍ معطش مسقط
 للشهوة مرخ للحشاعسر الانهضام ، الا أنه يسمن ويحلل
 الاورام الحارة وهو جيد لضيق النفس والربو . رديء
 للمعدة . دفع مضرته أن يؤكل بالعسل . ودهن السمسم
 هو السيرج محلل الاورام البلغمية والقولنج وينفع السعال
 وخشونة الحلق الا أنه رديء لفم المعدة

وبها بزر قطونا . بارد رطب يجلو ويغسل وينقي ويطفي
 العطش اذا قلى فان ضرب في الماء حتى يرخي لعابه وشرب
 اطلق الطبيعة

وبها الترمس . حار يابس : نفعه يقتل الدود وينفخ سدد
 الطحال عسر الانهضام يولد خلطاً بارداً دفعها أن يؤكل
 بالخل يصلح للامزاج البلغمية والشيوخ في الشتاء
 وفيه يقول مهيأ :

وترمس طاف به	مهفف كالقمر
من اسود وأصفر	واحر وأخضر
نخلته لما أتى	به فصوص جوهر

وبها الحمص. حار رطب وقيل يابس والاسود أقوى
 جيده الكبار ويجلو ويزيد في المني جداً ويفتت الحصى
 ويحسن اللون طلاء وأكلا ويصفي الصوت ويفتح السدد
 من الكبد والطحال، وينبغي أن يؤكل في الطعام. وطبيخ
 الاسود بدهن اللوز ويفتت الحصى في المثانة والكلى.
 وهو رديء لقروح المثانة ورطبه أكثر توليداً للفضول من
 يابسه. وماؤه يحذر الدود وينقي المثانة والامعاء الدقيقة
 وينفع من وجع الظهر ويخرج الجنين ويدر الطمث. دفع
 مضرته بالخشخاش والكمون والاسود أنفع. واذا نقع في
 الخل على الرقيق وصبر عليه نصف يوم قتل الدود. انتهى
 وفيه يقول الشهابي ابن الاطرش ويعرض بذكر
 الامير طشتمر حمص أخضر لما عاد من النفي :

لما رجعت إلينا من شقة البعد والبين
 خلناك تحنو علينا يا حمص اخضر بقلبين
 وبها الحلبة. حارة يابسة ملينة للطبيعة اذا اكلت
 مطبوخة بعد الطعام. ومتى طبخت مع التين اليابس طبخا

جيداً ثم صفيت والقي مأوها في العسل وطبخ ثانية حتى
يصير كالعرق نفع أصحاب السعال العتيق ونقى الصدر
والرئة من الخلط الغليظ اللزج

وبها الخس قال ابن الجوزي : بارد رطب ينفع السهر
ويولد ماء كثيراً ويجلب النوم وينفع من الهذيان واحراق
الشمس للرأس ويقطع سيلان المنى . وهو أفضل البقول
وأقلها رداءة واكثرها غذاء سريع الهضم ينفع الامزاج
الحادة والاورام الحارة واليرقان وينفع من اختلاف المياه
وهو يسكن شهوة الجماع وينفع من كثرة الاحتلام وبزره
أشد في ذلك الآن ضرره يخفف المنى ويضر الباه والبصر
ويحدث ظلمة ، دفع مضرته بالكرفس . والله أعلم

وفيه يقول مؤلفه البدرى على لسان بعض الظرفاء :

صحبت في الزيه ^(١) يوماً خلين والجوع مساً

بفولة جاد لى ذا وذا ببقل وخساً ^(١)

ومن محاسن الشام أرض الميطور والسيلوق وهما

من متنزهاتها ويقال أن أول من غرس بها غراساً بيده
 سليمان بن عبد الملك وكان يروي عن النبي ﷺ حديثاً
 يقول : قال النبي ﷺ « من غرس غرساً كتب الله له
 من الاجر بقدر ما يخرج من ثمار ذلك الغرس » وقال
 النبي ﷺ « نعم المال النخل الراسخات في الوحل المطعمات
 في المحل » وقال ﷺ « ابتغوا الرزق في خبايا الارض »
 يعنى الزراعة . وقيل لعثمان رضي الله عنه « اتغرس بعد
 الكبر ؟ » فقال : « لأن توافيني الساعة وأنا من المصلحين
 خير من توافيني وأنا من المفسدين » . وقيل لابي الدرداء
 رضي الله عنه وهو يغرس جوزة « اتغرس وأنت شيخ
 وهي لا تطعم الا بعد عشرين سنة » فقال « لا على بعد
 أن يكون الاجر لي . ومر كسرى بشيخ وهو يغرس فقال
 « اترجو أن تأكل من ثمرتها » فقال « غرسوا وأكلنا
 ونغرس فيأكلون » فقال كسرى « زه » وأعطاه اربعة آلاف
 درهم فقال الشيخ « ان الشجر تدرك وتطعم في سبع سنين
 وقد أطعمت شجرتي في يوم واحد » فقال كسرى اعطوه

أربعة آلاف أخرى

رجمع . ويقال أن سليمان بن عبد الملك كان نهما في الأكل
فجاءه بستاني ليضمن بستانه هذا فقال اركب اليه أولا
انظر فأكبته ثم نضمنك إياه ثم ركب ودخل البستان فلم
يدع به من الثمار إلا اليسير حتى ماخلى فيه من البندق
الأخضر والفسق والفاصوليا ما عذب عنه ثم نادى الضامن سليمان
وقال للشهود اكتبوا على هذا ضمان هذا البستان فقال
البستاني كنت أضمنه قبل دخول أمير المؤمنين اليه
فضحك منه . ويقال إن قشر البندق والفسق تجمع فجاء
قدر مكوك طائفي وفضل عنه ^(١)

قال ابن الجوزي : البندق حار يابس أغلظ من الجوز
وابطأ أنهضاماً ويولد رياحا في البطن الأسفل إلا أنه
يقوى المعدة والأمعاء وخلطه غليظ في الدماغ ويؤكل

(١) كان القصاصون يبالغون أولاً بذكر القصص في هذا
الباب تقرباً للعباسيين ، ثم خلف من بعدهم خلف تجاوزوا حدود
المنطق والعقل في هذا الاغراق واسرفوا فيه

مع قليل فلفل فينفع من الزكام وينفع من النهوش
خصوصا في التين والسذاب وكذلك الجوز

قال ابن البيطار : في السابعة وفيه من الجوهر الارضي
البارد اكثر مما في الجوز وكذلك هو اشد عفوصة منه
عند المذاق ، وذلك موجود في شجرته وثمرته وقشره

قال جالينوس : اذا سحق وشرب بالعسل ابرا من
السعال المزمن واذا قلي واكل مع شيء يسير من الفلفل
انضج النزلة واذا حرق وسحق وخلط بالشحم العتيق من
شحم الخنزير أو شحم الدب ولطخ به داء الثعلب نبت فيه
الشعر . والبندق المحروق اذا سحق مع الزيت وسقيت به
يافوخات الصبيان الزرق سود احداقهم وشعورهم ومن
اكل البندق قبل الطعام نفع من السموم وهو مقطع
للخيط المزج نافع من النفث الحادث من الرئة

وفيه يقول بعضهم وابدع :

ولقد شربت مع الغزال مدامة حمراء صافية بغير مزاج
فتفضل الطبي الغرير ببندق شبهته ببندق من ساج

فكسرتة فوجدت صوفاً أحمرّاً قد لف فيه بنادق من عاج
 الفستق حار يابس وقيل رطب وقيل معتدل منفعتة
 للمعدة يقوى فيها ويقوى الكبد ويفتح سددها وينقي
 الكليتين والمثانة يفتح منافذ الغذاء ويزيد في الباه وينفع
 من لذغ العقرب وسائر الهوام خصوصاً الشامي لكنه
 يصير الشرى دفع مضرته بمشمش يابس والله أعلم . انتهى
 وفيه يقول مذهب الدين الدهان :

وفستقة شبيهتها اذ رايتها

وقد عاينتها مقلتي بنعيم

زبرجدة خضراء وسط حريرة

بحقة عاج في غلاف اديم

وهو ماخوذ من قوا، الصابي :

زمرد صانه حرير في حق عاج له غلاف

واحسن منه قول ابن المعتز بالله :

زبرجدة ملفوفة في حريرة مضمنة دراً مغشى بياقوت

وقال فضل السكاتب وابدع :

وفستق مستلذ من بعد شرب الرحيق
حق من العاج يحوى زمرداً في عقيق
ومن لطائف ابن سكرة قوله :

كانما الفستق المملوح حين بدا
مقشراً في لطيفات الطيافير
والقلب من بين قشريه يلوح لنا
كألسن الطير من بين المناقير

عود وانعطاف الى ذكر سليمان بن عبد الملك . نقل
الحافظ ابن عساكر في تاريخه عن عبد الله بن عبد الله بن
الحارث قال اخبرنا ان سليمان بن عبد الملك أمر قيم بستانه ان
يحبس على الفواكه لا يجني منها شيئاً وأمرني بالركوب معه
عند طلوع القمر من آخر الليل ومن حضر من أصحابه ، فلما
دخلنا الى البستان انفرد كل منا يأكل حتى ارتفع النهار ثم
صرنا اليه وقد أكلنا قدر الطاقة ونحن نقول هذا القطف
العنب استوى فيخرطه في فيه وهذه التفاحة نضجت
وهذه الانجاسة ناعمة وكلما رأينا شيئاً نضيجه نشير اليه

فيتناولوه ويأكله حتى أن الضحى ، فأقبل على قيم البستان
وقال ويحك يا شمر دل انى قد جمعت فهل عندك شيء
تطعمننيه . قال نعم عناق حولية حمراء قال اثنتي بهما بلا تأخير
فجاء بهما مشوية على خوان وهو قائم بين اشجار الفاكة
فصار يتناول منها قطعة بعد قطعة ويتناول عليها الفاكة
الى ان فرغت . فقال له يا شمر دل هل عندك غيرها فقال نعم
دجاجتان معلوفتان قد عميتا شحماً قال اثنتي بهما ففعل كما
فعل بالعناق واتى بهما وهو قائم بين اشجار الفاكة حتى
فرغا وقال له ان كان عندك سويق بسمن سلاو بعض سكر
فأثنتي به فانى جائع فجاء بذلك فأكله واستدعى بماء بارد
وجعل شمر دل يصب عليه الماء وأمير المؤمنين يحركه حتى
كفأه فارغاً ثم أعاد الاكل فى الفاكة فأكل ملياً واذا
بالسماط حضر فجلس يأكل كأنه لم يأكل شيئاً

قال الحارث فعجبنا منه

ويقال انه عرضت له حمى عقيب هذا اشرف منه
على الموت وقيل بل سبب موته انه أكل اربعمائة بيضة

وساقي تين وسبعمائة رمانة وخروف وست دجاجات
ومكوك زيب طائي . انتهى

وانما ذكر ذلك على سبيل الاستطراد وذكر بستانه
والله أعلم

ومن محاسن الشام (السهم) وهو متصل بارض
الصالحية . وهو درب ما بين دور وقصور ، وفاكة
وزهور ، ومياه تجري بهدير كالبحور . وفيه يقول
القيراطي :

دمشق بواديه رياض نواضر
بها ينجلي عن قلب ناظرها الهم
على نفسه فليبك من ضاع عمره
وليس له فيها نصيب ولا سهم
ومن لطائفه قوله فيها وفي السهم :
بقاع دمشق للأمر بشائر
ققف بغياني جنكها مترنما

بقاع اذا قوس الرباب بسهمه
 رماها غدت بالوشى بردا مسهما
 وما أحسن قول القيراطي :

دمشق سما سهمها على قوس الكواكب ، وأقبلت
 من كتائب زهورها في مواكب . وتحرك عودها حين
 غنت عليه من الورق الفينان ، وطفح يزيدا فقلت وهذا
 مما يعجب اباسفيان

ومن المحاسن ارض بضر وبهران ، وهما معدن
 التوت ، واصل حسنه المنعوت

وهو أصناف : محسني . بندقي . عجمي . مخضب .
 قرشي . حراديني . شامي وهو الاسود

قال جالينوس في السابعة التوت المحسني الابيض
 اذا كان نضيجا فهو يطلق البطن وما لم ينضج وقد صار
 دواء يحبس البطن حبسا شديداً حتى انه يصلح لقروح
 الامعاء والاستطلاق ولجميع العلل التي هي من جنس
 التحلب ، ويخلط بعد أن يسحق مع الاطعمة كما يخلط السماق

فان أحب انسان أن يشربه شربة مع الماء أو مع الشراب أو مع عصارة التوت المدرك فهي نافعة لادواء الفم

وقال ابن الجوزي : اذا أكل التوت الابيض على الريق أسهل وولد خلطاً جيداً فان أكل على الطعام ولد كيموسا وأضر بالمعدة وهو رديء الغذاء فاسد الدم خلطه غليظ يكره منه غير النضيج والافوق أن يغسل قبل أكله ليؤمن اضراره بالمعدة والرأس ويشرب بعده السكنجبين والتوت النضيج المبرد بالثلج ينفع المعدة التي غلب الحر عليها واليبس . انتهى

وفيه يقول المهلبى :

كلوا من التوت وانشطوا فانه على الارى مسلط^(١)
كأنما التوت على اطباقه لآلىء بعندم منقط
ومن مجون لسان الدين ابن الخطيب قوله فيه :

أقول له اذ ابتعنا عصيرا

وجاوزنا المنازل والبيوتا

لعلك يا حبيب القلب تأتي
وتأكل عندنا عنبا وتوتا
ونقلت من خط المرحوم شمس الدين محمد النواجي
قوله :

بالله يا صاحب قم وباكر بستان لهُو حوى نَموتا
تشبع نخلًا به وكرما مرتبًا يا نعا وتوتا
والتوت الاسود الشامي قال ابن الجوزي في (لقط
المنافع) الحلو حار رطب والحامض بارد جيده الكبار
السود . ومنفعته لاورام الحلق وادرار البول ، ومضرته
يحدث مغصا وسوء استحالة وهو رديء للمعدة الا أنه
لا يضر معدة صفراوية ودفع مضرته الاطريفل الصغير
يصلح للامزاج الدموية والشباب في الربيع في البلد الحار
والله يعلم

ومن محاسن الشام (الصالحية) مشحونة بالزوايا
والترب والمدارس حتى ان بها قصبة دون ميل تمشي فيها
بين ترب ومدارس ببناء جميل استولى عليها المباشرون

والنظار ، فازالوا منها العين ولم يبق سوى الآثار . فكم
 من مدرسة اندرست بعد الصلاة والتراويح ، وأمست
 في ظلمة بعد تلك المصاييح . وهي تقول أصبحتُ حاصلًا ،
 بعد ما كان أيواني بالقراء عامرًا أهلاً ، وهذه تقول
 أضحيتُ مرتبطًا للبهائم ، بعد ما كنت معبدًا للقائم
 والصائم . وهذه تقول اتخذوني مسكنًا ، وهذه تقول
 جعلوني متبنا . وهذه تقول هدوني ، واخذوا سقفي
 وكشفوني . وهذه تقول اخربوا جداري . وباعوا الباب ،
 وجعلوني مأوى للكلاب . والآواقف تستغيث الى المولى
 المغيث . فيقال لهم اسمعوا كلام الرحمن في محكم القرآن « ان
 الينا إياهم ، ثم إن علينا حسابهم »

فياشوقاه لحسن (الجر كسية) وحلاوة (الركنية)
 ويالهفاه على (جامع الأفرم) و (الناصرية) . تغيرت تلك
 المعاهد ، وغلقت أبواب تلك المساجد والمعابد . انا لله وانا
 اليه راجعون . ان هذا هو البلاء الجسيم ، فلا حول ولا قوة
 الا بالله العلي العظيم

وبالصالحية نهران ، فيها يجريان . (ثورا) و (يزيد) ٤
وكم عليهما من غرفة وقصر مشيد

يحكى عن ابن الصائغ الحنفى انه لما قدم من القاهرة
الى دمشق المحروسة نزل في (الجسر الابيض) عند الامير
مجير الدين ابن تميم ونهر ثورا يمر بداره المانوسة فاجلسه على
جانب النهر لاجل برد الهواء ، فرأى شمس الدين ابن
الصائغ ما يمر من الفواكه على وجه الماء وصار يتناول
ويأكل ما استطاب ويضع قدومه منه ما اعجبه ثم التفت
لابن تميم وقال له أنت يغنيك هذا النهر عن شراء الفاكهة
بفيض فضله العميم وانشده في الحال اتجالاً :

يقول وقد رأى ثورا خليلي يفيض بسائر الثمرات فيضا
أيكفيكم فلا تشرون شيئاً فقلت له نعم ونبيع أيضاً
فقال ابن الصائغ : وهذه الفاكهة اليس يرميها في
النهر أرباب الغيطان . قال له ابن تميم انما هذه من اشتباك
الاشجار وانحنائها عليه فيلقمها النسيم عند ما تشتمل
الاغصان واما البساتنة فانهم يضعون فواكه مجموعة على

ابواب البساتين كلزكاة لمن يربها ويحتاج الى شيء فيأخذه
من الفقراء والمساكين

وأخبرت في القديم ان بعض الفقراء يضع مكتبته على
رأسه ويسرح في طرق البساتين فيعود وقد امتلأ مكتبته
مما يسقط من الاثمار من غير ان يتناول بيده شيئاً

وفي البساتين من يزرع اشجاراً للفقراء يعرفونها
بالتكرار ، وغالب ما يزرع من ذلك على الطرقات ليقرب
تناولها . انتهى

وغالب أهل الصالحية يهادون سكان المدينة بالبالح
والاترج والسكباد ، لنمو حسنه عندهم ونضارته التي هي
في ازدياد

قال ابن الجوزي البالح حار يابس وقيل بارد ينشف
الرطوبة ويدبغ المعدة ويحبس ، جيده غير القابض يضر
بالاسنان والفم . دفع مضرته بالسكنجبين واذا اكل أول
ما يخلو أحدث قراقر . والبسر والبالح يحدث السدد في
الاحشاء والسكبد ويولد الاكثار منهما اخلاطاً غليظة

وهما رديئان للصدر واللثة والجوار الذي هو طلع بارد يابس
يقوي الحشا ويعقل البطن والطبع ويضر الصدر والخلق
دفع مضرته بالتمر والشهد خلطه غليظ بطيء الهضم ينفع
الامزاج الحارة الرطبة ومن اكثر من أكل الطلع
مرضت معدته واورثه القولنج

وباسناد عن عائشة رضي الله قالت قال رسول الله ﷺ
«كلوا البلح بالتمر فان الشيطان اذا نظر الى ابن آدم يا كل
البلح بالتمر يقول يقي ابن آدم جنى الحديث بالعتيق» انتهى
الرطب حار رطب يقوي المعدة الباردة ويوافقها
ويزيد في الباه لكنه سريع التعفن ودمه رديء وهو
مصدع ويولد السدد ويؤذي الاسنان وينبغي ان يشرب
بعده السكنجبين

وعن انس قال «رأيت رسول الله ﷺ يأكل البطيخ
بالرطب» ورواه ابو داود. وعن عبد الله بن جعفر قال
«رأيت رسول الله ﷺ يأكل القثاء بالرطب» اخرجاه في
الصحيحين. وعن ابي داود من حديث عائشة رضي الله

عنها أن النبي ﷺ كان يأكل البطيخ بالرطب ويقول
« يكسر حر هذا برد هذا ». وقال أبو سليمان الخطابي وفي
هذا بيان الرطب والعلاج ومقابلة الشيء بالمضاد له وفيه
إباحة التوسع بالأطعمة ونيل الملاذ المباحة

والرطب المعسل حار رطب ينفع المعدة الباردة ويضر
الحنجرة والصوت . دفع مضرته بالسويق الخشخاشي . فإذا
عتق كان أقل حرارة وأكثر رطوبة وازيد في توليد المني
فإذا ربي بالعسل والزعفران تضاعفت حرارته لكن
يكسرها اللوز في موضع النوى ويؤكل بعده الخس باخلل
والتمر جيده البرني الحديث الكبار وهو حار رطب
في الأولى يقوي الكبد والأعصاب ويلين الطبع ويزيد في
المني ولكنه يصدع لحرارته ويولد السدد ويؤذي الأسنان
سريع التعفن

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ
« كلوا التمر على الريق فإنه يقتل الدود » وعن أنس بن
مالك أن وفد عبد القيس من أهل هجر قدموا على النبي

ﷺ فقال « خير ثمراتكم البرني يذهب بالداء ولا داء فيه »
وفي مدينة النبي ﷺ تمر يقال له العجوة . وفي
الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ
انه قال « من تصبح سبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم
سم ولا سحر » وعن أبي سعيد وجابر قالا قال رسول الله
ﷺ « العجوة من الجنة وهي شفاء من السم » . واعلم انما
خصت عجوة المدينة بدعاء النبي ﷺ لان التمر لا يفعل ذلك
والقصب معتدل في الحرارة يابس يجبس الطبع وهو
احمد من التمر . وما الطف قول صدر الدين بن الادي في
التمر :

لم أرد التمر الذي اهد يتموه لسوى

خوفي من نواكم لان في التمر النوى

وقال ظافر الحداد في وصف النخيل :

وعشية بهرت لعينك منظراً

قدم السرور بها لقلبك وافدا

دروض كما أخضر العذار وجدول

نقشت عاياه يد النسيم مباردا
والنخل كالحليف الحسان تزينت
فلبسن من اثمارهن قلائدا
وقال بعضهم :

أما ترى التمر يحكي في الحسن للنظار
مخازنا من عقيق قد قمعت بنضار
كأنما زعفران فيه مع الشهد جاري
يشفّ مثل كئوس مملوءة بعقار
ومما ينسب الى نفطويه قوله :

كأنما النخل وقد نكست رعوسها الريح باذياها
أحبة فارقها إلفها فأطرقت تنظر في حالها
ومن محاسن ابن سارة قوله في الجمار :

جمارة كالماء لكنها ما بين أطمار من الليف
كأنها جسم رطيب وقد لفف في ثوب من الصوف
والنصير الحماني في من أهدى له جمارة :

أهدى لنا جمارة من لست أخلو من عذابه

فكأنما هي جسمه لما تجرد من ثيابه
ابن المعتز يصف الطلع بقوله :

ومريضة الاجفان تفتن كل ذي عقل وناسك
اهدت الينا طــــلعة والشوك للأحشاء ناهك
فكأنها لما بدت في كفها مكوك حائك
حتى اذا فضت رأيت من اللجين بها سبائك
ومن محاسنه قوله فيه :

كأنما الطلع يحكي لناظري حين يقبل
سلاسلاً من لجين يضمها تحت صندل
وأخذه بلا قافية ابن عبد ربه :

أفدي الذي أهدى الينا طلعة

أهدى الى القلب المشوق بلا بلا

فكأنما هي زورق من فضة

قد أودعته من اللجين سلاسلا

وأخذه ابن وكيع فقال وهو من لطائفه :

طلع هتكنا عنه أثوابه من بعد ما قد كان مستورا

كأنه لما بدا ضاحكاً في العين تشبيها وتقديراً
 درج من الصندل قد أودعت فيه يد العطار كافوراً
 ومن معانيه البديعة قوله :

وطلع هتكنا عنه جيب قميصه

فيا حسنه من منظر حين هتكنا

حكى صدر خود من بني الروم هزها

سماع فشقت عنه ثوبا ممسكا

ومن مقاصده قوله في البسر الأحمر :

انظر الى البسر اذ تبدى ولونه قد حكى الشقيقا

كأنما خوصه عليه زبرجد مثمر عقيقا

ومن بدائع ابن القطاع قوله فيه :

انظر البسر ان صورته أحسن ما صورده الرائي

كأنما شكاه لمبصره أنامل قمت بحناء

ابن حمديس العملي قوله في البلح :

أما ترى النخل أطلعت بلحاً جاء بشيراً بدولة الرطب

مكاحل من زمرد خرطت مقمعات الرؤوس بالذهب

ابن النقيب اللباني قوله في البسر الا يبض :

انظر الى البسر الذي قد جاءنا بالعجب
كيف غدا في لونه كعاشق مكتتب
كأنه من فضة قد غمست في ذهب

ومن لطائف ابن وكيع قوله في الرطب :

أما ترى الرطب المجنى لا كاه
حلوى أعدت لنا من صنعة الباري
ما باشرتها يد العقاد في عمل
في الدست يوماً ولا حطت على النار

الاطرج * قال ابن البيطار كثير بأرض العرب وهو
مما يغرس غرساً ولا يكون برياً وورقه مثل ورق الجوز
وهو طيب الرائحة ونواره شبيه بنوار النرجس الا أنه
الطف وله بزر شبه الكمثرى

وقال جالينوس في السابعة وجوف الاطرج الذي فيه
البزر حامض الطعم وقوته قوة تجفف تجفيفاً كثيراً حتى

يقال انه في الدرجة الثالثة من درجات الاشياء التي تبرد
وتجفف

[اسحق بن سليمان] وما كان منه حامضاً كان بارداً
يابساً في الدرجة [الثالثة] يقوي المعدة ويزيد في شهوة
الطعام ويقمع حدة [المرة] الصفراء ويزيد الغم العارض
منها ويسكن العطش ويقطع الاسهال وينفع من القوباء
والسكاف اذا طلي عليها ، ويستدل على ذلك من فعله في
الخبر اذا وقع في الثياب فانه اذا طلي عليه قلعه وذهب به
[جالينوس] وشحم الآترج الذي بين قشره وحماضه
يولد اخلاطاً غليظة باردة

[ابن سينا] ينفخ بطيء الانهضام يورث القولنج ،
ويجب أن يؤكل مفرداً ولا يخلط بطعام قبله ولا بعده
والمرئى بالعسل اسلم واقبل للهضم

وقال ابن الجوزي الآترج جيده السوسي السكبار وهو
بارد رطب ولحمه بارد وقشره حار يابس وحماضه بارد يابس
ودهنه ينفع البواسير وحبه ينفع الدماغ الذي ناله البرد

ويحلل الرياح النازفة فيه . والله أعلم
وفيه يقول عبد الله بن المعتز بالله :

يا حبذا يومنا ونحن على رؤوسنا نعقد الاكايلا
في روضة ذلت لقاطفها غصونها الدانيات تذليلا
كأن أترجها تميمس به أغصانها حاملا ومحمولا
سلاسل من زبرجد حملت من ذهب أصفى قناديلا
وما أرشق قول ابن رشيقي :

أترجة سبطة الاطراف ناعمة

تلقى النفوس بحظ غير منحوس

كأنما بسطت كفاً خالقها

تدعو بطول بقاء لابن باديس

ومن تشاييه ابن بوبن^(١) من مزدوجته :

كأنما أترجه المصبغ أيدي زناة من زنود تقطع

ومن بديع ابن المعتز قوله :

وكان الأترج كف كعاب جمعته لضمها بسوار

ومن التشابيه البديعة قول ابن حمد يس :
 انظر الى الأترج وهو مصبغ
 ان كنت في التشبية اى محقق
 مثل الا كف غدت تضم انا ملا
 يدخلنهن في انا ضيق

ومن محاسن محي الدين الدهان :
 حياك من تهوى بأترجة ناعمة مقدودة غضه
 فجلدها من ذهب أصفر وجسمها الناعم من فضه
 وقال الامير أبو فراس بن حمدان في الكباد :

أما ترى الكباد في حسنه اذا بدا في وسط بستانه
 كعاشق أبصر محبوبه فاصفر من خيفة هجرانه
 وقال ابن زيدون في الحمض :

يا حبذا حماضة تحدث للنفس الطرب
 كانها كافورة لها غشاء من ذهب

الليمون . قال صاحب الفلاحة ستة أنواع منها المركب
 وهو نوعان أحمر وأصفر ومنها التفاحي وهو نوعان والمختم

والحلسمى ، وغالب ما يستعمل الاصفر والتفاحي
وأخبرني بعض الغياطنة أن بمصر الليمون أربعة
عشر نوعا ولم يعد منهم ولا واحداً
وقال ابن البيطار والليمون مركب من ثلاثة اجزاء
مختلفة المنافع والقوى وهي القشر والحماض والبزر . في طعم
قشره بعض مرورة وقبض خفي وله عطرية ظاهرة وفيه
تسخين وتجفيف مزاجه حار في أول الدرجة الثانية يابس
في آخرها

ومن لطائف النصير الحماني قوله فيه :
أهدى الي الظبي ليمونة
لا زلت ذا شكر لاحسانه
صفرتها تحكى اصفراري به
وطعمها من طعم هجرانه

وله فيه :

ليموننا هذا الذي قد بدا يأخذ من اشراقه بالعيان
كأنه بيض دجاج وقد لطحه العابث بالزعفران

النارنج قال ابن الجوزي حماضه بارد يابس يقوى المعدة
ويقطع البلغم ويسكن الصفراء الا انه يرخي الاعصاب
دفع مضرته أكله بالسكر يشهى الطعام وحبه يحلل الرياح
الباردة من الدماغ وهو ألطف من الاترج ومختاره ماقلت
حموضته وقشره حار يابس وخاصية النارنج ان من ادمن
شبه يأخذه الرعاف الى ان يموت والله سبحانه وتعالى أعلم
وزهره يسمى بالقداح

ومن محاسن ابن قرناص قوله في نواره :

نديمي هبّا قد قضى النجم نجبه

وهب نسيم ناعم يوقظ الفجرا

وقد أزهـر النارنج أزرد فضة

تزرع على الاشجار أوراقها الخضرا

ومن أغراض شهاب الدين محمد بن دمرداش قوله :

ان أينع النارنج حاكى لونه

في صبغه القاني خد حبيبي

واذا تبدى مزهراً فكأنما
 جمع الوصال عذاره ومشبي
 وقال مؤلفه البدرى :

نارنجة قد أشبهت حسناء في
 عرس النسيم تيس مع نشرطوى
 يا حسنهما تجلى لنا فى حلة
 من سندس أزرارها من لؤلؤ

وقال أيضاً :

فى الكيمياء صحت لنا نارنجة من حطب
 لجين زهرها يعد سبائكاً من ذهب
 ومن لطائف الارجانى قوله فيه :

ونارنجة بين الرياض نظرتها على غصن رطب كقمامة اغيد
 اذا ميلتها الريح كانت كاكرة بدت ذهباً فى صولجان زبرجد

ومن محاسن الصاحب ابن عباد :
 بعثنا من النارج ما طاب عرفه

ونمت على الاغصان منه نوافج
كرات من العقيان اخكم خرطها
وايدي الندامى حولهن صوالج
ومن بدائع ابن وكيع قوله :

ألا اسقني الراح في جنة طرائف أثمارها تزهر
كان تمايل نارنجها مقابض كيمختها أخضر
ومن الغاز ابن خلدكان قوله فيه :

ما اسم اذا صحفته الفيته من بعد ذاك ولفظه تاريخ
في ضمنه نار اذا حققتها لاجرها وار ولا منفوخ
حيران ان صحفته وعكسته لا العذل يسمعه ولا التويخ
ياريح بلغ من احب تحيتي ان الحبيب لما تقول مصينخ

ونقلت من خط بلدينا الشرف القواس الدمشقي :

نظرت الى نارنجة في يمينه

كجمره نار وهي باردة اللمس

فقربها من خده فتالقت

فشبهتها المريح في دائرة الشمس

ومن بدائع ابن قرناص الحموي قوله :

نارنجة برزت في منظر عجب زبرجد ونضار صاغه المطر
كأن موسى كلم الله اقبسها ناراً وجرّ عليها ذيل الخضر

ومن اغزال ابن دمرdash قوله :

تأمل ترى النارنج في الدوح باسم

نضيرا يروق العين من جلناره

وقد لاح تحت الغصن غضاً كأنه

خدود الذي أهواه تحت عذاره

ومن المعاني التي سبكها ظفر الحداد قوله :

تأمل فدتك النفس يا صاح منظرأ

يسر به قلب اللبيب على الفكر

حيا وابل يجري على شجر بدا

به ثمر النارنج كالأكر التبر

دموع حداها الشوق فأنهملت على

خدود تراب تحت انقبة خضر

ونقل ابن خلكان في ترجمة السلاوي انه كان شاعراً

مجيداً فرحل في صباه من مدينة السلام الى الموصل وبها
جماعة من كبراء الشعراء كالسري والبيغاء والخالدين
فارادوا اختباره في النظم فقال أبو الفرج البيغاء أنا كفيكم
ذلك وصنع ولية ودعاه الى عنده وقال له في غضون المحاضرة
ما تقول في هذا النارنج الذي بمنزلنا فانشده ارتجالاً وقال :

ونارنج تميل به غصون ومنها ما يرى كالصولجان

اشبهه ثدايا ناهدات غلائلها صبغن بزعفران

فحرك كل منهم رأسه وقال هذا التشبيه هجس

بفكري الآن . وانشد :

تطالعنا بين الغصون كأنها نهود عذارى في ملاحفها الصفرة

السري :

اذا ما تبدى في الغصون حسبته نهود عذارى مسهن خلوق

ومن محاسن الشام (جبل قاسيون) فان الصالحية في

سفحه وتحت ذراه . وهو جبل مبارك به آثار الانبياء

والصحابة والاولياء وبه (الكهف) ويقال انه كهف اصحاب

القصة وبه مغارة الدم يقال ان كل ليلة جمعة يرى بها قطرة

دم وبه محاريب الاربعين محل تعبدهم . وقال بعضهم :
 تحن الى وادي دمشق جوانحي وان كان مما قل فيه نصيدي
 واني لاهوى قاسيون لاني رأيت أسمه شبها لاسم حبيبي
 وبه ينبت من عند الله تعالى من الازهار والاشجار
 ما لا ينبت في غيره وسقيه بالامطار

فن ازهاره القرنفل وهو شديد العطرية

والخزام وهو مشهور بالعطرية

والشيخ . قال ابن الجوزي حار يابس في الثالثة أفضله
 ما كان الى البياض وهو بدمشق يخرج الدود . واذا احرق
 وسحق ووضع في زيت أو في دهن اللوز وطلى به من لم
 ينبت له لحية اسرع نباتها لانه يوسع مسامها بلطافته ويمنع
 من داء الثعلب . وعن عبد الله بن ابي جعفر القرشي ان
 رسول الله ﷺ قال « بخروا بيوتكم باللبان والشيخ »

وبه السماق . قال ابن البيطار في الاولى يستعمل في
 الطعام وهو ثمر نبات يقال له اروس برسوديسقونس^(١)

(١) في مفردات ابن البيطار « رؤس برسوديسقونس »

وهو بالعربية سماق الدباغين وانما سمي هكذا لان الدباغين يستعملونه في دباغة الجلود . وهي شجرة تنبت في الجبال والصخور طولها نحو من ذراعين وفيها ورق طويل لونه الى حمرة الدم وهو مشرف الاطراف على هيئة المنشار وله ثمر شبيه بالعناقيد كثيف وفي عظم الحبة الخضراء الى العرض

وقال جالينوس في الثامنة يقبض ويحفف وانفع ما فيها
الثمرة وعصارتها

[ديسقوريدوس] ويعمل منه حقنة لقرحة الامعاء
ويقطر في الاذن التي يسيل منها القيح واذا تضمد بالورق
[مع الخل] والعسل اضمر الداحس ومنع الورم [الخبيث
الذي يقال له غنغران]

[الرازي] وزعم قوم انه اذا شد في صوف مصبوغ
بحمرة وشد على صاحب النزف من أى عضو كان قطع الدم
[ابن ماسويه] وينفع الاسهال المزمن الذي يكون
من الصفراء واذا نقع في ماء ورد واكتحل به نفع من

ابتداء [الرمذ] الحار مع مادة وقوى الحدة
 [اسحق بن عمران] وان نقع في ماء نفع من السلاق
 والاحتراق وقطع الحكة العارضة للعين ، وان اخذه من به
 قىء دائم ودقه مع الكمون دقا جريشاً وشرب منها بماء
 بارد قطع القيء عنه

وقال ابن الجوزي السماق بارد في الثانية يابس في الثالثة
 قابض مقو للمعدة يشدها ويجلو خشونة اللسان ويسكن
 العطش والغثيان الصفراوى واجوده الاحمر . انتهى
 وبه الزعرور . قال صاحب كتاب الفلاحة هي شجرة
 تنبت بنفسها في الجبال والصحاري وتغرس في البساتين
 وفلاحتها كفلاحة الخوخ والمشمش واذا حوت ضعفت
 ومن اراد قوتها فليحمل اليها من التراب الذى كانت به
 ويظمره حوالها فانها تقوى واجوده الاحمر البستاني البالغ
 وهو بارد يابس ردىء للمعدة والكلى يولد بلفماً والجبلي
 يقمع الصفراء ويحبس السيالات ويقوى المعدة ويقمع
 القيء الا انه يصدع

وقال صاحب المفردات هي شجرة مشوكة ولها ثمر صغار شبيهة بالفتح في شكله لذيق في كل واحدة منها ثلاث حبات ولذلك سماه قوم طريفان^(١) وهو ذو الثلاث حبات وهو قابض وإذا أكل كان جيداً للمعدة ممسكاً للبطن مسكناً لنصفراء والدم ولا يحبس البول ويشهى إلا كل ويولد القولنج

وقال صاحب (المقط) الزعرور الجبلي بارد يابس مطفيء للحرارة يجمع الصفراء والبستاني الأحمر بارد رطب مولد للبلغم رديء للمعدة والله أعلم وهذا الأحمر لا حاجة به لجناه وإنما يرمي سياجا لشدة شوكة وكذا في السياج توت أسود لا يجنيه زراعه كورد السياج السالف لنا ذكره

ومن السياج شجرة يقال لها (الزيفون)^(٢) لها زهر

(١) كانت في الأصل (طريفان) وفي مفردات ابن البيطار (طريفان) وفي اللغة الفرنسية لفظ *Triphylle* بمعنى ثلاثي الورقات (٢) قال ابن البيطار هو اسم دمشق للنوع الذي لا يثمر من شجر الغبيراء

اصفر برائحة عطرية وفيه تهيج للنساء اذا شممنه وهذه
الاربعة الاشياء انما يزرعونها الشدة شوكتها . انتهى

وفيه يقول ابن حني وأبدع :

كانما الزعرور لما بدا

في حسن تقدير وأمر أنيق

جلال مخضوبة عندما

أوخرزات خرطن من عقيق

يضوع من دياه لما هفا

به نسيم الريح مسك نشيق

ونقلت من خط الشهابي أحمد بن العطار الدنيسري :

باكر الدوحة واغنم واجتلي

غصن زعرور تسامى وافتخر

حقه من ذهب داخلها

قطنة فيها ثلاث من درر

وبه الخرنوب قال ابن الجوزي بارد يابس وقيل حار ،

جيده الحلو الطري ينفع القيام ما دام طرياً فاذا يبس عقل
البطن والرطب ردىء للمعدة واليابس أبطأ انهضاما يدفع
ضرره الفانيد ، والمضمضة بطبيخه جيدة لوجع الاسنان .
انتهى والله أعلم

ومن محاسن الشام قرية (منين) . خضرة نضرة ،
وهى شمالي جبل قاسيون ، وبها السيدان الجليلان (الشيخ
جندل) و (الشيخ أبو الرجال) أعاد الله علينا من بركاتهما
ويقال أن الشيخ جندل لا يقبل من ينام عنده ، فاذا نام
الانسان حول الضريح يفتح عينه يجد نفسه ملقى خارج
المزار وقد اشتهر ذلك عنه

والى منين ينسب الجوز المنيني لرقعة قشره وبياض
قلبه ، وهو صنوف : مغاربي ، وفرك ، ومنيني ، وجبلي ،
وبستاني

قال جالينوس في السابعة : وهذه الشجرة في ورقها
وأطرافها شيء من القبض وهو في القشر الخارج اذا كان
طرياً ابيض . وكذلك الصبّاغون يستعملون هذا القشر ،

وأما قلبه الذي يؤكل ففيه دهنية ، وبهذا السبب تسرع اليه
الاستحالات

قال ابن الجوزي : الجوز حار رطب وقيل يابس
عسر الانهضام رديء للمعدة مضرته تن الفم ويؤلم الخلق
ويصدغ ولا يصلح أكل العتيق منه . ودفع مضرته
بالخشخاش والمتولد عنه دم حار يصلح للامزاج اليابسة
وللمشاخ إذا أكل مع التين نفع من السموم لا سيما الجوز
الاخضر

وقال ديسقوريدوس : الجوز عسر الانهضام مولد
للمرة الصفراء حار لمن به سعال ، وإذا أكل على الريق
هوّن القيء وإذا أحرق قشره وسحق مع شراب وزيت
ولطخ به دعوس الصبيان حسن شعورهم وأنبت الشعر في
داء الثعلب ، وداخله إذا أحرق وخلط به شراب واحتملته
للرأة منع الطمث

اسحق بن سليمان [والجوزة الخضراء إذا أخذت
عند ما تبقى قدر الحصة وذقت وخلطت بالمسل واكتحل

بها نفع من غشاوة البصر

[الشريف] واذا دق قشره الأخضر وألقى معه
خبث الحديد مكسوراً وترك اسبوعاً معه يحرك في كل يوم
ثم خضب به بعد ذلك الشيب سوده وكان منه صبغ
عجيب واذا دلكت به القوابي والحزازات نفعها

[البصرى] والجوز المرّبي جيد لبرد الكبد نشاف
لرطوبة المعدة والله أعلم

وفيه لابی الفرج ابن هندو :

تأمل الجوز في اطباقه ترى رواق حسن عليه غير محطوط
كانه اكر من صندل خرطت فيها بدائع من نقش وتخطيط
وبها الثلج الذي يقيم من العام الى القابل . ويحمل تلج
السلطان الى القاهرة مدة العام وما يستعمل بدمشق الجميع
منها يخزنونه في حواصل معدّة له

وقال ابن الجوزي الثلج بارد بالطبع يابس بالعرض
وفيه خلط يولد سوداء في الكبد جيده ما كان من ماء
عذب يجمد يهود الهضم لكنه يهيج السعال ويلين المفاصل

ويشنج ويضر العصب لانه يحتمن البخارات الحارة فيها
 ويمنعها من التحلل ويضر المعدة خصوصاً التي يتولد فيها
 اخلاط باردة دفع مضرته شربه قليلا قليلا وهو صالح
 للامزجة الحارة وهو يطلق البطن أولا ثم يعقل واذا كانت
 المياه الثلجية والجليدة في آجام كانت رديئة ثقيلة وهي تولد
 البلغم في الشتاء والمرارة في الصيف وتورث شاربها الطحلة
 وحشو الاحشاء وربما وقعوا في الاستسقاء وتضعف
 اكبادهم وتولد فيهم الجنون والبواسير ويعسر على نسائهم
 الحبل والولادة ويلدن اجنة متورمين . والثلج رديء
 للمشايخ وماء الثلج يسكن وجع الاسنان الحار والله اعلم
 ومن لطائف ابن عباد قوله :

اقبل الثلج فانبسط للسرور وبشرب الصغير بعد الكبير
 فكأن السماء صاهرت الارض وصار النشار من كافور
 واخذه بلاقافية احمد بن علي العلوي فقال :

هواك من الدنيا نصيبي وانني
 اليك لمشتاق كجفني الى الغمض

فزرنى وبادر يوم ثلج كأنه
 شمائم كافور نثرن على الارض
 ومن محاسن قول أبي الفتح البستي :

قد نظمنا السرور في عقدانس وجعلنا الزمان للهو سدا - كا
 وشربنا المدام في يوم ثلج عزل النوى فيه رشداً ونسكا
 فكان السماء تنخل كافو راء علينا ونحن نفتق مسكا
 اخذه ظافر الحداد فقال :

ويوم ضاحك يبكي ضعيف معاقد السلك
 اذوب يبرده برداً كبسم من حوى ملكي
 كان الريح تنثره على الارضين في وشك
 تغربل من خلال الند كافورا على مسك
 وينبت في الثلج الرياس قال ابن الجوزى بارد يابس
 مسكن للحرارة وقامع للصفراء نافع للاسهال يقوى المعدة
 والكبد الحراين وهو شبيه باضلاع السلق وفيه خشونة
 وطعمه حلو يعطي حموضة بعفوضة ولا يطلع الا في الثلج
 والله اعلم

وفيه يقول أبو علي العثماني النيسابوري :

انظر الى الريباس تنظر منه أعجب منظر
كسواعد بيض بدت من كم شعر أحمر

وينبت في جبال الثلج ايضاً امير باريس . قال ابن
البيطار هو البرباريس وبالفارسية الزرشك . ومنه اندلسي
ورومي وشامي ، وأحسنه الشامي [يجلب من جبل يروت
وجبل بعلبك وهو أجود من الرومي عند باعة العطر بمصر
والشام]

[الفلاحة] وهو شجرة خشنة النبات خضراء تضرب
الى السواد تحمل حباً صغاراً بنفسجية

قال ابن ماسة بارد يابس في الثانية يقوى الكبد
والامعاء وفيه قوة قابضة مانعة

[ماسرجويه] يمنع من الاورام الحارة اذا وضع عليها

[الرازي] هو قاطع للعطش جيد للمعدة والكبد

الملتهبين ويقمع الصفراء جداً

قال الرازي^(١) حبه يحفف قروح الامعاء ويقطع نزف
الدم الاسفل ، ولا سيما الذي يجاب من جبلي يروت
وبعلبك . انتهى

وينبت بهذا الجبل الصنوبر : قال ابن الجوزي حار
في الثانية يابس في الثالثة حبه ينفع من الصداغ البلغمي ،
افراط استعماله مصدع دفع مضرته بالشاه صيني أو الصندل ،
والغرغرة بطبيخ قشره يجلب بلغمًا كثيرًا . انتهى
وفيه يقول الشريف الرضي :

حب الصنوبر اذ اُتَا لك غنيت من كل البشر
نقل لعمرى مشتهى ما ان يدوم له خبر
يحكي لنا صدفاً اُتت في باطن منها الدُر
ومن اغراض ابن المعتز قوله :

صنوبر ظلتُ به مولعاً . لانه أطيب موجود
كانه الكافور في لونه يحويه اذ لاح من العود

(١) نقله ابن البيطار عن كتاب (التجربتين) ولم يذكر جملة

وتمَّ أشياء لا تنبت الا في الاراضي الحارة كالقلقاس
فانه يطلع بارض قرية الغور من اعمال دمشق ولا ينبت في
غيرها من أرض الشام

قال ابن البيطار ينبت على المياه في الاراضي الحارة
وله ورق كبير أملس يشبه ورق الموز الا أنه ليس بطوله
وهو مجفف يشبه ورق القرع ولكل ورقة من ورقه
قضيبي منفرد غليظ الاصبع ونبات القضيبي من الاصل
الذي من الارض وليس لهذا النبات ساق ولا ثمر واصله
شبيه بالاترج إلا أن ظاهره مائل الى الحمرة وداخله أبيض
كثيف مكتنز مشاكلك للموز وطعمه فيه قبض مع حرارة
قوية تدل على حرارته ويبسه وهو يابس في الاولى اذا سلق
بالماء زالت حرارته جملة واكتسب مع ما فيه من القبض
اليسير لزوجة مغرية كانت بالقوة الا ان حرارته كانت
تخفيها وتسترها ولذلك صار غذاؤه غليظا بطيء الانهضام
ثقيلا في المعدة لكثافة جسمه ولزوجته الا انه لما فيه من
القبض والعفوصة صارت فيه قوة مقوية للمعدة معينة على

حبس البطن اذا أخذ مقدار منه لا يشغل على المعدة فيحيله
 ضرورة لثقله وبعد انهضامه ولما فيه من الازوجة والتغرية
 صار نافعا [من سحوج الامعاء] ويزيد في الباه ويسمن
 وادمانه يولد السوداء والله أعلم

ومنها الموز . قال ابن الاثير في عجائبه الموز يسمى قاتل
 ابيه لان شجرته لا تثمر الا مرة في السنة ثم تموت ولا
 يحمل الاصل الواحد الا قنواً واحداً ثم يموت ، وتخلفها
 اخرى من اصلها ويكون في القنو من خمسين موزة الى
 خمسمائة ومن حين نشوئها الى حين إثمارها شهران . ويقال
 ان فيه برياً وبستانياً والبري يسمى الطلح ، واكثر ما يوجد
 في الجزائر . وورقها طوله ثلاث أذرع وعرضه ذراعان .
 وأجود الموز الكبير البالغ وثمرته حارة رطبة تنفع حرقة
 الصدر والحلق وتنفع المثانة وتدر البول وتلين الطبع لكنه
 ثقيل على المعدة والاكثر منه يولد السدد ويزيد في الصفراء
 والبلغم وأكله بعد الطعام يمنع بخار المعدة الى ان يرتقي
 الى الرأس

وقال ابن الجوزي جیده الکبار الحلو ینفع من
خشونة الصدر والرئة وقروح السکیتین ویضر المعدة . دفع
مضرته بالسكر ویتولد عنه دم بلغمی والله أعلم
وفیه یقول الخوارزمي :

یا من اتی البستان یقصد نزهة انظر لصنع الله فیما یخلق
الموز شبه عساكر مصفوفة من فوقها رایات خضر تحقق
وفیه یقول مؤلفه البدری :

انظر الى الموز الذي حلا وصفا اذ مر بي
سبائكاً من فضة قد موهت بالذهب

ومنها القصب . قال ابو حنیفة : القصب أنواع فمنه
أبيض وأصفر وأسود والاسود لا یعصر وهو یغلظ حتی
لا یحیط به السکفان وانما یعتصر الابيض والاصفر ویقال
لعصارته عسل القصب واجوده ما یجاء به من أرض الزنج
فهو أصفر مثل الاترج . والقند ما یجمد من عصیر قصب
السكر ثم یتخذ منه السكر ویقال لما جعل فیهِ القند من
السویق وغیره مقنود ومقند كما یقال معسول ومعسل

وقال أبو العبر^(١) قصب السكر لطيف ملائم للبدن
نافع من الخشونة التي تعرض في الصدر والرئة والحلق
ويجلبو الرطوبة اللطيفة المتولدة فيها ويدبر البول ويولد نفخاً
ولا سيما اذا أخذ بعد الطعام

وقصب السكر مابين للطبيعة واستعماله تهيج القيء
صالح اذا شرب على أثره ماء فاتر وتهوع بريشة طويلة قد
غمست في السيرج

وقال المنصوري حار باعتدال يدر البول ويذهب
بالحرقة الكائنة عند خروجه وينفع من السعال
[اسحق بن عمران] يقطع الالتهاب العارض في
المعدة برطوبته ولطافته وينقي المثانة

وقال ابن الجوزي : القصب أشد تلييناً من السكر
لكنه يولد رياحاً دفعها ان يقشر ويغسل بماء حار

وقال عفاف بن مسلم المحدث : من مص القصب
السكر بعد طعامه لم يزل يومه اجمع في سرور والله تعالى

(١) في مفردات ابن البيطار : (الدمشق)

أعلم . انتهى

وفيه يقول خليل ^(١) بن الفرس رحمه الله :

سبحان من أنبت في أرضه ما بين شوك وجلا فيها
انبوبة مملوءة سكرًا قد كان ماء وحلا فيها
وكتب مؤلفه البدرى يستدعي بعض الاخوان

في شهر رمضان الى غيط قصب :

في قصب السكر لي ذوق سريع ما اقتضب
شبهته بأهيف قد رق عشقا وانتصب
واصفّر جسمه لذا أرخى له خضر العذب
فقم لوصل قطعه واسع له اخا الأرب
في الصوم قبل العصران ذا لأعجب العجب
قلت : واما محاسن الشام فانها لا تحصى ، وغوطتها
الجامعة للمحاسن لا تستقصى . وقد جاء في الاخبار عن
كعب الاخبار رضي الله عنه « غوطة دمشق بستان الله في
أرضه »

وعن ابى امامة رضي الله عنه ان النبي ﷺ تلا هذه الآية « وأويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين » قال « هل تدرون اين هي » قالوا « الله ورسوله أعلم » قال « هي في الشام بارض يقال لها الغوطة مدينه يقال لها دمشق هي خير مدائن الشام »

وفي رواية عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ « قال هي دمشق »

قال الذهبي : وأجمع سواح الارض والاقطار على ان متنزعات الدنيا أربعة وهي (صغد سمرقند) و (شعب بوان) و (نهر الأبله) و (غوطة دمشق)

قال أبو بكر الخوارزمي في رحلته : رأيتها كلها فكان فضل غوطة دمشق على الثلاث كفضل الاربعة على غيرهن ، كأنها الجنة وقد زخرفت وصورت على وجه الارض

وما أحسن قول الشيخ علاء الدين علي بن المشرف المارداني وقد أنشدني شقيقه ركن الدين محمد عند قدوم

أخيه إلى دمشق المحروسة في سنة إحدى وعشرين وثمانمائة :
ليس في الحسن للشام نظير لا يغرّك بالبلاد الغرور
كل ما تشهيه نفسك فيها وبها البشر والهنا والسرور
قلت للركب مذاً نخنا عليها وتراءت ولدانها والخور
هذه الجنة ادخلوا بسلام بلد طيب ورب غفور
وقال الشيخ عبد الله الأرموي رحمه الله « دمشق من
أي جهة أقبلت عليها تجدّها حلة بيضاء طرازها أخضر »
وقال الشهاب محمود من رسالة « وأما دمشق فكانها
وجه الحبيب ، وقد دار به العذار الأخضر الرطيب »

وقال الشيخ (عبد الولي الحضرى) رحمه الله :
« سحت البلاد ورأيت ماها من الأعاجيب ، فلم انظر
كصغد سمرقند ، وهو نهر تحف به قصور وبساتين وقرى
مشتبكة العماثر مقدار اثني عشر فرسخا في مثلها ، وهى في
وسط مملكة ما وراء النهر . ورايت شعب بوان وهى
بقعة مذكورة بنيسابور ^(١) طولها فرسخان وقد التحفتها

الاشجار، وجاست خلالها الانهار . وهذا الشعب لبوان بن
ايوح ابن افريدون ، وفيه يقول أبو الطيب المتنبي من قصيدة
تشمّل على وصفه :

يقول بشعب بوان حصاني أعن هذا يُسار الى الطعان
أبوكم آدم سنّ المعاصي وعلمكم مفارقة الجنان
ومررت بنهر الأبلّة وهي من أعمال البصرة طوله
أربعة فراسخ وعلى جانبيه بساتين كأنها بستان واحد قد
مد على خط الاستواء نخله كأنه غرس في يوم واحد .
ودخلت الى دمشق وتنزهت في غوطتها أجدها أحسن من
الثلاث وأكثرها خيراً طولها ثلاثون ميلاً وعرضها خمسة
عشر ميلاً مشتبكة القرى والضياع لا تكاد الشمس تقع
على أرضها لغزارة أشجارها واكتناف أغصانها »

وقال الميديمي في كتابه (لطائف الاعاجيب) كان
بغوطة دمشق اشجار تحمل الواحدة منها أربع فواكه
كالشمش ، والخواخ ، والتفاح ، والكثيرى . وبها ما يحمل
الثلاث واقلهن اللوزان من الفاكهة . قلت وهذا موجود

الى يومنا هذا فاني رأيت بها الكرمة الواحدة تطرح
العنب الابيض والاسود والاحمر ورأيت بوادي النيرين
شجرة توت تطرح التوت الابيض والاسود

وهذا من صنعة الفلاحة يسمى التطعيم وهو ان
يأخذ قطعة خشب من التفاح ويشق ساق شجرة كثرى
تكون بساقين وتوضع تلك القطعة في احدى الساقين
المشقوقة وتشدها بخرقه وتسقيها وتعاهدها الى أن تلحم
بها ويخرج الورق الجديد ثم تثمر

رجع الى بقية كلام الميديمي . قال : وكان غرس
الاشجار في بعض البساتين كالسطور التي تقرأ . انتهى
والله اعلم

ونقلت من شرح الشريشي ما نقله عن شيخه ابن
جبير قال : دمشق هي خير المشرق ، ومطلع حسنه المؤنق
وعروس المدن قد تحلت بازاهير الرياحين ، وتجلت في
حلل سندسية من البساتين . وحلت من موضع الحسن
بمكان مكين ، وتجلت في منصتها بأجل تزين . وتشرفت

بان ادنى الله المسيح وامه الى ربوة ذات قرار ومعين .
 ظل ظليل ، وماء سلسبيل ، ورياض تحي النفوس بنسيمها
 العليل ، وتبرج لناظرها بمجلى صقيل ، وتناديهم هاموا
 الى مغرس للحسن ومقيل . قد سميت ارضها من كثرة الماء ،
 حتى اشتاقت الى الظاء . فتكاد تناديك بها الصم الصلاب :
 اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب . قد أحدقت
 البساتين بها احداق الهالة بالقمر ، واكتنفها اكتناف
 الكمامة لازهر . وامتدت بشرقها غوطتها الخضراء امتداد
 البصر . ولقد صدق القائلون « ان كانت الجنة في الارض
 فدمشق لاشك فيها ، وان كانت في [السماء] فهي بحيث
 تسامتها وتساميتها »

وقال البحريّ فيها :

إذا أردت ملأت الطرف من بلد

مستحسن وزمان يشبه البلدا

يمشي السحاب على أجيالها فرقا

ويصبح النبات في صحرائها بددا

فلست تبصر الا واكفا خضلا
 ويانعا خضراً أو طائراً غردا
 كأنما القيظ ولَّى بعد جيئته
 أو الربيع دنا من بعد ما بعدا
 وقال ابن سعيد الموصلي :

سقى دمشق واياماً مضت فيها
 مواطر السحب ساريها وغادها
 ولا يزال جنين النبت ترضعه
 حوامل المزن في احشا اراضيها

ومن محاسن الشام ما يصنع فيها من القماش والنسيج
 على تعداد نقوشه وضروبه ورسومه . ومنها عمل القماش
 الاطلس بكل اجناسه وانواعه . ومنها عمل القماش الهرمزي
 على اختلاف اشكاله وتباين اوصاله . ومنها عمل القماش
 الابيض القطني المصور لاهياء القصور ، واموات القبور .
 وبها أيضاً عمل القماش السابوري بجميع الوانه وحسن لمعانه

وفيهما تعمل صناعة الذهب المسبوك والمضروب
 والمجروور والمرفوع ، والممدود والمرصوع . وفيها تعمل
 صناعة القرطاس بحسن صقاله ونقيّ اوصاله . وفيها تعمل
 صناعة القرصية ودباغاتها المرصية . وفيها تعمل صناعة الزموط
 والاقباع وتحمل لسائر البلاد والضياح . وفيها صناعة الحرير
 بالقتل والدواليب والسرير . وفيها تعمل صناعة السلاح ،
 بما فيها من الاعاجيب والاقتراح . وفيها تعمل صناعة الموشى
 والمدهون بما تحتارفيه النواظر والعيون . وفيها تعمل صناعة
 النحاس من الضرب والتفصيل والنقوش التي تشرح صدر
 الناس . وفيها صناعة الواح الصقال ودهن الواح صفار
 الكتاب ، وجفان القصع وتفصيل القبقاب
 واذكرني هنا قول ابن هاني الاندلسي على لسان
 القبقاب واجادثم أفاد :

كنت غصنا بين الانام رطيبا

مائس العطف من غناء الحمام

صرت أحكى رءوس اعداك في الذلّ

برغم اداس بالاقدام

رجع . وغالب ما ذكرناه من هذه الصنائع تتبدل
عليه أيادى الصنائع من الواحد بعد الواحد الى أن ينيف
على عشرة صنائع حتى تتم

واعلم ان هذه الصنائع استخرجتها الحكماء بحكمته
ثم تعلمها الناس منهم وبعضهم من بعض وصارت وراثه
من الحكماء والعلماء ومن العلماء للمتعلمين ومن الاستاذين
للتلامذة للصنائع هكذا نقله ابن جماعة في شرحه على نقول
العيد ، انتهى

ومن محاسن الشام ما يحمل منها الى الديار المصرية
عشرة قافات انفردت بها وهذه مسمياتها : قصب ذهب ،
قبع ، قرصية ، قرطاس ، قوس ، قبقاب ، قراصيا ،
قر الدين من المشمش ، قريشة ، قنب

وكنت في هذا المحل اكتب واذا بشخص خليع
يغلب عليه الخبال والدخل يتردد اليّ من أهل مصر

العتيقة يقال له تعاتير جاء اليّ وقال عبر لي هذا المنام رأيت
 الليلة في النوم رجلاً جليلاً من أهل الشام أعطاني قصعة بها
 آثار قطن فيه بعض قضاة مربوطة بخيط قنب . فأردت
 ان ادخل عليه سروراً قلت له : يا تعاتير من مناسبة الحبال
 القضاة وهي ذهب وفضة في وعاء مشدود معقود تناله
 من بعض رؤساء الشاميين . فسر بذلك وفارقني فأخذت
 أتعجب من الاتفاق وذكر هذه الاربعة قافات المجلوبة من
 الشام الى القاهرة وفيما انا في مثل هذا السياق اذا أنا به في
 اليوم الثاني جاني وهو يضحك فقلت ما بالك وما خبرك .
 قال : فارقتك فاخذت لي قطعة جنب ورطب وجلست
 أكلهم برغيف في عتبة قدام المقياس واذا برئيس شامي
 في خدمته عبيد وغلمان نزل الى تلك العتبة وقال للنوتي
 اطلع بنا المقياس لنزوره وزورنا الآثار وقال لغلمانه لا قونا
 بالخليل الى الآثار فنهزني بعض العبيد وقال ما تخرج . فقال
 له سيده دعه يؤانسنا . وسألني عن اسمي فقلت له الناس
 يسموني تعاتير وانما اسمي ابو الخير . فتهلل وجهه وقال :

هذا المكان ما اسمه فاقول له كيت وكيت وهذا يعرف
بكذا الى ان توجهنا الى درج الآثار وأراد الطلوع واذا
بمنديل سقط منه في المركب فبادرت لمناولته اياه فقال لي
اعط منه للنوتي ديناراً وخذه لك بما فيه فقبلت يده وقال
لى ما تروح معنا قلت له مرسومك هذا النوتي ابن حارتي
وارجع معه فقال ادع لنا . وتركته وأنا لا اصدق من الفرح
فقلت لبعض غلمانه ايش يقال لهذا الرئيس بين الشاميين
قال هذا القاضي بدر الدين بن المزلق فدعوت له وانصرفت
أجد بالمنديل خمسة دنانير ذهباً وسبعين نصفاً فدفعت
لنوتي ديناراً وجئت لا تشكر منك على تعبير المنام واخبرك
بتفسيره فقلت له هذا أعجب من الاول . انتهى

وغالب ما عددناه واوردناه من محاسن الشام انفردت به
دون غيرها ويحمل منها لغالب البلاد لكثرة خيرها ومن
اعاجيبها ان خيرها في الغالب لغير بنيتها حتى انه ينسى الاهل
والاوطان ولو فارقها لعاد اليها على طول الزمان
وقال القاضي الفاضل :

يقولون لي ماذا رأيت بشامهم
 فقلت لهم كل المكارم والفضل
 فبلدتهم خير البلاد واهلها
 باحسانهم تغني الغريب عن الاهل
 وقال ابن سعيد :

في جلق نزلوا حيث النعيم غدا
 مطولا وهو في الآفاق مختصر
 فالقضب راقصة والطير صادحة
 والنسر مرتفع والماء منحدر
 لكل واد به موسى يفجره
 وكل روض على حافته الخضر
 وقال ابراهيم بن عبد الله الانصاري متشوقاً اليها :
 رعى الله اياما تمضت بجلق
 لقلبي عليها آنة وتوجع
 رحلت وابراد الشباب قشيبة
 وعدت واسمال المشيب ترقع

وقال الشيخ شمس الدين محمد بن الصائغ الحنفي
يتشوق اليها :

ادمشق لابعدت ديارك عن فقي
ابدا اليك بكله يتشوق
اشتاق منك منازل لم انسها
انى وقلبي في ربوعك موثق
انى اتجهت رأيت دوحا مأؤه
متسلسل يعلو عليه جوسق
والريح تكتب والجدول اسطر
خطا له نسخ الغمام محقق
ومعاطف الاغصان هزتها الربا
طربا فذاك نما وهذا مونق
تتلو على الاغصان اخبار الهوى

فيكاد ساكت كل شيء ينطق
ومن محاسن الشام ان كل نزهة ذكرناها لها أوان
يتفرج أهل البلد فيه وزمان يتعاهدونها به ويرجعون اليه

ويعجبني قول ابن فائد البحراني :

برزت دمشق لزارئي أوطانها

من كل ناحية بوجه ازهر

لو أن انسانا تعمد أن يرى

مغنى خلا من نزهة لم يقدر

ومن لطائفه قوله في الذهبيات وقد عاد إليها في

الخریف :

صبغت بلون ثمارها أوراقها

فتكاد تحسب انهن ثمار

لو كان مكتوبا عليها يوسف

شهد الصيارف أنها دينار

ومن محاسن ابن ديار قوله في الذهبيات :

انظر الى ذهبيات الغصون وقم

الى المدام وواصلها الى العنق

أما ترى النهر بالتصفيق أطربها

فنقطته دنائراً من الورق

ونقلت من خط الزيني ابن الخراط قوله :

اتانا الخريف نديمي فقم نجدد بالراح عيشا ذهب
اذا ما جلونا عروس الطلا على الغصن نقطها بالذهب

ومن المعاني التي افتضها الرغادي :

يا ورقا بالخريف يحكي على النحور المسلسلات
شبه الدنانير صففوها على سيوف المسلسلات

ونقلت من خط بلدينا العلاء بن ايبك الدمشقي :

لاتخش يا محبوب من فاقتي
فمن قريب ذهبي يأتي
فاذهب لفضيات ذا بالطلا

واسـتـجـلـها في الذهبيات

ونقلت من خط المرحوم شيخ الاسلام شهاب الدين

ابن حجر :

قد قال زهر الروض من ذا الذي

فضـل فضـل الذهبيات

ما ذهبي يذهب من حجلة
 مودعا بل ذهبي يأتي
 ويمجبنى قول المعوج الشامي وتلطف بقوله :
 تأمل ترَ أرض الخريف عليلة
 من البرد حتى عادها وابل القطر
 وعالجها فصل الربيع فعموفيت
 فنقطها الازهار بالبيض والصفير
 ومن محاسن الشام صيفيتها وانها معلنة بحياة الازهار
 ونمو الاثمار . ولهذا قال الحافظ اليعموري :
 واستنشقوا لهو الربيع فانه
 نعم الصديق وعنده الطاف
 يغذى الجسوم نسيمه فكانه
 روح حواها جوهر شفاف
 ويمجبنى قول ابن قرناص فيه :
 بعث الربيع رسالة بقدومه
 للروض فهو بقربه فرحان

ولطيب ما قرأ الهزار بشدوه
مضمونها مالت به الاغصان
وشتويتها مؤذنة بموت الاشجار بالاصفرار ، وتفسيلها
بعد التجريد بالامطار . ولهذا قال الحافظ اليعموري :
خذ في التدفي بالخریف فانه
مستوبل ونسيمه خطاف
يجري مع الاجساد جري حياتها
كصديقها ومن الصديق يخاف
ومن الدر النظيم قول ابن تيم :
يا شهر كانون من حب الغصون امت
الارض وجداً وأبكيت السما حزناً
والمزن غسلها من فيض أدمعه
والثلج حاك لها من نسجه كفنا
لكن يعتدون للشتاء بالاسمان والادهان ويمنون البيوت
بالحبوبات ، ولحم القديد والمعسولات . والفاكهة المعلقة ،
والحلاوات المؤنقة . ويكونون في الاماكن المبخرات

ولا يخرجون منها . فلها بلدة كثيرة المحاسن ، وماؤها غير
 آسن . وهي مباركة وفيها البركة وعيشها رغد في السكون
 والحركة . ولكن استقرى من كان مولده فيها لم يزل في
 قبض ، ما دام بها الا أن ينزل الى تحت الارض . ويقال
 أنه لا يوجد بها اثنان من أهلها على قلب واحد متصافيان
 ويقال ان من قصدها بسوء ونواه اكبه الله تعالى
 فيه وأعثره . ولما قدم عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس
 رضي الله عنهم دمشق وحاصر أهلها فلما دخلها وهدم
 سورها وقع منه حجر كان عليه مكتوب باليونانية فارسل
 خاف بعض الرهبان فطبعه وقرأه فاذا عليه مكتوب :
 ويك ام الجبارة من رماك بسوء قصمه الله . ويك من
 الخمس الاعين ، نقض سورك على يديه بعد الف سنة .
 فوجدوا الخمس الاعين عبد الله بن علي بن عبد الله بن
 عباس بن عبد المطلب

فهي بلدة كثيرة البركات غزيرة الخيرات ، نعم بلدة
 الانبياء ، وموطن الاصفياء والاولياء . وبها صحابة من

الاجلاء ومقابرها حوت امثال الفضلاء

ومنها جبانة باب الصغير بها بلال الحبشي رضي الله عنه وبها السيدة سكينة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، وبها السيدة زينب بنت الامام علي رضي الله عنهما وبها معلوية رضي الله عنه ، وبها اويس القرني رضي الله عنه ، وبها أبو عبيدة بن الجراح على ما قيل خارج الجامع المعروف به (١)

(١) زاد ابن الحوراني في كتابه (الاشارات الى أماكن الزيارات) أن من الصحابة المدفونين في (الباب الصغير) : اوس ابن أوس الثقفي الصحابي من أهل الصفة ، ذكره النووي في (تهذيب الاسماء)

وأبا الدرداء عويمر الخزرجي الصحابي ، ولي قضاء دمشق لعمر . وزوجته أم الدرداء الصغرى مدفونة بقربه ووائل بن الاسقع من أهل الصفة ، خدم النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين

وفضالة بن عبيد ، ولي قضاء دمشق لمعاوية ودفن عند أبي الدرداء . وحمل معاوية نعشه وقال لابنه « اعني فاني لا أحمل بعده مثله »

ويليها مقبرة محلة القروانة وبها جماعة من الاجلاء
والفضلاء

وسهل بن الربيع الاوسي الصحابي
ويسرة بن فاتك الاسدي أخا خزيمة بن فاتك ، وهو الذي
قسم دمشق بين المسلمين بعد فتحها
وشعمون بن ختانة ابا ربحان الاسدي الانصاري
ومكحولاً مولى سعيد بن العاص ، سمع من انس وواثلة
ونقل ابن الحوراني عن الهروي في (الزيارات) أن في
(مسجد النارنج) بباب الصغير ثلاثاً من أزواج النبي صلى الله
عليه وسلم ، وفضة جارية فاطمة ، وقبر سهل بن الحنظلية ، وقبر
ام الحسن بنت حمزة بن جعفر الصادق ، وقبر علي بن عبد الله
ابن العباس ، وقبر ابنه سليمان ، وقبر زوجته ام الحسن بنت جعفر
ابن الحسن بن الحسين . وبمقبرة باب الصغير أيضاً قبر خديجة
بنت زين العابدين ، هؤلاء في تربة واحدة . وقبر سكينه بنت
الحسين . وقبر محمد بن عمر بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم
وبها قبور كثير من الاولياء والصالحين لم يعلموا ، لما قيل
من أن مقبرة باب الصغير حرثت وزرعت بعد مائة سنة ، فلذلك
لا تعرف القبور

ومنها جبانة باب شرقي بها أبي بن كعب رضي الله عنه ، وبها جبل بن معاذ رضي الله عنه ، وبها ضرار بن الازور رضي الله عنه في حارة السادة القدماء عفا الله تعالى عنهم

ونقل عن الحافظ ابن طولون في (بهجة الانام) أن قبر معاوية الكبير في الحائط القبلي من جامع دمشق في قصر الامارة (الخضراء) ، وهو الذي تسميه العامة (قبر هود) . أما الذي في الباب الصغير فهو قبر أبي ليلى معاوية الثاني ابن يزيد وذكر صاحب (مثير الغرام) أن (الوليد بن عبد الملك) - الذي بنى مسجد دمشق ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقبة الصخرة المقدسة في بيت المقدس - دفن سنة ٩٦ بمقبرة باب الصغير شمالي قبر معاوية بنحو عشرين ذراعا وقبره ظاهر معروف .

يزار

وفي الباب الصغير من العلماء الشيخ حماد وهو من القدماء . ومنصور بن عماد بن كثير السلمي . وعمر بن الحسن الخرقى من تابعي أصحاب أحمد بن حنبل وهو مؤلف « المقتنع » . وأبو الفتح نصر بن ابراهيم بن نصر المقدسى النابلسي شيخ الشافعية بالشام وقد

وتليها مقبرة الشيخ رسلان أعاد الله علينا وعلى
المسلمين من بركاته وعنده جماعة من الاماثل والاجلاء
الافاضل^(١)

اجتمع به الغزالي واستفاد منه . وأبو البيان محمد بن محفوظ
القرشي شيخ الطائفة البيانية ويعرف بابن الحوراني . قال ابن
كثير له تأليف كثيرة وكان هو والشيخ رسلان أولاً مجاورين
في المسجد الذي في رأس درب الحجر في اواخر السوق الكبير
قريباً من الباب الشرقي . والحافظ الكبير ثقة الدين أبو القاسم
علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر صاحب (تاريخ دمشق)
دفن شرقي مدفن معاوية . وتاج الدين عبد الرحمن بن ابراهيم
الفزاري المعروف بابن الفركاح تلميذ ابن الصلاح والسخاوي
وابن عبد السلام . وبدر الدين ابن مالك . وأبو الربيع سليمان
ابن بلال الجعفري الهاشمي تلميذ الفزاري والنووي . وابن هشام
وابن رجب . وابن قيم الجوزية . وابراهيم الناجي . وأبو العباس
أحمد الميمني

(١) قال (ابن الحوراني) الشيخ ارسلان الدمشقي ابن
يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد الله الجعبري . مدفون مع شيخه
ابي عامر المؤدب ، توفي بعد الاربعين والخمسةائة

وخارج باب توما شرحبيل كاتب وحي رسول الله
 ﷺ والسيدة خولة [بنت الازور] رضي الله عنهما
 وجبانة بيت لهما بها سادة وأعيان وصالحون لهم قدر
 وشان

ويليها مقابر باب الفراديس بها أبو الدحدح [الصحابي]
 رضي الله عنه ، وبها عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق
 رضي الله عنهما ^(١)
 ومقبرة سويقة صاروجا بها صالحون من أجل
 المسلمين

ومقابر الصوفية بها جماعة من العلماء ائمة الدين

(١) قال (ابن الحوراني) : وفي مقبرة باب الفراديس مشهد
 الخضر ، وعنده قبر محمد بن عبد الله بن الحسن المقدسي ثم الدمشقي
 المعروف بأبي شامة وكان له شامة كبيرة فوق حاجبه الايسر
 توفي سنة ٦٦٥

وفي مسجد الاقصاب سوق حجر بن عدي الصحابي
 وأصحابه

وصالحى المسلمين كابن الصلاح وابن تيمية وابن المبارك
وغيرهم ^(١)

ويليها مقبرة القنوات وباب السريجة وبها علماء الامة

(١) مقابر الصوفية هي الواقعة الآن في حديقة مستشفى
دمشق على نهر بانياس عند محطة البرامكة غربي دمشق . قال
ابن الحوراني : ومن دفن فيها (قطب الدين أبو المعالى مسعود
ابن محمد بن مسعود) انقرد في دمشق برئاسة الشافعية توفي في
رمضان سنة ٥٧٨

ومنهم (الفخر ابن عساكر) توفي سنة ٦٢٠ ودفن مقابل
قبر (ابن الصلاح) المتوفى سنة ٦٤٣

ومنهم (عبد الرحمن بن نوح) من أشياخ النووي وكان
مقي دمشق في وقته توفي سنة ٦٥٤

ومنهم (عماد الدين بن كثير البصري القرشى) توفي سنة
٧٧٤ ودفن عند شيخه شيخ الاسلام ابن تيمية المتوفى سنة
٧٢٨

ومنهم (ابراهيم بن سليمان الحموي) له شرح الجامع الكبير
في ست مجلدات وشرح المنظومة في مجلدين

ومنهم (ابراهيم بن عبد الرزاق الحنفي) شارح القدوري
توفي سنة ٨٠٧

واهل الرحمة . آخر من دفن بها شيخنا المرحوم العلامة
 محب الدين البصروي الشافعي رحمه الله
 ومنها جبانة الحمزية ^(١) وبها المرحومون من الاولياء
 والصالحين

ومنها مقابر محلة السيدة عائشة رضي الله عنها ويقال
 ان في ظاهرها ضريح المساك لركاب النبي ﷺ رضي الله عنه
 ومنها جبانة محلة القبيبات وبها العلماء العاملون
 والمجاذيب والصالحون كالسيد الشريف الشيخ الزاهد العالم
 تقى الدين أبي بكر الحصني الشافعي امدنا الله بمدده . وهذه
 جملة المقابر التي في المدينة الخارجة عن مقابر الصالحية
 والقابونين وغير ذلك

وثم صحابة في قرى الضواحي رضي الله عنهم كسعد

(١) قال ابن الحوراني هي بمحلة الشويكة وممن دفن فيها
 أحمد بن بدر الدين الحنفي المتوفى سنة ٩٣٤ ، ومحمد بن الحر
 الحنفي توفي ٧٨٩

ابن عبادة رضي الله عنه بارض المنيحة^(١) وتيم الداري رضي الله عنه بقرية تيم التي سميت به وابو الدرداء رضي الله عنه فانه داخل قلعة دمشق والسيدة زينب الكبرى بنت الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنهما وهي اخت أم كلثوم الكبرى التي تزوجها عمر رضي الله عنه وكانت مع اخيهما الحسين لما قتل وقدمتا الشام وهاتان والحسن والحسين ومحسن الذي مات صغيراً أولاد الامام علي من فاطمة رضي الله عنهما ثم تزوج بعد موت فاطمة وتسرى فجاءه بنون وبنات ومن جملة البنات زينب الصغرى وأم

(١) نقل ابن الحوراني عن النووي في (تهذيب الاسماء) قال : سعد بن عبادة الصاحب الانصاري الخزرجي الساعدي كان نقيب بني ساعدة وصاحب الانصار في المشاهد كلها، قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « انه من بيت جود » شهد العقبة وبدرًا والمشاهد، توفي سنة ١٦ واتفقوا على أنه كان بحوران ومات بها، قال الحافظ ابن عساكر وغيره : هذا القبر المشهور في المنيحة يقال انه قبر سعد بن عبادة فيحتمل أنه نقل من حوران اليها

كلثوم الصغرى ، هكذا ذكره شيخنا الحافظ برهان الدين الناجي رحمه الله تعالى ورضي عنه . وقال الشيخ العارف أبو بكر الموصلي رحمه الله تعالى في كتابه (فتوح الرحمن) توفيت السيدة زينب الكبرى بنت علي رضي الله عنهما بغوطة دمشق عقيب محنة أخيها ودفنت في قرية من ضواحي دمشق اسمها راوية ثم سميت البلدة بها فالآن يقال للبلدة الست ولا تعرف الا بقبر الست رضي الله عنها قال : وكنت ازورها في أول أحد من العام ، ومعي جماعة من أصحابي الفقراء ، ولاندخل الى قبرها بل نستقبله ونغض ابصارنا ، لما قرره علماؤنا في أن الزائر للميت يعامله بما لو كان حيا من الاحترام ، فبينما أنا في البكاء والخشوع والحضور وكأني بها وقد تراءت لي في صورة امرأة كبيرة محترمة موقرة لا يقدر الانسان ان يملأ نظره منها احتراما فاطرقت فقالت : يا بني زادك الله ادبا لم تعلم ان جدي رسول الله ﷺ واصحابه كانوا يزورون أم أيمن^(١) لكونها

(١) قال الزبيدي في التاج : أم أيمن امرأة أعتقها صلى الله

امراً محترمة وبشر الامة أن جدي محمداً ﷺ وجميع اصحابه
 وذريته يحبون هذه الامة ، الا من خرج عن الطريق
 فانهم يبغضونه . فلحقني ازعاج من كلامها غيبي فلما عدت
 الى الحسّ لم أجدها فواظبت على زيارتها الى يومنا هذا انتهى
 وبالقرية المذكورة ضريح السيد الجليل مدرك
 [الفزاري الصحابي] اعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاته
 وهذا الذي وصل الينا من معرفة من بدمشق من
 الصحابة رضي الله عنهم اجمعين . وثم فيها من الانبياء
 والصحابة والاولياء والصالحين غير ما ذكرناه لكن لتوالي
 المحن واندراس العلم والمعاهد والدمن وبانقراض الخبر
 انقطع الخبر فلا عين ولا اثر

فان الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى قال في
 شرح [سنن] أبي داود الشام من العريش الى بالس وقيل الى
 الفرات وقال ابن السمعاني هي بلاد بين الجزيرة والنور الى
 الساحل ويجوز فيها التذكير والتأنيث والهمز وتركه وأما
 عليه وسلم وهي حاضنة أولاده فزوجها من زيد فولدت له أسامة

شام بفتح الهمزة والمد فاباه اكثرهم الا في النسب انتهى
والله أعلم

فعلى هذا انظر ما في بلاد الشام من الانبياء والصحابة
والصالحين قال الحافظ العراقي « دمشق بلاد الانبياء
وموطن الاصفياء من الصحابة والتابعين والاولياء »
وبسندي الى النبي ﷺ انه اخبر انه زويت له مشارق
الارض ومغاربها وقال سيبلغ ملك امتي ما زوى لى وانهم
سيفتحون مصر وهي ارض يذكر فيها القيراط وان عيسى
ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق . انتهى

واما فضائل الشام فكثيرة ومحاسنها جمة غزيرة ،
وبركاتها مشهورة واخبار خيراتها مأثورة . ولهذا أطلقنا
عنان القلم في غيضاتها وروضاتها وقطوفها الدانية للمتفكر في
متنزهاتها ، وهيمنا الى الدور في تسلسل انهارها ونبهنها
الاحداق في حدائق ازهارها

وقد ختمنا كتابنا بذكر الانبياء والصحابة والاولياء

والمشايخ والصالحين والعلماء العاملين وذكر المقابر ، فان كل انسان اليها صائر . ونحبس عنان جواد القلم في ميادين طرسه ، فان من دخل الى المقابر انقطعت اخباره بتواريه في رمله

والله تعالى اسأل ان يؤنسنا بالقرآن العظيم في قبورنا وان ينقلنا منها الى الجنان بمحمد شفيعنا ﷺ صلاة وسلاما يتارج شذاهما ملء الاكوان ويفوح ضوعهما على نشر الازهار وطى عرف الريحان ويكون كالنسيم في دوره بين الرياض والتنسيم فيكون آخر منتهاه اول مبتداه ان شاء الله تعالى بكرمه ومنه



فهرس

صفحة	
٢	مقدمة الناشر
٤	خطبة المؤلف والحنين الى دمشق
١١	ما ورد من الحديث في الشام
١٣	اشتقاق اسم الشام
١٧	الشام بلد الانبياء
١٨	بناء دمشق
٢٣	بناء قصرَي جيرون والبريد
٢٤	أبواب دمشق
٢٩	الفتح العربي
٣٠	مسجد دمشق وفضله
٣٣	بناء الوليد المسجد
٤١	مآذن المسجد وبعض ما كان فيه
٤٣	غناء الدولة الاموية
٤٤	وصف ابن حبيب الحلبي مسجد دمشق
٤٥	وصف هذا المسجد شعراً
٤٨	وصف البدر الدماميني دمشق
٥٠	ايات البرهان القيراطي في وصفها

صفحة	
٥١	وصف اليعقوبي وابن جبير مسجدها
٥٨	الساعة العربية في دمشق أيام ابن جبير
٦٠	قلعة دمشق
٦٢	حيّ تحت القلعة
٦٥	بين النهرين في دمشق
١٨٥ و ٦٦	نواعير دمشق
٧٠	الشرفان ، والشقرا والميدان
٧٣	مرجة دمشق
٧٦	محلّتا الخلخال والمنبيع
٧٧	متنزه الجبهة
٧٩	متنزه قطية
٨٠	متنزه البهنسية والنيرين
٨٢	ربوة دمشق
٩١	الزبداني
٩٢	أنهار دمشق
١٠٢	حواكير دمشق ورياحينها
١٠٤	ورد دمشق
١٢١	نرجس دمشق
١٣٣	بنفسج دمشق

صفحة	
١٣٦	ياسمين دمشق
١٣٨	منثور دمشق
١٤٢	سوسن دمشق
١٤٦	زنبق دمشق
١٤٧	بهار دمشق
١٤٨	اقحوان دمشق
١٥٠	آذريون دمشق
١٥٢	البابونج وزهر الكر كيش
١٥٣	الآس
١٥٩	زهر النمام
١٦٠	شقائق النعمان
١٧٢	النيلوفر
١٧٩	البان
١٨٠	قف وانظر
١٨١	تمر الحنا
١٨٢	الحيلاني
١٨٣	الزنبخت والسرو
١٨٧ و ٢١٢	ارض المزة واللوان
١٨٨	المشمش

صحيفة	
١٩٢	القراصية
١٩٥	الكمثرى
٢٠١	التفاح
٢٠٦	الدراقن (الخوخ)
٢١٠	الآجاص والبرقوق
٢١٢	زيتون كفر سوسة وسائر دمشق
٢١٤	المزاز وأرض الشويكة : الرمان
٢١٩	دارسيا
٢٢٠	البطيخ الهندي (الاحمر)
٢٢٣	العنب
٢٣٥	الوز وزهره
٢٤٨	مرج الشيخ رسلان : الخشخاش
٢٤٩	الوادي التحتاني : السفرجل
٢٥٤	غيفة السلطان وست الشام
٢٥٥	شرق دمشق
٢٥٦	ضمير وبطيخها الاصفر
٢٦٠	برزة
٢٦١	التين
٢٦٤	القبون

صفحة	
٢٦٥	الخيار والقثاء
٢٦٨	بيت لهما والعنابة
٢٧١	العناب
٢٧٣	اراضي سطرا ومقرى
٢٧٤	متنزه اليملك
٢٧٥	الهلينون
٢٧٨	الطرخون
٢٨٠	الكرنب والقنبيط
٢٨٥	الباذنجان الاحمر
٢٨٧	الكراث
٢٩٠	الجزر
٢٩١	الزعر والفجل
٢٩٢	السذاب
٢٩٣	النعنناع والرشاد والبقلة الحمقاء
٢٩٤	الاسفناخ والكرفس والسلق
٢٩٥	الهندباء والبصل
٢٩٦	الثوم
٢٩٧	الكسفرة والكرأويا والكمون
٢٩٨	القرع

صفحة	
٣٠١	الكأة
٣٠٣	اللوبياء والارز والباقلاء
٣٠٦	الذرة والدخن والماش
٣٠٧	القرطم والعدس
٣٠٨	السهم وبزر قطونا والترمس
٣٠٩	الحمص والحلبة
٣١٠	الخش ، أرض الميطور والسيلوق في غرس الشجر
٣١١	مأثرة لسليمان بن عبد الملك في غرس الشجر
٣١٢	البندق
٣١٤	الفستق
٣١٧	متنزه السهم
٣١٨	ارض بزار وبهران ، والكلام على التوت
٣٢٠	الصالحية وتلاعب النظاربأوقاف المدارس والمساجد
٣٢٢	رخاء دمشق وخيراتها
٣٢٣	البلح والرطب والقصب والطلع والبسر والتمر والنخيل
٣٣٠	الآترج
٣٣٣	الليمون
٣٣٥	النارنج
٣٣٩	جبل قاسيون والكهف

صفحة	
٣٤٠	الشيخ والسماق
٣٤٢	الزعزور
٣٤٣	الزيرفون
٣٤٤	الخرنوب
٣٤٥	قرية (منين) والجوز
٣٤٧	الثلاج
٣٤٩	الريباس
٣٥٠	أمير باريس
٣٥١	الصنوبر
٣٥٢	القلقاس
٣٥٣	الموز
٣٥٤	قصب السكر
٣٥٦ و ٣٦٧	عود ^{ته} الى غوطة دمشق وانها جنة الدنيا
٣٦٢	صناعات دمشق
٣٧٣	فضائل دمشق
٣٧٤	المدفونون في دمشق من العظماء
٣٨٥	آخر الكتاب

